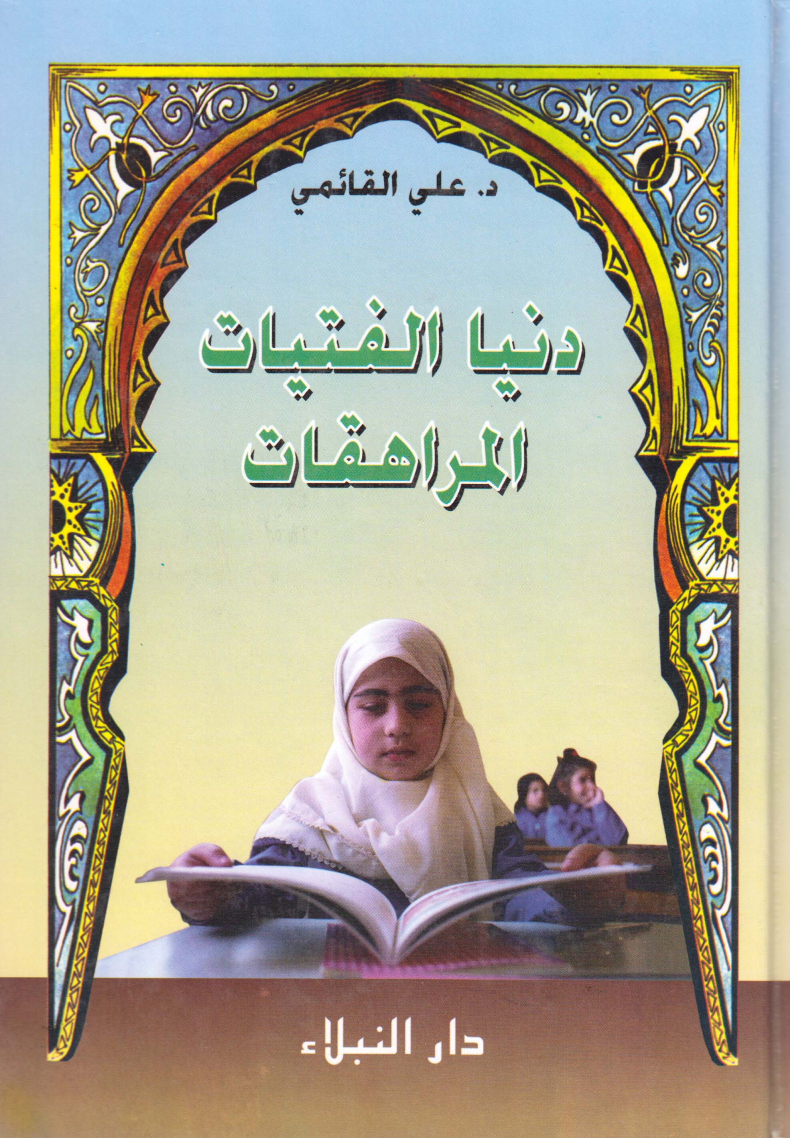
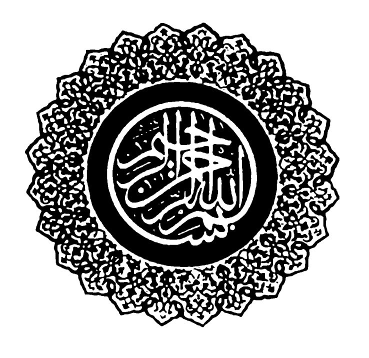

د. علي القائمي
دنيا الفتيات
المراهقات
دار النبلاء



دنيا الفتيات
المراهقات



دنيا الفتيات المراهقات

الدكتور علي القائمي

ترجمة: سالم كريم

البيان للترجمة

دار النبلاء

الطبعة الثانية

١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م

دار النبلاء
بيروت - لبنان
حارة حريك ـ ص . ب ٨٦٠١/ ١١ ـ هاتف: ٨١٤٢٩٤/ ٠٣ خلوي



الباب الاول

تمهيد

لقد خصصنا هذا الباب ، الذي هو بمثابة مدخل إلى البحث حول دنيا الفتيات في مرحلة المراهقة ، لبيان بعض المسائل بهدف جعل القارىء يدرك ما نرمي اليه في هذا المجهود ، وكذلك لتوضيح مدى أهمية مرحلة المراهقة وبواعث وجوب إيلائها مزيداً من الاهتمام من قبل أولياء الأُمور .

وقد أفردنا فصلاً منه كمقدمة للكتاب ؛ تحدثنا فيه عن أهداف ومرامي مسعانا في هذا المجال مع تعريف بمحتويات الكتاب .

في الفصل الثاني منه ؛ عرفنا مرحلة المراهقة ، وتحدّثنا عن أهميتها ، وسعينا إلى تسليط الأضواء على هذه المرحلة السنيّة ، مع بيان بعض من خصوصياتها من وجهتي نظر الشابة المراهقة والمربّي .

كما ونبّهنا ، في الفصل الثالث ، إلى ضرورة اهتمام أولياء الأُمور والمربين بهذه المرحلة ، وسعينا إلى إرشادهم إلى الواجبات الملقاة على عواتقهم ، مع الاشارةالحدود التي يجب التزامها عند التعامل مع هذه الفئة السنيّة .

وأخيراً ، تناولنا في الفصل الرابع أساليب الدراسة والتحقيق حول قضايا الناشئين في سني المراهقة ، وهو بحث علمي صرف يقوم على أساس قواعد علم النفس التربوي .

لقد سعينا في الكتاب مراعاة جانب الايجاز والاختصار في جميع الموارد .

الدكتور علي القائمي

الفصل الأول

اعجاب تكوين الانسان

مقدّمة

طبقاً للبحوث والدراسات الجارية لحدّ الآن، فإنه لا يوجد ـ من بين جميع موجودات عالم الخلقة ـ موجوداً يدعو إلى الدهشة كالانسان. فمع أن هناك موجودات كثيرة كبيرة وصغيرة في العالم من حيث الحجم والوزن، إلّا انّ الانسان يبقى هو الموجود الأكثر تعقيداً في تكوينه.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وأودع في وجوده أسراراً كثيرة. ولأن الانسان هو مخزن أسرار الخلقة الالهية، لذا فإنّ مفتاح الدخول إلى هذا المخزن ومعرفة ما في دواخله بحاجة إلى وعي وتخصص.

إن دراسات علم النفس الانساني، مع كل التقدّم الذي أحرزته لحدّ الآن، فإنها ما تزال قاصرة وعاجزة عن إبداء آراء قاطعة في أبعاد الوجود الانساني، مثل مراحل نموه وحياته، وكيفية عيشه ومماته و... إلى الحدّ الذي وصف فيه الانسان من قبل بعض المفكرين بالكائن الغامض.

كما يصادفنا مثل هذا الكلام في الموروث الاسلامي أيضاً، كأقوال الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة حول الانسان، وأحاديث الامام الصادق عليه السلام في توحيد المفضّل، أو كلام النبي صلّى الله عليه وآله الذي يقول فيه: يا علي، لا يعرفك إلّا الله وأنا و... لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان و...

دنيا المراهقة

بعض القضايا التي تدعو إلى الدهشة في النفس الانسانية خاصة بمراحل معينة من العمر. وقبل الدخول في هذا المبحث، من المناسب الاشارة إلى هذه

النكتة، كتذكير لأولياء الأُمور والمربين، وهي حقاً ما أسرع مرور الزمن؟ ارجعوا إلى الوراء قليلاً، فمع ما تنطوي عليه حركة الزمن من بطء، نلاحظ انّ كل أحداث حياتنا؛ مراحل الطفولة والمراهقة والشباب، وإلى الآن حيث فينا من هو في سنّ الكهولة أو الشيخوخة، يمكن تلخيصها في صفحة واحدة من الورق!

فعندما يتذكر المرء مرحلة طفولته؛ يتذكرها وكأنها كانت بالأمس القريب، حيث يصرّ على مرافقة أبويه أينما حلّا، ويمتنع عن الذهاب إلى الكتاب والمدرسة أحياناً... وهكذا الحال مع مرحلة المراهقة والشباب، كأنها كانت قبل أيام أو أسابيع، حيث الاحتفال ببلوغ سن الرشد والزواج وكل ما تنطوي عليه الحياة من أفراح وأتراح.

إذن فحركة الزمن والعمر تسير مسرعة دون توقف، ولابدّ من حركة تربوية ترافقها وتسايرها بشكل متلازم، وتزداد أهمية، التواصل التربوي مع المواليد في مرحلة المراهقة... هذه المرحلة التي تفرض على أولياء الأُمور البحث الجادّ عن الأساليب الناجعة للتعامل مع أبنائهم فيها.

في الواقع ان المعلومات جد قليلة عن دنيا الفئات السنيّة المراهقة. فرغم الكمّ الكبير من البحوث والدراسات والتحقيقات، التي أجراها علماء النفس والتربية إلى الآن حول هذا الموضوع، غير انه ما زالت هناك نقاطاً كثيرة يلفّها الغموض. وبشكل عام، فان المعلومات المتوفرة عن مرحلة الطفولة والمراحل السنيّة الأُخرى هي أكثر من المعلومات التي بحوزتنا عن مرحلة المراهقة، وفضلاً عن ذلك ان هناك معلومات غير مكتملة عن الفئة السنيّة الأخيرة في الموارد المكتشفة، وهي بحاجة إلى تكميل من خلال مزيد من البحوث والدراسات، خصوصاً فيما يتعلّق بمرحلة المراهقة لدى الفتيات اللاتي نعتقد انّ حياتهن أعقد من حياة البنين في هذه المرحلة.

جهود لكشف الغموض

هناك جهود متواصلة يبذلها العلماء اليوم بهدف كشف نقاط الغموض في دنيا الفئات السنّية المراهقة. ويمكن ملاحظة ـ النشاطات الواسعة للعلماء في هذا المجال من خلال البحوث والدراسات الكثيرة المنجزة إلى الآن في مختلف الجامعات الكبيرة في العالم، وما يؤيد ذلك هو مجموعة الكتب المنتشرة في الأعوام الأخيرة في مجال بلوغ سنّ المراهقة، وما يتعلّق بها من مسائل.

كما ووضعت في ايران أيضاً مجموعة من البحوث والدراسات القيّمة في هذا المجال؛ أزالت الستار عن كثير من الأسرار لهذه الفئة السنيّة، وجعلت في متناول اليد معلومات جيدة حول مسائل سن البلوغ والمراهقة لدى الشباب والشابات الايرانيين.

كما وقد تمّ إنجاز بعض التحقيقات في نطاق محدود من قبل كاتب هذه السطور أيضاً بالتعاون مع طلابي الذين كانوا يواصلون دراساتهم في مختلف كلّيات طهران، حيث تمكّنا من الحصول على معلومات هامّة خصوصا وانّ الكثير من طلبتنا كانوا يعملون في حقل التعليم في مختلف المراحل الدراسية؛ الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية.

إنني على ثقة بأن هناك أشخاصاً مثابرين آخرين أيضاً في البلاد قد حققوا نتائج طيبة ومفيدة في هذا المجال رغم انّ نتائج بحوثهم ودراساتهم لم تصل إلى أيدينا إلى الآن.

هدف هذا البحث

إنّ ما قمنا به في هذه الدراسة هو بحث تخصّصي حول هذه المرحلة السنيّة، وهو يتعلّق بالفتيات بشكل خاص، وإن كانت بعض الآراء الواردة فيه تنطبق على

الذكور أيضاً. وتناولنا فيه بالتفصيل الأوضاع النفسية للفتيات المراهقات وتمظهراتها على تصرفاتهن، كما وعرضنا لوجهة نظر العلم والدين في هذا المجال، لقد بدأنا في هذا البحث رحلة اكتشافية في دنيا الفتيات المراهقات، ووصلنا إلى نهاية معينة على أية حال دون أن ندّعي بأننا قد اكتشفنا أسرار كل ما مررنا به من غوامض، أو فككنا كل ما فيها من رموز خلال رحلتنا التي واجهنا فيها صعوبات ليست بقليلة، خصوصاً التردد في المصارحة في بعض المقاطع.

لقد استعنتُ في هذا البحث بآراء الكثير من العلماء، لكنني في الوقت ذاته لم أشأ أن أكون ذيلياً واكتفي فقط بذكر ما جاء به الآخرون، أو أن أشرع في رحلة بحث جديدة بدافع التفوق والامتياز على حساب جهود من سبقني، بل عرضت ما لدي من آراء ووجهات نظر في هذا المجال، وسعيت إلى أن تكون آرائي منسجمة مع الرؤية الإسلامية.

فقد سعينا في هذا البحث التحقيقي إلى:

أولاً: الدخول إلى دنيا الفتيات في سنّ المراهقة، وذلك بهدف البحث والتحقيق حول حياتهنّ في هذه المرحلة من العمر، ومعرفة خصوصياتها النفسية، وبواعث وحيثيات التمظهرات السلوكية لديهنّ.

ثانياً: توضيح بعض النقاط الغامضة أو التي لم يتم ايضاحها بشكل كامل، بهدف مساعدة أولياء الأُمور على التعامل الصحيح والسليم مع الفتيات في هذه المرحلة من العمر.

ثالثاً: إعانة أولياء الأُمور والمربين على التشخيص الصحيح للحدود التي ينبغي معرفتها فيما يعدّ طبيعياً ومتوازناً من سلوكيات وتصرّفات الفتيات خلال مرحلة المراهقة وما هو غير طبيعي واكتسابي وناتج عن تأثيرات المحيط.

رابعاً: وبشكل عام سعينا إلى تعريف دنيا الفتيات في هذه المرحلة بكل ما

فيها من جمال وظرافة وحساسية، كما وعرضنا حتى للجوانب المرضية الخاصة بهذه المرحلة، وذلك من أجل أن يكتسب البحث بعداً عملياً يمكن لأولياء الأُمور الاستفادة من معلوماته عملياً بعيداً عن التنظيرات المجرّدة.

فيما يخصّ ضرورة هذا البحث، لابدّ من الاشارة إلى انّني أُولي أهمية استثنائية لمستقبل هذا الجيل، خصوصاً الفئة النسوية فيه، فيما يجب ان يتحمله من مهام وواجبات، إلى الحد الذي اعتقد فيه انّ رقيّ وعزة وأصالة مجتمع الرجال مرهون برقيّ وتقدّم النساء.

إنّ فتيات اليوم هنّ أُمهات الغد بالنسبة لنا، وأعتقد جازماً بأنّ الأُم هي الركن الأساس في المجتمع الشريف الملتزم، ومن أجل الوصول إلى مجتمع شريف ومتقدّم لابدّ من الشروع منها أولاً. فبقدر ما يزيد علم وايمان وبناء هذا الجيل نفسياً؛ يزداد دوره وتأثيره في المستقبل بأطّراد.

ملاحظة هامّة

إنني أُدرك أن قرّاء هذا الكتاب هم من مختلف الطبقات الاجتماعية: فمنهم الآباء والامهات العاديون، والمثقّفون، والطلبة الجامعيون، والعاملون في حقل التعليم، وحتى البنين والبنات غير المتزوجين. إنّ الأخذ بنظر الاعتبار جميع جوانب البحث بالشكل الذي يكون فيه مفيداً للجميع وخالياً من الضرر هو أمر صعب للغاية، ويكاد يكون مستحيلاً.

إننا لم نشأ في هذه الرحلة هتك حجب وحياء الفتيات، أو جعل ما نكتبه أداة لتحريك الغرائز الجنسية وإثارتها قبل أوانها، وأينما واجهنا مثل هذه المسائل في البحث استعصمنا بالله سبحانه وتعالى.

الهدف هو الافادة؛ الأمر الذي يدعيه كل من يعمل في المجال التربوي، إلّا

انّه في الوقت ذاته، فانّ المرء ليس مصاناً من الخطأ خصوصاً في المواقف الحساسة التي لا يجد فيها العبارات أو الاشارات أو الكنايات المناسبة لايصال ما لديه إلى أولياء الامور بالشكل الذي لا يفهمه حديثو السنّ في وقت لم يبلغ المجتمع عامة مستوى من الثقافة يجعله يهتم بقراءة ما يخصّه فقط، والامتناع عن مطالعة ما لا يعنيه.

أمل ورجاء

لقد سألت الله العون والسداد في هذا المجهود، وأملي أن يكون ما سطّرته مقنعاً ومفيداً للقرّاء. فقد وضعت هذا الكتاب استجابة لاقتراح من قبل الدائرة التربوية، في وزارة التربية والتعليم في البلاد، لكنّني شخصياً كانت لديّ رغبة شديدة أيضاً لمثل هذا العمل، وقد اجتمع هذان العاملان وبتوفيق وعون من الله لينتج منهما هذا الموضوع.

إنّ قسماً من محتويات الكتاب، سواء بشكل موسع أو مختصر، هو مواضيع كنت قد عرضت لها في مناسبات اجتماعية عديدة ووجدت مكانها المناسب هنا، ومع حرصي الشديد على علمية البحث، لكنني سعيت في الوقت ذاته الى أن أُقدم الرؤية الاسلامية على الآراء التي تبدو علمية في ظاهر الحال، وذلك لأن التعاليم الالهية مصانة من الخطأ وإنّ احاديث المعصومين هي مصداق لـ﴿ **وما ينطق عن الهوى**﴾. ولابد أن أضيف هنا إنّ ما طرحته من رؤى في المجال الاسلامي إنما هي على أساس الشيء الذي فهمته من الاسلام، وأرجو أن لا أكون قد ارتكبت خطأً في هذا المجال.

أمل أن يفيد أولياء الأمور والمربين الموقرين من مطالعة هذا الكتاب، وأرجو كذلك أن تنال هذه الخدمة المتواضعة المقبول عند الباريء سبحانه وتعالى وذخيرة ليوم المعاد، ان شاء الله.

الفصل الثاني

مرحلة المراهقة وأهميّتها

سنوات المراهقة

بعد اجتياز مرحلة الطفولة التي لها تقسيماتها الخاصة بها، تبدأ مرحلة المراهقة. فقد وصفت هذه المرحلة بالحد الفاصل ما بين الطفولة والشباب. وهي مرحلة، رغم قصر مدتها في ظاهر الحال، تكتسب أهمية وحساسية متزايدة. وقد اختلفت وجهات نظر العلماء في تحديد بداياتها ونهاياتها.

فقد ذكر البعض أنها تبدأ في سني (٩ و ١٠ و ١١)، واختلفوا في تحديد سنّ اجتيازها، وتراوحت الآراء بهذا الشأن بين سنّ ال(١٦ و ١٩ و ٢٠ و ٢١) حتى قيل أنها تنتهي في سنّ ال(٢٤). وكما هو واضح، فان اختلاف الآراء كبير هنا. الّا انّ الذي يتفق بشأنه معظم علماء النفس هو أنها تنتهي ويتم اجتيازها بين سنّ ال (١٢ ـ ١٨).

يقول موريس دبس:

الواقع هو ان الانسان يجتاز ما بين سنّ ١٢ ـ ١٨، وبحسب رأي آخرين إلى سنّ ال ٢٠، دورة كاملة من حياته منفصلة عن مرحلتي الطفولة والنضوج، وهذه المرحلة بذاتها لها معاييرها الخاصة بها، وتلعب دوراً مهماً في حياة الانسان[١].

التعبيرات عن المرحلة

في الروايات الإسلامية، وكذلك في بعض الكتابات، يلاحظ أنّه قد تمّ التعبير

---

(١) البلوغ، موريس دبس (ص١٦ ـ ١٥).

عن الانسان في هذه المرحلة السنيّة بلفظة الحدث، مثل قول الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام «وانّما قلب الحدث كالأرض الخالية ...»[1] وغيره من الروايات والأحاديث، التي تخاطب هذه الفئة، في الموروث الاسلامي.

الحدث هو بمعنى الجديد، أي نقيض القديم، وجمعه أحداث[2]، وهو لفظ يوصف به الانسان اليافع[3] أو الصبي قليل السنّ. وقد ورد وصفه بالشاب، وتمّ التعبير عن المرحلة السنّية بمرحلة الشباب في بعض الموارد على ندرة.

إلا انّ أفضل تعبير لوصف الشخص في هذه المرحلة السنّية هو اصطلاح «المراهق» الذي يستخدمه علماء النفس والتربية. وهو ـ كما نعتقد ـ أنسب تعبير وفي محلّه، لأنّ الشخص في هذه السنّ لا هو طفل قاصر تماماً وذو رغبات وخصال طفولية من جهة، ولا هو شابّ ناضج ومكتمل وبإمكانه أن يكوّن له رأياً وكياناً مستقلين في الحياة من جهة اخرى.

خصوصية المرحلة

إنّ هذه المرحلة من العمر لها أدوارها الخاصة بها، فهي عالم يختلف عن العوالم الأُخرى، بكل ما فيه من ظرافة ورقة وجمال ومعايير متميزة. ففي هذه السنّ يواجه المراهق وليّ الأمر معاً إشكاليات عديدة؛ فالأول تداهمه رغبات كثيرة ومتنوّعة تجعله يتعامل معها بشكل قلق في كثير من الأحيان، والثاني يعاني صعوبات غير قليلة في كيفية تحليل تمظهرات سلوك وتصرّفات المراهق في سبيل ضبطها وترشيدها خصوصاً اذاكان الأخير يعاني فقراً معلوماتياً عن هذه المرحلة السنية.

---

(١) نهج البلاغة. رسالة الامام علي عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام.

(٢) المنجد في اللغة.

(٣) المصباح المنير.

فبحسب رأي اوريس دولوم، انّ هذه المرحلة هي من أكثر مراحل الحياة إثارةً وهياجاً للغرائز، وأصعبها في الوقت ذاته، حيث إنها تتميز بحصول تغيرات وتقلبات سريعة وحادة في الأحاسيس والمشاعر[1]، إلى الحدّ الذي تضع المراهق وولي الأمر في مواقف محرجة في بعض الأحيان.

لقد عجز أولياء الأُمور عن وصف هذه المرحلة من الحياة، لأنّ المراهق يكون فيها من جهة مصراً على سلوكه وتصرّفاته الطفولية، ومن جهة أُخرى يحاول تقليد الكبار في أفعاله. كما وقد أثارت هذه الحالة الشكوك حتى لدى علماء النفس والتربية إلى درجة يقول فيها موريس دبس:

منذ زمن ليس بالقصير كان الجدل يدور حول ما إذا كان يجب اعتبار البلوغ (المراهقة) ضمن مرحلة الطفولة أم ضمن مرحلة النضوج والتكامل. وإلى الآن ما زال أغلب الناس يتصوّرون انّه يجب اعتبار الانسان طفلاً حتى بلوغ سنّ الـ(١٤ أو ١٥) بينما هذا التصوّر خاطىء وبعيدٌ عن الصواب.[2]

فكما ذكرنا فيما مرّ، انّ المراهقة مرحلة خاصة في الحياة وتكتب أهميّة متزايدة. فالتغيرات التي تحصل عند الشخص، على أثر الدخول في سنّ البلوغ، قد تؤدي أحياناً إلى تغيير مسار حياته ليعيش في وضع غير مطلوب.

وبحسب تعبير أحد العلماء: إنّ مرحلة المراهقة هي بمثابة الجسر الفاصل بين الطفولة والنضوج التي تحصل فيها تغييرات عضوية وفيسيولوجية غير قليلة، ويتعرض خلالها المراهق لصدمات نفسية مختلفة[3]، وبطبيعة الحال، فانّ الغفلة عنها والاستهانة بها من شأنها أن تسبب للمراهق ولأُسرته مشاكل جمّة، وبتعبير

---

(١) المنجد في اللغة.

(٢) رحلة في عالم البلوغ، اوريس دولوم، ص ٥.

(٣) البلوغ، موريس دبس، ص ١٥.

عالم آخر: انّ المراهقة حتى في أبسط اشكالها، تؤدي إلى تغييرات عميقة في الشخصية، قد تتسبب في إزعاجات للأشخاص البالغين الذين تربطهم علاقة بالمراهق بنحو وآخر. انّ حالة المراهق في سعيه نحو بلوغ سنّ الرشد والنضوج تشبه تماماً حالة الطفل الذي يرافق أُولى خطواته في المشي السقوط على الأرض، ومن ثم القيام وتكرار المحاولة مجدداً، حيث يتعرّض المراهق في هذه المرحلة إلى أخطاء سلوكية كثيرة.(١)

كما وشبّه البعض هذه المرحلة بمرحلة الولادة التي يرافقها الألم قبل وبعد عملية الولادة. وعبّر عنها آخرون بوصفها الحدّ الوسط والبرزخي بين النشوء والنضوج. وكل ذلك يدلّ على حساسية هذه المرحلة لدى المراهق.

الوضع النفسي لدى المراهق

فيما يخصّ الأوضاع النفسية التي يعيشها المراهق في هذه المرحلة، لابدّ من الاشارة قبل كل شيء إلى انه يعيش أوضاعاً نفسية غير طبيعية وصعبة. وقد يتعرض أثناء هذه المرحلة الانتقالية إلى اختلالات نفسية تؤدي إلى أن يلازمه القلق والاضطراب العاصف لمدة زمنية طويلة، وحتى يفقد توازنه الشخصي على أثرها. وبحسب تعبير احد علماء النفس الروس: عندما يبلغ الأطفال درجة جادّة من النمو، أي البلوغ الجنسي، تبدأ حينذاك الاضطرابات النفسية المختلفة لديهم. ففي هذه المرحلة عادة تتنازع نفسيات الأحداث أطباع متناقضة، ففي الوقت الذي تطبع سلوكهم وتعاملهم مع الآخرين الوداعة والحلم تجدهم في ذات الوقت حادّي الطباع ويغضبون عند أدنى إثارة(٢).

(١) المراهقة، الدكتور جعفر الكرماني، ص ١٠٤.

(٢) مسائل المراهقة، الدكتور ايزدي، ص ١٠.

ومن هنا فإنّ مرحلة المراهقة هي أكثر مراحل الحياة تأزماً، والتعامل معها أصعب وأشق بالنسبة لأولياء الأُمور.

إنّ المراهق يتعرض إلى عاصفة من الاضطرابات النفسية، ترافقها تغييرات عضوية تهزّه بقوة إلى درجة يمكن معها القول انه يعاني خلالها من الحيرة وفقدان التوازن[1]. انه يبحث عن ذاته في هذه الأثناء بشكل مبالغ فيه، بتمثل وتقليد، الذين يعتبرهم قدوة له، من قبيل الأبطال، والممثلين وزعماء الجماعات. وقد تؤدي هذه الحالة بالمراهق ـ ما لم يتم ضبطها وترشيدها ـ إلى تضخم الذات لديه، وبالتالي سلوك مسالك منحرفة ذات عواقب وخيمة.

يمتاز المراهقون في هذه المرحلة بفوران عاطفي حادّ، وقد يبكون ويضحكون بصوت عال، أو يمارسون العنف لأتفه الأسباب[2]، وأحياناً يشعرون انّهم محرومون من اللذات الخاصة بهذه السنّ، ومحرومون من الحرية والاستقلال، وحتى من الزواج!!. ينتج لدى هذه الفئة نوع من الرغبة والنشاط الاستثنائي بحسب رأي موريس دبس، والمقصود هو نوع من العاطفة المتطرفة التي يمكن ان تستولي على كيان ومشاعر الشخص بالكامل وتوجّه طاقاته باتّجاه معين.

إنّ الرغبة في التظاهر، والتي تمليها الغريزة في هذه السنّ تدفع بالمراهقين أحياناً إلى التفوّه بعبارات غير مؤدبة أو استهزائية[3]، وهو الأمر الذي يستغربه أولياء الأُمور والمربين، ويتهمون على أساسه الأبناء بالخفّة والوقاحة وقلة الأدب.

إن مرحلة المراهقة، مرحلة شاقة ومتعبة بالنسبة لأولياء الأُمور والمربين، لأنها فترة تمتاز ببروز تناقضات كثيرة على تصرّفات وسلوك الأحداث، ويمكن

---

(١) علم النفس والتربية الجنسية لكوتشكوف.

(٢) مسائل المراهقة، الدكتور ايزدي.

(٣) البلوغ موريس دبس، ص ٥٢.

تشبيهها بالثورة أو العاصفة العاتية التي تقلب الأشياء رأساً عـلى عـقب، وهـي بحاجة إلى التروّي وإلى مزيد من التحمّل والصبر عند التعامل معها .

لابدّ من الاشارة هنا إلى انّ القوائم الأساسية للبناء التربوي ، الموضوعة في مرحلة الطفولة ، لا تنهار على أثر مخاضات مرحلة المراهـقة وإن تـعرضت إلى بعض الهزّات في الأثناء . إلّا انه ينبغي ادراك حقيقة انّ هـذه القـوائـم لا يـمكن الاعتماد عليها في المراحل اللاحقة في الحياة ما لم يصار إلى تعزيزها في مرحلة المراهقة .

انّ من أسباب مواجهة أولياء الأُمور صعوبات في تعاملهم مع الأبناء فـي هذه السنّ ، هو طبيعة التغيرات والتقلّبات النفسية والذهنية المتسارعة والكثيرة لدى المراهقين ، والتي لا يمكن ضبطها وتحليلها والتعامل معها بسهولة .

ليس من شكّ في انّ مرحلة المراهقة مرحلة حسـاسة للـغاية فـي حـياة الأشخاص ، وتتطلب الضرورة ايلاءها مزيداً من الاهتمام من قبل أولياء الأُمور والمربّين . واذا أخذنا بنظر الاعتبار الاحصاءات المنتشرة اليوم في شتّى أنـحاء العالم عن حالات الجنوح والانحراف الكثيرة جداً في أوساط هذه الفئة السنيّة ، ندرك مدى خطورة التساهل في هذا المجال على مستقبل مجتمعنا الاسـلامي الذي نحرص على ان يكون نموذجاً يحتذى به من قبل الآخرين .

إنّ التعامل مع هذه الفئة السنيّة ، ينبغي ان ينطلق بالأساس من خلفية مدركة ومطّلعة على دنيا المراهقين ، وعارفة بما يجيش فيها من تـفاعلات وتـغييرات عضوية وفيسيولوجية تترك آثارها على تـصرّفات وسـلوك الأبـناء فـي هـذه المرحلة .

من المناسب هنا تذكير أولياء أُمور الأطفال بضرورة الاستعداد مـن الآن للتعامل الصحيح مع أبنائهم الذين هم على أعتاب الدخول في مرحلة المراهقة ، لأن الوقاية خير من العلاج دائماً .

الفصل الثالث

مسؤولية التربية

بلاء الغفلة

انّ قسماً كبيراً من الابتلاءات التي يواجهها المرء تعود في أسبابها إلى عاملي الجهل والغفلة. فرغم انّ الجهل يعدّ بلاءً كبيراً إلّا انّ البعض قد يكون معذوراً بهذا الشأن، غير انّ هذا العذر يكاد يكون غير مقبول فيما يخصّ الغفلة التي تتولّد عنها أخطاءاً أكبر في بعض الموارد.

أجل، نحن نعترف بأنّ أغلب أولياء الأُمور، خصوصاً في بلدان العالم الثالث ومنها بلادنا، لا يعرفون شيئاً عن الحالات النفسية الخاصة بمراحل نمو أبنائهم، وبالتالي فإنهم لا يستطيعون التعامل معهم كما ينبغي أو كما تتطلّبه الحالة، فضلاً عن مساهمتهم في مضاعفة تعقيدات بعض المسائل في أحايين كثيرة.

لكن المشكلة الأهم هي إغفالهم للأشياء التي يعونها. فعلى سبيل المثال، انّ أولياء الأُمور جميعاً يدركون ضرر البيئات الاجتماعية المنحرفة، ويعرفون جيداً انّ هناك أشخاصاً فاسدين ومفسدين، في جميع المجتمعات، يتعرضون إلى أعراض الآخرين، ومع ذلك يمرّون على هذه المسألة مرّاً عابراً غافلين عن انّ الخطر يكمن على بعد أمتار من بناتهم.

تجاهل الأبناء

المسألة المهمة الأُخرى هي انّ بعض الأبناء يتم تجاهلهم من قبل أسرهم ولا يولون الاهتمام كما يجب ويفترض. فالبعض يهتم بجمع الأموال وبأثاث البيت وديكوراته أكثر من اهتمامه بأبنائه. ومع انّ الأموال وزخارف الدنيا هي وسائل ينبغي استخدامها في سبيل نمو وتقدم الانسان، إلّا انها أصبحت هدفاً بحدّ

ذاتها لدى هؤلاء واهم من الأبناء ومن الاعتناء بتربيتهم.

قد يكون هناك اهتمام بالأبناء لدى هذا البعض، لكنه اهتمام بتوفير المأكل والملبس فقط، وليس بالبعد العاطفي والنفسي. انّ إزالة الغبار عن أثاث البيت وتنظيف زجاجات الأبواب والنوافذ وما إلى ذلك هي من الأعمال اليومية المعتادة لدى الأُمهات والآباء، غير انّ ازالة الغبار عن قلوب أبنائهم والاعتناء بهم تربوياً لا وجود لها في جدول أعمالهم.

ومن المناسب أن نضيف هنا انّ الأبناء يتمّ تجاهلهم وعدم الاهتمام بهم داخل الأُسرة احياناً بسبب جنسيتهم، أو قبح اشكالهم، أو لنقص عضوي فيهم، وانّ العلاقة التي تربط أولياء الأُمور بهم لا تتجاوز حدود توفير الطعام واللباس دون أن يلتفت هؤلاء مثلاً إلى انّ إنجاب الذكور أو الإناث هو أمر خارج عن إرادة الزوجين، وقدر إلهي مقدّر.

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يقول الله تعالى: «من لم يرض بقضائي ولا يؤمن بقدري، فليبحث له عن اله غيري»[1].

ضرورة الاهتمام بهم

يمكن تناول أمر الاهتمام بهذا الجيل ضرورة والاعتناء بتربيته من جهات عديدة منها:

١ ـ من ناحية وجوب تربية الأبناء كحقّ مسلّم لهم عند الأبوين كما يفرضه الشرع والأخلاق[2].

٢ ـ من ناحية كون الأبوين مسلمين ويجب عليهما القيام بدورهما مع

---

(١) بحار الانوار باب التوكل والتفويض.

(٢) رسالة الحقوق، الامام السجاد عليه السلام.

أبنائهما من خلال أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر[1].

٣ـ من ناحية كون الاساءة أو الاحسان في المجتمع تترك آثارها على حياة أعضاء المجتمع الآخرين أيضاً، وبحكم إذا ما أُثيرت فتنة في المجتمع أو ثقبت سفينة في البحر، لا يسلم الآخرون من عواقبها أيضاً[2].

٤ ـ من ناحية وجوب تلبية دعوة الاسلام ووصايا الائمة التي تقول: عليكم بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير[3].

من المسؤول؟

الجميع مسؤولون في أمر هداية وإرشاد الجيل الحَدَث في المجتمع، خصوصاً فئة الاناث اللاتي هنّ أمهات الغد ومربّيات الرجال والنساء في المستقبل من حياة المجتمع. وبالأصل انّ الناس ـ بحسب الرؤية الإسلامية ـ أمانات بأيدي بعضهم... فالولد امانة الله بيد الوالدين[4]، والزوجة أمانة بيد الزوج[5] و...

وهكذا لا يحقّ لأحد تجاهل أمر تربية الأبناء حتى وإن كانوا أبناء الغير. فاذا ما تعرّض أحدهم إلى خطر أو مفسدة ما فإنّ الواجب يحتّم على الجميع المبادرة إلى حمايته، وتقديم العون له، ودفع الشرور والآثام عنه، وتوجيهه إلى سبل الخير والرشاد.

إنّ الأبوان مسؤولان عن تربيةأبنائهما بالدرجة الأُولى بحكم ولايتهما

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) اشارة إلى قصة من ديوان المثنويات لمولوي (فارسي).

(٣) غرر الحكم، علي عليه السلام.

(٤) وانك مسؤول عما وليته، مكارم الأخلاق، ص ٢٣٢.

(٥) اشارة إلى دعاء الزفاف: اللهم اني بأمانتك اخذتها.

عليهم، وبالدرجة الثانية عامة الناس في مختلف المواقع والأوساط الاجتماعية والمؤسسات الحكومية، ..على الجميع ان يعطف اهتمامه نحو تهذيب وإرشاد هذا الجيل بشكل خاص.

فعند القيام بالواجبات الملقاة على عاتق الجميع تجاه هذا الجيل، ينبغي تمثّل الأجواء التي تعيش فيها الفتيات المراهقات ومحاولة التأثير الايجابي فيها.

١ ـ انّ قسماً من الاهتمامات يجب أن ينعطف نحو الحياة الفردية لهنّ ويمكن في هذا المجال السعي إلى:

ـ التربية والنمو البدني، إيجاد المهارة في الأعضاء، والمقاومة في الجسم، والتوازن الغريزي، والسلامة الصحيّة.

ـ التهذيب الذهني، التوجيه الفكري، البناء العقلي، وتنمية الذكاء، والحافظة، والخيال، والتركيز.

ـ التهذيب الأخلاقي، ضبط وترشيد الهياج العاطفي، وتوجيهه الوجهة الصحيحة بوضعه في سبيل الحبّ والبغض في الله.

٢ ـ وقسم من الاهتمامات يجب أن ينصبّ على الجوانب الاجتماعية ومنها:

ـ تنمية الاهتمامات الاجتماعية، الصداقات البريئة، التمييز بين الصديق والعدو، الخلق الحسن، الجرأة والشهامة، حب الخير للآخرين، اجتناب المعاصي والمحرمات، التوازن في السلوك، التواضع في المشي، و...

٣ ـ وقسم آخر من الاهتمامات، يجب تركيزه على:

ـ علاقة الانسان بالله سبحانه وتعالى باعتبارها علاقة مالك ومملوك ورب عليم بما يضرّ عباده أو ينفعهم، رؤوف عليهم رحيم.

فهم المراهقة

إنّ أول ما ينبغي إدراكه عند تربية الفتيات المراهقات هو فهم هذه الفئة وما يدور في عالمها من هواجس ومشاعر ورغبات مختلفة، وذلك من أجل التعامل مع كل موقف أو حالة بما يناسبه أو يناسبها.

لقد قسّم العلماء أعضاء هذه الفئة السنية إلى مجموعات مختلفة وعديدة، ومنهم اشبرانجر الذي قسّمهم إلى ثمان مجاميع[1] هي:

- مجموعة تهتمّ بالقوة العضلية وبالطبيعة، ويمكن تشخيصها من خلال سعيها لامتلاك القوة وتعزيزها والبحث عن السلامة والصحة في الحياة.

- مجموعة نشطة، تعشق الجمال، ويشترك أغلب المراهقين في هذه الخصوصية.

- مجموعة يغلب عليها التفكير والتردّد الذهني وتنظر إلى العالم نظرة استفهامية. ولا نعدم وجود مثل هكذا أشخاص في أوساط المراهقين والمراهقات.

- مجموعة نشطة، ينصبّ اهتمامها في الغالب على التطور وتحقيق مزيد من النجاحات في الحياة.

- مجموعة تحبّ المغامرات والشهرة، وتنزع نحو التسلّط على الآخرين.

- مجموعة تميل إلى الحياة الاجتماعية وإلى الايثار والأُلفة والانسجام في علاقاتها مع الآخرين. انّ هذه الفئة نادرة في الأوساط المراهقة.

- مجموعة خلوقة وغضوبة في الوقت ذاته، وتمتاز بحساسية مفرطة تجاه القضايا الأخلاقية، وقد تثور بشدة عند رؤية أدنى تجاوز لحدود الخلق الملتزم.

---

(١) النظريات الأساسية حول المراهقة، ص١١٨.

ـ مجموعه المتدينين التي نُلاحظ نماذج منها في أوساط المراهقين بأشكال وهيئات مختلفة.

فمن خلال التقسيمات المارة، يمكن تشخيص امزجة الأفراد في هذه المرحلة السنيّة، والتعامل مع تصرّفاتهم وسلوكياتهم وإبداء ردود الفعل تجاهها بما يناسبها.

التواصل مع مستجدّات التربية

ينبغي تذكير أولياء الأُمور والمربّين بنكتة هامة هنا وهي ضرورة التواصل مع الأساليب المستجدّة في التربية وعدم الاكتفاء بطرق وأساليب المعالجة القديمة التي قد تكون غير ناجحة في بعض الحالات والمراحل، لأنّ الشخصية بحسب رأي موريس دبس وملاحظات علماء التربية، تمرّ بأدوار مختلفة ومتغيرة في مرحلة البلوغ، وتصدر منها أفعال وتصرفات غريبة أحياناً[١].

ففي العمل مع الفتيات في هذه المرحلة السنيّة، نعتقد انّ من الضروري للأُم، أو التي تنشط في الحقل التعليمي النسوي، أن تختلي بنفسها بين فترة وأُخرى، وتستحضر مختلف الحالات التي كانت قد مرّت بها وهي في مثل هذه السنّ، وذلك من أجل أن تكون في صورة الأجواء النفسية التي تعيشها هذه الفئة ولتتحرك في معالجاتها انطلاقاً منها.

---

(١) البلوغ لموريس دبس، ص٧٣.

الفصل الرابع

أساليب الدراسة حول المراهقين

القراءة والبحث

من خلال القراءة والبحث حول الحالات النفسية والسلوكية للفتيات المراهقات يمكن الحصول على معلومات قيّمة عن عالمهنّ، ومفيدة جداً في التعامل مع التقلّبات والخلجات الشعورية المختلفة التي تدور فيه.

انّ من المهم جدّاً لأولياء الأُمور والعاملين في حقل التربية، معرفة طبيعة تفكير الشابة المراهقة وما يجيش في داخلها من أحاسيس ومشاعر ورغبات، وكذلك الاطّلاع على الأساليب الناجحة والمفيدة لمعالجة مختلف الحالات. والسبيل إلى ذلك هو القراءة والبحث والتقصّي المتواصل في هذا المجال.

وتزداد أهمية هذا الأمر مع الأخذ بنظر الاعتبار حقيقة انّ هذه المرحلة، من عمر الفتيات تمتاز بحساسية استثنائية في التكوين العاطفي والفكري والأخلاقي لهنّ في المراحل اللاحقة من حياتهنّ الاجتماعية.

أساليب البحث

إنّ أساليب البحث والدراسة حول عالم الفتيات المراهقات هي ذاتها المعمولة في حقل الدراسات والعلوم الانسانية. وسنحاول هنا تقديم بعض الارشادات بما يناسب المقام بالاستعانة بأساليب علم النفس التربوي، والاجتماعي، والطبي.

إنّ ذكر الأساليب في هذا الكتاب بشكل تفصيلي قد لا يكون في محلّه، لأنّ الكتاب من جهة ليس مؤلّفاً أكاديمياً وجامعياً، وغالبية الذين يخاطبهم يتكوّنون من أولياء الأُمور والمربين من جهة أُخرى، كما إنّ الحديث عن هذا المجال يطول

ويتّسع بطبيعته، وبإمكان الراغبين بالتفصيل الرجوع إلى المؤلّفات الأكاديمية المتخصصة بهذا الشأن، ولذا سنكتفي بذكر بعض المسائل التي نعتقد أنها مفيدة ومناسبة مع مراعاة جانب الايجاز والاختصار.

أساليب الدراسة النفسية

١ ـ أُسلوب المشاهدة: في هذا الاسلوب يتم الرجوع إلى الواقع، أي جمع المعلومات عنه والتعامل معه على أساسها دون محاولة التدخل فيما هو واقع. المشاهدة تعني رؤية التصرفات الشخصية في مختلف الحالات، وتلاحق أهدافاً معينة تحاول الحصول على معلومات بشأنها وفق برنامج معدّ مسبقاً. وقد تكون المشاهدة مباشرة أو غير مباشرة، داخلية أو خارجية، طبيعية أو غير طبيعية.

٢ ـ أُسلوب الاختبار: الاختبار عبارة عن التدخل في واقع ما ومحاولة الاخلال به بهدف معرفة ردود الفعل. وبعبارة أُخرى: أحياناً نسعى إلى اختبار ردود فعل حالة معينة من خلال تصرّف أو قول ما، كأن يكون مثيراً أو عاطفياً أو مخيفاً، وذلك من أجل دراسة أعراضها.

٣ ـ أُسلوب المحاورة: المحاورة نوع من اللقاء الحضوري، يتم فيه تبادل أطراف الحديث مع الشخص المعني واستنطاقه بالتدريج من خلال مختلف أنواع الأسئلة بهدف الحصول منه على المعلومات المطلوبة عن مختلف أبعاد شخصيته. ويمكن أن يكون الحوار تارة بشكل منظّم ومعدّ له مسبقاً، وتارة أُخرى بشكل عفويّ ومفتوح.

٤ ـ الاستطلاع المكتوب: في هذا الاسلوب، نسعى إلى الحصول على المعلومات المطلوبة عن الحالات النفسية للشخص أو الأشخاص المعنيين عن طريق تنظيم الاستطلاعات المكتوبة التي تحتوي على مختلف أنواع الأسئلة.

وقد تكون أسئلة الاستطلاع مختصرة ومحدودة وتكون الاجابة عليها بصيغة نعم، لا، أو صحيح، خطأ، أو مفتوحة وأجوبتها تشريحية ومطوّلة نسبياً. وبطبيعة الحال، فإن كل واحد من الشكلين المذكورين يستخدم في الموارد الخاصّة به.

٥ـ الأُسلوب السريري: ويستخدم هذا الاسلوب بواسطة الفحص والمعاينة في عيادات العلاج النفسي وكما يلي:

ـ أُسلوب الاختبار؛ وذلك من خلال اختبار الأبعاد النفسية والفكرية والعاطفية لمعرفة ما إذا كان الشخص طبيعياً في هذه الجوانب أم يعاني من اختلالات بحاجة إلى علاج. ويتمّ اللجوء في هذا الأُسلوب أحياناً إلى الاستعانة بفنّ الربط بين مختلف العواطف والهواجس وتحليلها بهدف إعادة تنظيمها.

ـ أُسلوب التحليل النفسي؛ المقصود منه النفوذ إلى الأعماق النفسية للشخص بهدف التعرّف إلى مكوّناته الشخصية وتناقضاتها النفسية.

وقد تتمّ الاستعانة في هذا المجال بأُسلوب التداعي.

ـ أُسلوب الفحص العضوي أو التكويني الذي تتم فيه دراسة مراحل النمو لدى الشخص استناداً إلى معايير النمو، ابتداءً من مرحلة التكوين الجنيني ومروراً بالمراحل اللاحقة في حياته.

ـ أُسلوب دراسة حياة الشخص بالاستعانة بالمعلومات التي يتمّ الحصول عليها منه عن حياته.

الدراسة بأساليب أُخرى

ويمكن الاستعانة بأساليب علمية أُخرى أيضاً في سبيل تربية وإرشاد الفتيات، منها:

أُسلوب الادراك والتفاهم المعمول به في مجال علم النفس الاجتماعي،

وهو نوع من العلاقة والانسجام والصميمية بين شخصين .

ـ أُسلوب العلاج الطبي العضوي ، وهو أُسلوب مستقلّ وخارج عن مجال هذا البحث .

ـ أُسلوب الاستعانة بمطالعة دفتر مذكّرات الشخص .

ـ الأساليب الاحصائية ، وأُسلوب تسجيل الملاحظات عن حياة الأشخاص باستمرار ، وإلى آخرها من الأساليب المبتكرة من قبل علماء النفس والتربية .

مراحل الدراسة

إنّ المراحل التي يجب الالتزام بها في دراسة المجالات المذكورة هي ذاتها المعمول بها في الكتب التخصيصية ، وهي على النحو الاتي :

ـ تعيين أو انتخاب موضوع الدراسة .

ـ تعيين حدود وسعة الموضوع الذي يراد البحث حوله .

ـ تجميع المعلومات عن موضوع الدراسة .

ـ تدوين المعلومات وترتيبها على شكل بطاقات منتظمة .

ـ البحث والتقصّي بين المعلومات بهدف تكوين فرضيّة أولية بشأن الموضوع .

ـ اختبار الفريضة بهدف التأكد ممّا اذا كانت صحيحة أم لا .

ـ الوصول إلى استنتاجات قائمة على أُسس علمية .

ـ وفي المراحل الأُخرى ، يتمّ الربط بين الاستنتاجات وصولاً إلى تكوين نظرية متكاملة حول الموضوع .



الباب الثاني

تمهيد

نتناول في هذا الباب بعض خصائص الفتيات المراهقات بالبحث والدراسة في ثلاثة فصول؛ ففي الفصل الأول نتحدث عن الخصائص العضوية لديهن بتسليط الأضواء على نمو أعضاء الجسم، ونمو العظام، ووزن الجسم وقوته ومقاومته، وعلى وضع القلب، والدورة الدموية، والغدد والهرمونات وآثارها على سلوك الشخصية.

كما ونبحث، في الفصل الثاني، حول الخصائص الذهنية والنفسية للفتيات، ونبيّن أوضاعهن من الناحية الذهنية والعقلية، وما يجيش في داخلهنّ من مشاعر وأفكار ورغبات.

وأخيراً، نبحث في الفصل الثالث، حول الخصائص العاطفية لديهنّ فيما فيه الحياء، والميل إلى الرقّة والجمال، والانجذاب إلى الجنس الآخر، وحول ما إذا كنَّ في وضع طبيعي أم في سُكر وهيام.

الفصل الخامس

مقدّمة

إن أوضح ظاهرة في المراهقة هي النمو السريع في أعضاء الجسم. ويتركز هذا النمو في إيقاعاته المتسارعة على الأطراف بشكل خاص، إلى درجة يلفت فيه انتباه أولياء الأُمور خلال أقلّ من عام. وفي هذه الأثناء تطول أطراف المراهق دون أن تتضخم جثته.

فالفتاة ـ أو الفتى ـ التي قد لا يزيد نمو طولها عن أربعة سانتمترات في السنة، في سنّ التاسعة، تزداد نسبة النمو لديها، في سن الحادية عشر، لتبلغ فجأة ٥/٧ ـ ٩ سانتمتر في السنة الواحدة. وهو الأمر الذي يدعو أولياء الأُمور إلى الانزعاج وإطلاق الشكاوى بقولهم في كل أُسبوع تقصر الثياب عليها أو عليه!!

نمو العظام

يزداد نمو العظام الطويلة في الجسم، في هذه المرحلة بإيقاع متسارع إلى درجة تبدو فيها الأطراف احياناً وكأنها قد أخلّت بالوضع الطبيعي للجسم.

ويتفاوت النمو في العظام بين الذكور والإناث، ففي الإناث يتركز النمو على عظام الحوض، ويؤدي إلى اتّساع الحوض وإلى تداخل المنكبين. إنّ نمو عظام الحوض يعد من أهم التغييرات العضوية لدى الفتيات في مرحلة البلوغ، وبدونه تنعدم امكانية الوضع لديهنّ.

وفيما يخصّ نسبة تقدم الإناث على الذكور في نمو العظام خلال هذه المرحلة، فانّ التحقيقات الجارية بواسطة الصور الملتقطة عن طريق الأشعة غير المرئية لليد والمرفق تشير إلى تقدم الإناث على الذكور في سنّ الثالثة عشر بسنتين تقريباً، وتصدق هذه الحالة على الصفات الجنسية الثانوية أيضاً.

(سنتحدث عن هذا الموضوع لاحقاً).

انّ العظام الطويلة، كعظم الساعد والساق، تنمو بشكل متسارع جداً، وتؤدي إلى اكتساب الشخصية هيئة غير متناسقة في بداية الأمر، لكن الجسم يأخذ شكله الطبيعي بالتدريج وبطبيعة الحال، من أجل أن تنضج الفتاة تماماً وتأخذ شكل امرأة كاملة، يجب انتظار سنوات ما بعد البلوغ.

نموّ الأعضاء

فمع بداية هذه المرحلة من عمر الفتيات، يبدأ النهدان يكبران، وتشرع الهالة السوداء، في أطراف رأس النهد بالاتساع التدريجي إلى أن يكتمل النهد ويأخذ شكله النهائي خلال سنة ونصف السنة. وتُعد هذه الحالة مقدّمات النضوج والاكتمال لدى الفتاة، والتي تؤهلها للعب دور الأم وإرضاع الطفل.

إنّ الأطراف أسرع في النمو من الأعضاء الأُخرى، ويؤدي ذلك أحياناً إلى عجز الشخصية عن التطابق والانسجام معه، حيث تبدو افعالها وحركاتها ساذجة في بعض الموارد حين الذهاب والإياب، أو عند استخدام اليد في نقل الاشياء من مكان إلى آخر.

وكما ذكرنا فيما مر، فانّ القسم المرتبط بالحوض يتّسع، خلال هذه المرحلة، وفي الواقع إنّ عملية الاتساع هذه هي مقدمة لتأهيل الفتاة وإعدادها لأن تكون جاهزة للحمل والانجاب.

وزن وقوة الجسم

ويترافق مع هذه المرحلة ازدياد في وزن الجسم. فبدلاً من الزيادة البالغة ٢/٥ ـ ٤ كيلوغرام في السنة، قبل الدخول في سنّ المراهقة، تزداد النسبة الآن بمقدار ٥ ـ ١١ كيلوغراماً في السنة، ولكن دون أن تبدو على الشخص البدانة.

وبزيادة الوزن تزداد قوة وتحمّل الشخص من الناحية العضلية ، وبالطبع فانّ القوة العضلية لدى الفتيات هي أقل من قوة الفتيان .

وبتبع ذلك ، تزداد قدرة أعضاء هذه الفئة على التحمّل والمقاومة أمام الصعاب والمشاق . فبإمكانهم أن يتحملوا الجوع والعطش ، ويقاوموا الأمراض والآلام والمشاقّ ، وتمتاز الفتيات في هذا المجال بأنهنّ أكثر تحملاً من الفتيان للمشاكل العضوية ولسوء التغذية[١] .

وبشكل عام ، فانّ ايقاع النمو سريع في هذه المرحلة من الحياة ، ولا توجد مرحلة أُخرى غير هذه يمكن أن ينمو فيها الانسان بهذه الوتيرة وبهذه السرعة .

وضع القلب

باستثناء الرأس ، فانّ جميع أعضاء الجسم تنمو في هذه المرحلة ، كما ويشمل النمو الأجهزة الداخلية للجسم أيضاً ، مثل القلب والكبد والمعدة . ففي سنّ ١٢ ـ ١٦ يزداد حجم القلب بمقدار الضعف ، وتستمر هذه الزيادة في الحجم ويرافقها نمو في الأوعية الدموية . ويبلغ وزن القلب أقصى حدوده في مرحلة البلوغ[٢] .

التمثيل الغذائي

إنّ التمثيل الغذائي ، في أعلى درجاته ، يعدّ حالة طبيعية في مثل هذه المرحلة . فالمراهق في هذه السنّ ، يكون في الغالب ـ في حال الأكل والالتهام المستمر ، بحسب تعبير البعض ، باستثناء حالات قليلة يعاني فيها بعض أفراد هذه الفئة من فقدان الشهية والاكتئاب .

---

(١) البلوغ ، موريس دبس ، ص ٢٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٤ .

انّ للنشاط والحركة والجري دور رئيس في عملية التمثيل الغذائـي فـي الجسم. ولأن المراهقين يمتازون بكثرة الحركة والنشاط في هذه المرحـلة، لذا فانّ عملية الهضم والامتصاص الغذائي تبلغ لديهم درجات عالية خصوصاً فـي جهة الأفخاذ التي تعدّ بمثابة المعدة الثانية للانسان بحسب علم البايولوجي.

وضع الغدد والهرمونات

يقول اوستاس تشسر: إنّ الغدد الداخلية هي من جملة أقسام الجسم التي ما زال الكثير من أسرارها خافياً عنا. اننا نستطيع فقط ذكر وظائفها، لكننا لا نعلم دائماً لماذا وكيف تؤدي هذه الوظائف؟ انّ مرحلة المراهقة هي فترة نشاط الغدد الداخلية، ومنها الغدد العضوية، حيث تنشط غدة الـ **Hypophyse**، المحركة للغريزة الجنسية، بترشّح الهرمونات الخاصّة منها.

إنّ الترشّح الهرموني وتكاثفه يؤدي إلى بروز تغييرات فيسيولوجية كبيرة في الجسم، فيزيد حجم الجسم ووزنه ونشـاطه، وكـذلك يـؤدي إلى حـصول الاثارات العاطفية التي تنعكس مفاعيلها على السلوك الشخصي.

من بين الهرمونات المهمةلدى الفتيات يـمكن الاشـارة إلى الهـرمونات المؤنثة في المبيض، التي تقوم بوظيفتين هامتين: الأُولى: إنـتاج المشـخصات الجنسية الثانوية وتخصيب الجهاز تناسلي، والثانية: تنظيم الدورة الشهرية.

إنّ هذه العمليات تؤدي بطبيعتها إلى انشغالات ذهنية وتقلّبات مزاجـية، وحتى إلى حالة من القلق والاضطراب أحياناً، ويمكن لأولياء الأُمور والمربّين معالجتها بالارشاد والتوجيه.

الرقّة والجمال

إنّ جانباً هاماً من حياة الأشخاص، خلال سني المراهقة، يتركز على نمو

مظاهر الرقة والجمال. ويحظى هذا الجانب باهتمام الفتيات على وجه خاص، حيث يظهرن ميلاً واضحاً إلى الاعتناء بأشكالهنّ، ويُسرّون جداً لسماعهنّ عبارات التمجيد والاشادة بجمالهنّ... حتى قيل إذا افتقدت احداهن، ستجدها أمام المرآة!!

إنّ نمو الجانب الجمالي ليس مقتصراً على النوع البشري وحسب، بل إننا نلاحظ شيئاً من هذا القبيل حتى لدى الحيوانات في مرحلة معينة من أعمارها، خصوصاً الطيور بمختلف الوانها وأصواتها[١]. ويصدق هذا الأمر بشأن الانسان في حالتين:

الأُولى ـ بشكل طبيعي، حيث يكتسب الأشخاص هيئة الرجال أو النساء، ويكسي أشكالهم نوع من الوسامة والجمال على أثر الافرازات الهرمونية خلال مرحلة المراهقة.

والثانية ـ بشكل متصنّع، حيث التزيين والاعتناء بالملبس والهندام، خصوصاً لدى الفتيات اللاتي يبذلن اهتماماً متزايداً في هذا المجال.

آثار الحُسن والقبح

إنّ من شأن التصور الذي ينطبع في أذهان الفتيات عن حسنهن أو قبحهنّ أن يترك آثاراً واضحة على نفسياتهن وعلى سلوكهن في الحياة. وبحسب رأي هاوفيلد، إنّ جمال الفتاة له دور كبير في طبيعة نظرتها إلى الحياة، فقد تغترّ بجمالها كثيراً فتتكبر وتتعالى على الآخرين إلى حدّ الجفاء، أو أن تندفع إلى التبرّج والتهتك. وهذا هو سرّ الكثير من حالات الاستهتار.

ومن هنا نحسب انّ من الخطأ الفادح في الأُسرة وحتى داخل المجتمع،

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص ١١٤.

الاهتمام الزائد عن الحدّ بحسن وظرافة الجميلات، لأنّ ذلك يعدّ من جهة ظلماً وجفاءً بحق غير الجميلات، كما ومن شأنه، من جهة أُخرى، أن يترك آثاراً نفسية خطيرة على الطرفين، ليس أقلّها اغترار الجميلات، وشعور غير الجميلات بالحقارة.

الفصل السادس

الخصائص الذهنية والنفسية للمراهقين

مقدّمة

إنّ التغييرات التي تحصل في مرحلة المراهقة واسعة وتشمل جميع أبعاد حياة الشخص. ويعيش المراهق في هذه الفترة حالة نفسية قلقة تتماوج في داخله على أثرها مختلف الأفكار والخواطر والميول.

وتخطر في بال الفتى أو الفتاة قضايا لا يجد لها تفسيراً مقنعاً، ويفقد القدرة على التفكير السليم، وعلى التمييز بين ما هو صائب أو خاطىء من مشاعره ورغباته وميوله. وبحسب رأي أحد العلماء، فإنه يعاني خلال هذه الفترة من نوع من البلادة والحيرة، تقلقه شخصياً وتدفع المحيطين به إلى وصمه بالجهل والغباء.

القدرات العقلية

بخلاف التصوّرات القائمة حول تنازل مستوى الذكاء لدى أفراد فئة المراهقين، فإنهم، وطبقاً للاختبارات الجارية يتمتعون بدرجات عالية من الذكاء خلال هذه المرحلة. لقد أطلق بعض العلماء أحكاماً متسرعة في هذا المجال بقولهم انّ الاختلال الفكري، خلال فترة المراهقة حالة عامة تشمل جميع المجتمعات.

إنّ ما يعتبره هؤلاء اختلالاً فكرياً لدى المراهقين، ناتج في واقع الحال عن تعارض أفعال وسلوك المراهقين مع رغبات الكبار.

فالثابت لدينا بالملاحظة هو انّ الأبناء ينزعون، في هذه المرحلة، إلى التمرّد والعصيان، ونجدهم أحياناً يتظاهرون بالجهل والغباء بهدف التحرر من أوامر ونواهي أولياء الأُمور، وإلاّ فإنهم يمتازون بدرجات عالية من الذكاء والفطنة في الموارد التي تنسجم مع ميولهم.

الأبعاد الذهنية الأُخرى

تفيد الدراسات والبحوث حول أفراد هذه الفئة بحصول بعض الاختلالات الذهنية لديهم، ومبعث ذلك يعود إلى انشغالاتهم الذهنية بالمسائل الجانبية، وليس لضعف في الذاكرة.

إنّ قوّة الذاكرة تبلغ ذروتها في سنّ ١٣ ـ ١٦، وتتفوق الإناث على الذكور في سنّ الرابعة عشر، في فهم وحفظ المعلومات[١]، كما وتمتاز الإناث أيضاً بخصوبة الخيال، وبشدة التفاعل العاطفي مع الأشياء.

وبقصارى الكلام، فانّ العقل متوثب، في هذه المرحلة من العمر، والذاكرة نشطة، وقابلية الاستلام والحفظ موجودة بالتمام والكمال، الّا انّ ما يعيق معامله ويعرقله، في بعض الحالات، هو الانشغال الذهني وتشتّت الحواس.

النموّ الذهني

خلافاً للرأي القائل بأنّ النمو العضوي في مرحلة المراهقة يرافقه ضمور في معامل الذاكرة، وفي القابلية على الفهم، فإننا نعتقد أنّ هذه الفترة بالذات هي فترة التوقد الذهني التي تبرز فيها الفوارق الفردية بين الأشخاص.

إلّا انّ النمو الذهني لدى المراهق قلق وغير مستقر على وتيرة واحدة حيث يتوقف أو يتراجع في بعض الحالات، مما يتطلب القيام بعملية حثٍّ وتحفيز للشخص في سبيل استئناف نشاطه الذهني واستمرار تناميه نحو المراحل الأعلى.

البعد الفكريّ

إنّ من الصحيح علمياً القول بأنّ المراهق قد اجتاز من الناحية الفكرية،

---

(١) تحقيقات المؤلف حول فئة من المراهقين.

المرحلة الانضمامية، وهو الآن على مشارف المرحلة الانتزاعية. إلّا انه يجب أن لا تغيب عن البال حقيقة إنّ التطرف العاطفي، والاستدلال الخاطىء، وقلّة التجربة، هي أشياء من شأنها أن تقولب تفكير المراهق على نحو قد لا يكون سليماً.

عل أية حال، يبلغ الفتى أو الفتاة، خلال هذه المرحلة درجة لا بأس بها من النمو الفكري، ويحاول أن يكون له كياناً ورؤية مستقلّين في الحياة، كما ويتولد لدى المراهق في فترة لاحقة حافزٌ إلى مناقشة أفكار وأفعال الآخرين.

إنّ ميل المراهق إلى مناقشة كل ما يثير فضوله من آراء وأفكار، هو حالة طبيعية تفرضها المرحلة، وينبغي على أولياء الأُمور والمربين تقبلها والتعامل معها برحابة صدر. وبالمناسبة فإنّ ميل المراهق إلى الاستدلال والمنطق هو فرصة طيبة يمكن استثمارها في إرشاده وتوجيهه بنفس المنطق الذي يطالب به!

نزعة التحرّر

يسعى المراهق إلى التحرر من الحالة الطفولية، وإلى أن تكون له حياةً مستقلة عن وصاية الغير... انه يدعي أن باستطاعته الاعتماد على نفسه في شؤونه والاستغناء عن مساعدة الآخرين. وهذه الحالة ليست مضرة بذاتها، ومن شأنها أن تكون جسراً للعبور نحو مزيد من التطور والنضوج، شريطة أن ترافقها عملية إرشاد وتوجيه واعية من قبل أولياء الأُمور والمربّين.

إن ميل المراهق إلى التحرر من القيود ونزوعه إلى الاستقلال التام بحياته في هذه المرحلة أشبه ما يكون بحال حمامة صغيرة تحاول الطيران قبل أن يطلع لها ريش وتصبح قادرة على ذلك. إنّ السماح بالطيران قبل أوانه يعد نوعاً من التشجيع على السقوط، وينبغي حساب عواقبه الخطيرة.

فمن الناحية المبدئية يعدّ الميل لدى المراهق إلى الاعتماد عـلى النـفس والاستقلال بالشخصية شيء حسن ومقبول؛ ينبغي تشجيعه وتثمينه، إلّا أنه في الوقت ذاته يجب على أولياء الأُمور والمربين إعمال الرقابة والاشـراف عـليه، وتوجيهه بالشكل الصحيح، لئلّا يخرج عن الضوابط الشرعية ويتّجه إلى سلوك مسالك منحرفة.

الفصل السابع

الخصائص العاطفيّة لدى المراهقات

مقدّمة

يرافق النمو العضوي المتسارع لدى الفتاة في هذه المرحلة من العمر، نشاط فطري وغريزي من نوع آخر، فتتحرك العواطف والمشاعر في مجال جديد يترك آثاره على طبيعتها وسلوكها بشكل يضع أولياء الأُمور أمام واقع جديد.

فإذا نظرنا إلى مرحلة المراهقة من هذه الزاوية، فإنه يجب اعتبارها فترة التفتح والنشاط العاطفي الخاص، حيث تغادر الفتاة تعلّقها بوالديها، وتتّجه بعواطفها واهتماماتها إلى بنات سنّها، وإلى أبناء الجنس الآخر، وإلى الحياة الزوجية.

ويبدو انّ للترشّح الهرموني في الدم بواسطة غدة الـ **Hypophyse** دورٌ فعّال في هذا التبدل العاطفي. إنّ النشاط العاطفي يتكاثف في هذه الفترة عند الفتاة إلى درجة تثيرها أدنى عبارة أو حركة، وتتضح على وجنتيها أمارات الانفعال والخجل.

التبدّل العاطفي

من المميزات الظاهرة في مرحلة المراهقة، سرعة التبدل العاطفي، حيث إنها قلقة وغير مستقرة على حال أو لون معين. ففي الوقت الذي يكون فيه أعضاء هذه الفئة العمرية مسرورين ومنبسطين، يمكن أن تتغير هذه الحالة ليحلّ محلّها الغمّ والهمّ لأتفه الأسباب. فتارة يحبّون بشدّة وأُخرى يكرهون بشدّة.

إن وجود العواطف ضرورة إنسانية، وقد وصفها علماء التحليل النفسي

بعامل النشاط والتقدم الانساني . فقد اعتبرها هلن دوتش ، في كتابه تحليل نفسية الفتيات من تجلّيات ديناميكية النفس التي تتمظهر بأشكال مختلفة ، وهي في الواقع بمثابة ردود فعل طبيعية على المحيط الخارجي .

إنّ معامل هذه العواطف تتمظهر بأشكال مختلفة ، منها التمرّد على القيود العاطفية وعلى حالات التبعية للغير ، وعلى ما كان مألوفاً في مرحلة الطفولة من تعلّق عاطفي شديد بالوالدين و... وقبل أن تتمركز عواطف الفتاة وتستقر حول الجنس الآخر فإنها تتعرض إلى نوع من القلق والاضطراب الممزوج بالحيرة.

كما ويميل الكثير من أعضاء هذه الفئة إلى التفكير بالمستقبل . وإلى العمل على ضمان هذا المستقبل ، ومن هنا فإنهنّ يسعين إلى التعرّف على قوانين وأعراف الحياة العاطفية ، وإلى كسب المهارات في مجالات الحبّ والغرام ! ولا شكّ في تأثير إيحاءات ما يلاحظنه أو يسمعنه من الآخرين في هذا المجال .

جاذبية الحبّ

تنجذب الاناث إلى الحبّ مبكراً . وبحسب رأي موريس دبس ، فإن عاطفة الحبّ لدى الإناث هي أخصب ممّا لدى الذكور بكثير (إلّا انّهنّ مختلفات عن الذكور في مجال الاستمتاع الجنسي).

والجدير بالذكر هنا أيضاً انّ الاناث يرغبن في أن يكنّ محور ومركز الجذب في الحبّ وليس العكس ، وهذه الحالة هي واحدة من الفوارق العاطفية بين الجنسين .

وفي ذات الوقت ، فإنّ الإناث في مرحلة المراهقة يتمتّعن بدرجات عالية من الاخلاص والصدق ، وبميل عاطفي شديد إلى التضحية من أجل ما يحببن . والخطر الذي يكمن هنا هو تغلّب الشعور العاطفي الطافح على المنطق والتفكير السليم ؛ الأمر الذي تدعو إلى اعمال الرقابة عليه وترشيده باستمرار .

لكنه فيما يتعلق بحبّ المراهقات لا بدّ من الاذعان بأنه ـ وبحسب موريس دبس ـ لا يعدو أكثر من صورة كاريكاتورية عن الحبّ... إن حبّهنّ يمازجه نوع من الغموض والالتباس، فعلى سبيل المثال، بدلاً من أن تتحرك طاقاتهن الجنسية باتجاه الجنس الآخر، فانها تتّجه إلى أنفسهن أحياناً... إنّ هؤلاء يتحدّثن عن الحبّ ويتخيّلنه قبل أن يعرفن ما الحبّ.

التعلّق بالجمال

يكتسب الجمال العضوي لدى الفتيات أهمية استثنائية وكلّما كان هذا الجمال منسجماً مع نظرتهن اليه، كلما زاد تعلّقهن واستمتاعهنّ به إلى درجة يتحول معها الاهتمام بهذا الجانب، عند بعض المراهقات، إلى نوع من العبودية والهيام من المفرط بالجسد[1].

ولا يتوقّف اهتمام المراهقات بالجمال عند الجانب العضوي وحسب، بل ويتجاوزه إلى الاهتمام بالكمالات الأُخرى أيضاً... إنّهنّ يسعين إلى بلوغ حدّ الكمال في مجالات العلم، والأخلاق، والأدب، وحتى العبادة، خصوصاً عندما يتلبّسن بلباس أصحاب القيم والمبادىء ويحاولن مجاراة الكبار في السلوك.

الحياء

فكما تمتاز الفتيات خلال مرحلة المراهقة بالكبرياء والغرور، يتميّزن بخصلة الحياء والخجل أيضاً، والأخيرة تعدّ نعمة كبيرة لهنّ، وصيانة من كثير من حالات السقوط والانحراف. فاذا قلّ الحياء قل التورّع عن ارتكاب المعاصي والذنوب. وقد أشار الامام علي عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله: **«من قلّ حياؤه قلّ ورعه»**.

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص ١١٤.

إنّ الفتاة المراهقة تتجاذبها حالتان: حالة الميل والرغبة بالاستمتاع بالجديد من اللذائذ من جهة، وحالة الحياء والخجل التي تحول دون إطلاق العنان لرغباتها من جهة أُخرى، وإذا قدر لهذا الحياء ان يزول بنحو وآخر، فإن حصن الفتاة يكون قد انهار على رأسها، ولدينا في الاسلام روايات وأحاديث تشير إلى هذا المعنى، وتفيد بأنّ اللمسة الأُولى تزيل ثلث الحياء، وأول ارتباط جنسي يزيل الثلث الآخر، و... وبالتالي يجب إدراك حقيقة انّ الحياء حصن الفتاة، و«**لا إيمان كالحياء والصبر**»[١].

المشاكل العاطفية

تنشط في هذه السنين الميول والرغبات العاطفية، وتزداد وتتّسع مع تقدّم العمر. وتتفوّق الإناث على الذكور في هذا المجال. وقد وصفت هذه المرحلة لشدة الاثارة العاطفية فيها بفترة الفوران العاطفي.

فمع كل ما في هذه الحالة من جوانب جمالية إيجابية، إلّا أنه يرافقها بعض المشاكل العاطفية السلبية أيضاً، خصوصاً لدى الاشخاص المحرومين من نعمة التربية الصحيحة، وتتجلّى هذه السلبيات في جانب منها على شكل التهتّك في إبراز العواطف، أو الاستجابة لدعوات الاغيار التي تؤدي إلى حصول مفاسد أخلاقية، نلاحظ نماذج منها في بعض الأوساط الاجتماعية.

ومن التجلّيات الأُخرى للشذوذ العاطفي في هذه المرحلة السعي إلى الاطّلاع على القضايا الجنسية، ومحاولة إقامة علاقات غير شرعية ومنحرفة من وجهة النظر الإسلامية.

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، الرقم ٣٤٩.

قلنا إنه في سني المراهقة تتفتح الميول وتنشط العواطف، ونضيف انّ هذه المرحلة يرافقها نوع من الفوران العاطفي الذي يؤدي إلى وقوع افراد هذه الفئة تحت التأثير الشديد والسريع لمختلف الاثارات العاطفية.

إن حياة المراهقين في هذه الفترة تكتسب وضعاً جديداً ومختلفاً. فيميلون إلى إلفات نظر الآخر وإثارته إشباعاً لرغباتهم، ويتّجهون إلى قراءة نوع خاص ومثير من الأدب، وحتى الذين يستمعون الموسيقى، يميلون إلى الاستماع إلى نوع جديد من الايقاع الموسيقي، لأنّ الايقاعات القديمة لا تشبع رغباتهم، كما ويتطرفون في استعمال العطور، ويتّجهون إلى استعمال النوع المثير منها.

لقد أشار موريس دبس إلى مسألة هامة في وصف أفراد هذه الفئة بقوله: انّ الفوران العاطفي لديهم يتقاطع مع نموّهم الفكري، ويعدّ حركة تراجعية إلى الوراء، إذ يصبح سلوكهم أشبه بسلوك الأطفال العاجزين عن ضبط ميولهم العاطفية[1].

خدر وحساسية

يبدو ان المراهقين يمضون أوقاتهم في ملاهيهم وهم في شغل شاغل عمّا يحيط بهم، ويتصوّر المحيطون بهم إنّ أكثرهم أشخاص لا أُباليون، ولا يكترثون بشيء من حولهم وسواء عندهم غرّبت الدنيا أم شرقت كما يقولون.

إنهم أُسارى الحسن والجمال، سواءً الجمال الموجود في الطبيعة أو ذلك المسطّر في متون الأدب من أشعار وقصص وروايات وما إلى ذلك، وحتى الاعجاب الشديد بشخصياتهم أحياناً، ومن هنا نجدهم يقضون أوقاتاً طويلة أمام المرآة؛ الأمر الذي دفع بعض علماء التحليل النفسي إلى وصف طبيعة تفكيرهم

---

(١) نفس المصدر، ١١٣ ـ قصار الحكم.

بالنرجسية[1].

لكنه ومع ذلك كله، فانّ سنّ المراهقة هي سنّ الحساسية المفرطة والتأثر السريع بالأشياء، حيث ينثار وينزعج المراهق بشدة لأبسط المسائل التي لا تتوافق مع ميوله ورغباته، وتصبح الأوضاع بنظره جحيماً لا يطاق اذا ما شعر بأدنى ظلم أو تمييز بحقه، وهو ما يلفت انتباه أولياء الأُمور والمربين اليه بشدة.

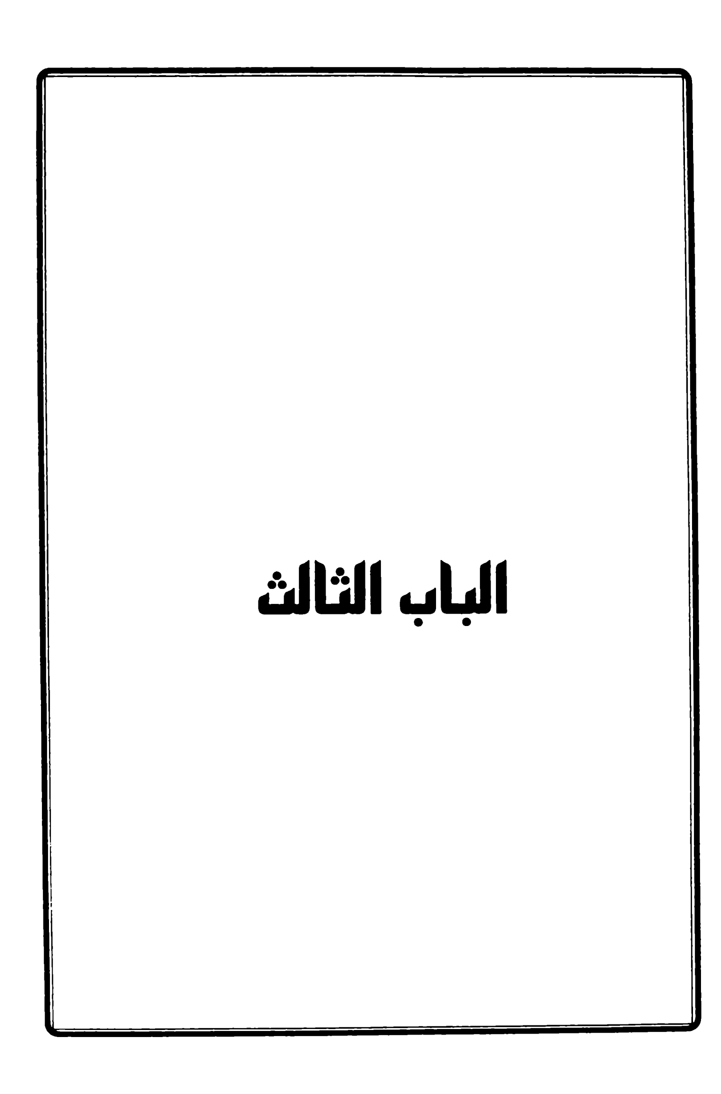
وفيما يخصّ أسباب هذه الحالة فقد أرجعها البعض إلى صحوة ونشاط الغريزة[2]، وقال فريق آخر إنها ناتجة عن ظروف نفسية متأزمة[3]، وذهب الآخرون إلى اعتبارها ناشئة عن رقّة العاطفة، وحبّ التفوق الذي تواجهه عقبات، وطبيعة عمل الغد و[4] ... إلّا انّ ما يمكن استنتاجه من أسباب هو مجموعة من هذه المسائل.

(١) البلوغ، موريس دبس، ص ٩٩.

(٢) علم تحليل نفسية الفتيات، هلن دوتش.

(٣) فرويد، أدولف، هاوفيلد و...

(٤) كارن هورناي، وهلن دوتش، و...



الباب الثالث

تمهيد

لقد خصّصنا هذا الباب لبيان الخصائص الاجتماعية للفتيات المراهقات، وتحدّثنا، كما في الأبواب والفصول السابقة، حول المسائل العامة للمراهقة في ثلاثة فصول.

فقد أفردنا الفصل الأول للحديث حول أخلاق المراهقات وتقلّباتها، وبيان حالات التمرد والتهرّب عن الإلتزام بالأعراف والضوابط الأخلاقية لديهن.

كما وسلّطنا الأضواء، في الفصل الثاني، على الخصائص الاجتماعية للفتيات المراهقات، ونوع العلاقات التي يملن اليها، وكذلك طبيعة علاقاتهن بالوالدين، وبالأصدقاء، وعلى الأشياء التي يفتتن بها بشكل خاص، وما يرغبن به من آداب وتقاليد وأعمال خلال هذه المرحلة السنيّة.

وكذلك تناولنا، في الفصل الثالث، الخصائص الذهنية والسلوكية لديهن في بعديها النظري والعملي، وسعينا إلى بيان مكوّناتهن الشخصية، فيما هي الثبات السلوكي، والازدواجية، والقلق والاضطراب، والميل إلى الوحدة والانزواء.

الفصل الثامن
في البعد الأخلاقي

مقدّمة

لقد اعتبر فريق من المتخصّصين مرحلة المراهقة بأنها واحدة من أكثر مراحل الحياة تأزّماً، وقد شبّهوها بالعاصفة العاتية، وقالوا:

إنّ هذه العاصفة تهزّ المراهق هزّاً عنيفاً إلى درجة يمكن معها القول انه يعيش خلالها حالة من القلق والاضطراب والحيرة الشديدة. وما أكثر المراهقين والمراهقات الذين يتعرضون إلى صدمات نفسية وأخلاقية كبيرة إثر هذه العاصفة، ويتسببون في مشاكل واحراجات عديدة لأُسرهم وللقائمين على أُمور التربية.

انّ السلوك الذي تسيّره العواطف والأحاسيس، خصوصاً العواطف المنفلتة عن عقال الفكر والمنطق، هو الذي يتسبب في حصول الكثير من المشاكل الأخلاقية. ولا شكّ في حقيقة انّ مرحلة المراهقة هي فترة فوران العواطف وجيشان المشاعر والأحاسيس التي تترك آثاراً مباشرة على سلوك ونفسية المراهقين، وقد تؤدّي إلى عواقب وخيمة في حال إغفالها أو استسهالها من قبل أولياء الأُمور والمربين.

تغيّر السلوك

إنّ ما تعتاده الأُسر من أبنائها قبل سنّ المراهقة هو الطاعة والتسليم بأوامر ونواهي الأبوين، والخضوع التام وعدم إبداء المقاومة حتى في حالة تعرّضهم إلى الضرب والعقاب من قبلهما.

الّا انّ ما تواجهه الأُسرة في مرحلة المراهقة من سلوك أعضاء هذه الفئة هو

شيء مختلف عن سابقة حيث تعتبر الفتاة نفسها قد كبرت ولا تفرق عن والدتها، مثلاً، في شيء، ولابدّ أن تكون المعاملة معها على نحو آخر. ومن هنا فإنها لا تعد تأخذ أوامر ونواهي الوالدين على أنها مسلّمات يجب الالتزام بها، وإنما تعمل فيها فكرها وتتّخذ القرار الذي تقتنع به وإن كان متعارضاً مع رأي الوالدين.

إنّ سلوك الفتاة المراهقة ينتظم ويتشكّل بالتدريج، ويتّجه نحو مدارج النضوج والاكتمال، إلّا انّ الوصول إلى هذا الهدف يتطلب فترة زمنية أولاً، وصبر وتحمل أولياء الأُمور والمربين ثانياً.

أثر البيئة على السلوك

يستحدث عند الفتاة في سنّ المراهقة، خصوصاً بين سنّ ١٢ ـ ١٣، نوع من الوعي في مجالات عديدة، أهمها الوعي الديني، والوعي الوجداني، والوعي الفطري. كما وتتأثر بشكل واضح بأخلاق وسلوكيات الآخرين نتيجة انخراطها في الحياة الاجتماعية.

إنّ انخراط الفتاة في المجتمع وتعرّفها على مختلف النماذج والظروف الحياتية فيه، يبدو في نظرها شيئاً جديداً وجذاباً لم تكن قد اطّلعت عليه قبل ذلك، ومن هنا نجدها شديدة الرغبة في الاقتباس منها ومحاكاة ما ينسجم منها مع ميولها ورغباتها النفسية في حياتها الشخصية والاجتماعية الجديدة، وبالتدريج يصبح سلوك الفتاة المراهقة في الحياة انعكاساً لصورة الوضع البيئي الذي يحيط بها، إلى درجة تلفت فيها الانتباه بما يطرأ على شخصيتها من تغيّرات في علاقاتها الاجتماعية، ومحاولاتها الحثيثة لتقليد الوسط الجديد في السلوك والملبس.

الصفاء والاخلاص

لابدّ من التأكيد على هذه المسألة هنا، وهي انّ عالم المراهقة خصوصاً ما

يتعلّق منه بالفتيات، هو عالم الصفاء والنقاء الروحي الخالص الذي لا تشوبه شائبة، ويمكن أن يبقى كذلك ما لم تلوثه عوامل الانحراف. يقول عالم النفس الغربي، موريس دبس:

إنّ أفراد هذه الفئة في سنّ ١٥ ـ ١٧ يهزّهم نداء القداسة أو الشهامة بشدة ويتمنّون لو يكون باستطاعتهم إعادة تشكيل العالم من جديد، ومحو الظلم والسوء منه، وتسييد العدالة فيه...[١] وهذا هو سرّ الكثير من الاعتراضات والانتقادات التي يقومون بها إثر ملاحظتهم لحالات التجاوز في البيت أو في المجتمع.

وطبقاً للمثل الايراني فإنّ كل شيء في عين الأصفياء صاف. وهنا تكمن الخطورة، حيت من الممكن أن تؤدي البساطة التي يمتاز بها أفراد هذه الفئة إلى عواقب وخيمة عليهم. وما أكثر اللاتي ينخدعن بدعوات المخادعين ويستجبن لها بسرعة، ظناً منهنّ انها صادقة، في غفلة من الوالدين!

التذبذب السلوكي

وكما ذكرنا فيما مرّ، فانّ سلوك المراهقات يتّجه في هذه المرحلة نحو التشكل والانتظام شيئاً فشيئاً، ومن هنا فانّهنّ يتصوّرن إنّ كل ما يصدر منهنّ من أفعال وتصرّفات إنما ينطلق من حسابات فكرية مدروسة، بينما الواقع هو إنّ سلوكهن متذبذب وغير مستقر على حال أو لون معين.

لقد وصفت مرحلة المراهقة بفترة الفوران العاطفي والتذبذب السلوكي خصوصاً لدى الفتيات. ويمكن القول إن سلوك المراهق رهن بالظروف العاطفية التي يعيشها، حيث يتغير من حال إلى حال مع تغيّر المزاج العاطفي.

---

(١) البلوغ، ص ١٢٢.

ويثبت سلوك المراهق أو المراهقة على نحو معين في نـهاية الأمـر ، مـن خلال التوجيهات التي يتلقّاها من المحيطين به ، ومن التـجارب التـي يـعايشها بمرور الزمن. الّا إنّ الوصول إلى هذا الهدف يستلزم من أولياء الأُمور والمربّين التواصل مع المراهق من خلال التوجيه والارشاد المستمرّين.

التمرّد على القيود

إنّ سنّ المراهقة من إحدى نواحيها ، تُعدّ مـرحـلة التـهرّب عـن الالتـزام بالأعراف والمقررات والتمرّد على القيود ، ويعود هذا الأمر إلى أسباب عـديدة نشير إلى بعضها بما يلي :

ـ اتّساع مدارك المراهق واعتداده بنفسه إلى الحدّ الذي يضيق فيه بالقيود والمحدّدات من أيّ نوع كانت.

ـ بهدف إثبات إرادته أمام إرادة الوالدين والمربين وكلّ من له دخل في أمر التربية.

ـ اختبار نفسه لمعرفة مدى قدرته على الاعتماد على نفسه ، وما إذا كان باستطاعته أن يقرر شؤونه بنفسه أم لا.

ـ رفضه للكثير من الأوامر والنواهي التي تملى عليه لعدم اقتناعه بها.

ـ الاهتمام بظواهر الأُمور والحكم على الأشياء انطلاقاً من نظرة سطحية وآنية ـ دون التأمل والأخذ بنظر الاعتبار عواقب الأُمور.

حبّ الجاه

إنّ من مميزات النموّ في مرحلة المراهقة حبّ الجاه والسعي اليه ، وهذا ما يلاحظ على سلوك وتصرّفات المراهقة في هذه السنّ ، وبطبيعة الحال فانّ هذه الحالة يلازمها نوع من الأنانية المفرطة في التعامل مع الوسط الاجتماعي.

ومن تمظهرات حالة (الأنا) عند المراهقة، اهتمامها المتزايد بتزيين نفسها، وبارتداء الثياب والملابس الفاخرة. وبحسب تعبير هاوفيلد: هذه التي لم تكن تعير كثير اهتمام لثوبها إلى الأمس، تصرف الآن وقتاً طويلاً على الاهتمام بهندامها وإناقتها، وتجتهد في أن لا تخطأ في الكلام. ولا يفوتنا أن نضيف أيضاً إن ما تعتبره المراهقة جميلاً وأنيقاً قد لا يكون كذلك في نظرنا نحن، ومن هنا فلا عجب فيما إذا خرجت ذات مرة في هيئة تدعو إلى السخرية من وجهة نظر الكبار.

إن سلوك الفتاة خلال فترة المراهقة هو مزيج غير متجانس من الميول والرغبات. وقد وصفت مجموعة الحالات التي تتولّد لديها خلال هذه المرحلة بسلوك المراهقة، ومنها الميل إلى الاستقلال وتكوين فلسفة خاصة في الحياة، والاصرار على فرض الذات على الآخرين، والقلق والشكّ والتوقّعات الخاطئة، والشعور بالذنب تارة، وحصول دوافع عدائية في أخرى و... وبشكل عام، فإنها تعاني نوعاً من الجنون الوقتي أو ما يسمى بالشيزوفرنيا.

الفصل التاسع

الخصائص الاجتماعية

مقدّمة

يغادر الطفل الحياة الفردية في حدود سنّ الرابعة أو الخامسة ويأنس بالحياة الاجتماعية شيئاً فشيئاً. وخلال دخول المدرسة في سنّ السادسة أو السابعة ينخرط في حياة اجتماعية أوسع نسبياً.

ويبلغ الميل إلى حياة الجماعة في سنّ الحادية عشر حداً دفع البعض إلى وصف هذه الفترة بفترة اللهو الجماعي.

فالشخصية ترتبط في هذه المرحلة بعلاقات اجتماعية أوسع، ويقلّ تعلّقها بالأُسرة، وتعمل بشكل أسرع على انتخاب الأصدقاء وبحسب تعبير أحد العلماء، فإنّ الموضوع الأساس في علاقات المراهق أو المراهقة مع الآخرين هو الخروج التدريجي من الحالة الطفولية ومن التقوقع في الأُسرة والاطلال على حياة الجماعة في الخارج والانخراط فيها.

الحياة الاجتماعية

أجل تكون المراهقة، في هذه المرحلة، قد غادرت حياة التبعية للآخرين، وهي تسعى الآن إلى بناء حياتها الاجتماعية المستقلّة. وبطبيعة الحال، فإنّ الانخراط في الحياة الاجتماعية رغم الايجابيات الكثيرة التي تتخلّله، قد يرافقه سلبيات ومفاسد عديدة أيضاً على أثر معاشرة رفاق السوء والانحراف.

ففي هذه المرحلة تشعر الفتيات انّهنّ قد تحرّرن من القيود والمكبّلات السابقة، ولابدّ أن تكون لهنّ رؤيتهنّ الخاصة وقرارهنّ المستقلّ بشأن روابطهنّ الاجتماعية الجديدة. وإن تحقق هذه الرغبة لا يصبُّ ـ دائماً ـ في صالحهنّ،

خصوصاً حين يسعين إلى الانعتاق التام من وصاية وإشراف أولياء الأُمور على شؤونهنّ، وإلى التوجّه الشامل إلى الارتباط بالصديقات.

العلاقة بالوالدين

إنّ أغلب أولياء الأُمور يشكون من حالة المشاكسة والتمرّد لدى أبنائهم في سنّ المراهقة. ولندرة حالات الطاعة والأُلفة بين أفراد هذه الفئة، نلاحظ إنّ بعض أولياء الأُمور يتفاخرون بنجابة وإلفة أبنائهم إذا شاهدوا شيئاً من الطاعة لأوامرهم ونواهيهم من قبلهم. ومن لا يفخر بهذه الحالة الأخيرة ولا يدعي أنّ أبناءه يثقون به وينفتحون عليه في كلّ شؤونهم؟!

وبعبارة أُخرى: فانّ أغلب المراهقين يبتعدون عن والديهم من الناحية العاطفية، ويعصون أوامرهم، وقد يبادرون حتى إلى الوقوف بوجوههم في بعض الموارد. وتعود بواعث هذه المواقف إلى انّ المراهقين يعتبرون أولياء أمورهم أُناس متعصّبون وجافّون ومعارضون لأساليب الحياة العصرية[1].

فقد تبادر أحياناً فتاة ناشئة إلى انتقاد والدتها بقولها إنها تفكر بعقلية قديمة ومتخلّفة، لأنها لا تسمح لها، مثلاً، بالاشتراك في البرنامج أو الحفل الكذائي. وهكذا تذهب أمثال هذه الفتاة إلى نعت أولياء الأُمور بمختلف النعوت السلبية لأنهم لا يسمحون لهنّ بالتصرّف وفق رغباتهنّ دائماً.

فمن أجل التغلّب على الشعور بالنقص وإثبات الشخصية، تنزع الفتاة أحياناً إلى التمرّد على إرادة الأبوين، بل وحتى إلى الاستخفاف بآرائهما. وبالطبع فإنّ هذه الحالة من الممكن أن تؤدّي، كما يشير علماء التحليل النفسي، إلى ابتلاء المراهقة بعقدة أوديب التي تولّد الحقد والكراهية تجاه الأبوين.

---

(١) المراهقة، الدكتور جعفر الكرماني، ص٥١.

الصداقات

تسعى الفتيات خلال فترة المراهقة إلى العثور على صديقات يمكن الوثوق بهنّ، وذلك من أجل أن يجعلنهن موضع أسرارهن واستشاراتهن في شؤونهن الخاصة، كما ويحرصن على توثيق عرى هذه الصداقات من خلال تقديم الخدمات والهدايا لبعضهن، وبطبيعة الحال تتميز مثل هذه الصداقات بخلوص النوايا وصدق السرائر، ونادراً ما يمكن أن تتخلّلها الشوائب.

ولأنّ الفتيات يحرصن على الاحتفاظ بصديقاتهنّ، وعدم التفريط بهنّ، لذا فإنهن يملن إلى تقليدهن في السلوك، والزينة، والملبس و... وهذه الحالة بذاتها قد تكون أرضية للسقوط في مستنقع الفساد والرذيلة والانحراف كما ويمكن أن تكون سبباً لزيادة الوعي والهداية والرشاد.

التطرّف في الصداقة

كما وتتطرّف الفتيات في علاقات الصداقة، أحياناً، بشكل غير طبيعي، ويعرضن أنفسهنّ لمشاق كبيرة من أجل أن يثبتن إخلاصهنّ وحبّهنّ للطرف المقابل، حتى أنه لوحظت حالات من إلحاق الأذى بالنفس بهدف التدليل على مثل هذا الشيء.

إنّ انغماس الفتاة المراهقة في أوساط قريناتها في السنّ، وأخذ أعرافها على أنها أشياء مصانة من الخطأ، من شأنه أن يبعدها عن الأُسرة في وقت ما تزال فيه بحاجة إلى التوجيه والارشاد الخارجي من أجل ضبط عواطفها.

ومن الأعراض الخطيرة التي نواجهها خلال سني المراهق يمكن الاشارة إلى حالة الافتتان بالأشياء لدى الفتيات. ولا يفوتنا ذكر حقيقة انّ من مميزات فترة المراهقة الميل إلى تبادل الاعجاب والاشادة مع قرينات السنّ.

فللكثير من الفتيات صديقات صميميات يودعن لديهنّ أسرارهنّ، وقد تؤدي مثل هذه الصداقات التي تصل إلى درجة الافتتان بالمقابل أحياناً، إلى الاندفاع في مسالك منحرفة، باعتبار إنّ الفتاة لا تستطيع أن ترد طلباً للصديقة التي تحبّها إلى حدّ الافتتان بها.

وقد تبادر الفتيات في عالم الافتتان إلى تبادل رسائل عاطفية ملتهبة فيما بينهن، يسطّرن خلالها عبارات الحبّ والشوق والألم.

ولا يعني ذلك ان جميع الصداقات وحالات الهيام والافتتان ببعض، في أوساط هذه الفئة، ناتجة بالضرورة عن ميول ورغبات جنسية. فقد تكون ناتجة عن ميول جنسية وقد لا تكون كذلك، لكنها في الغالب الأعم صداقات بريئة.

التمرّد على الأعراف

إنّ مرحلة المراهقة هي مرحلة التمرّد؛ التمرّد على الكثير من العادات والتقاليد والأعراف السائدة في الأُسرة والمجتمع والتسرّع في الحكم على القضايا خلال البحث عن الجديد والحديث من أساليب الحياة.

إنّ الميل نحو التجدّد، وتجاوز العادات والتقاليد، وعدم الالتزام بما يعتبره الكبار مقدّساً، من قبل الفتيات في هذه السنّ، يرجع في أسبابه النفسية إلى نوع من الرغبة بالتنفيس عن الاحتقانات العاطفية.

ولذا فلا عجب إذا ما ظهرن بمظاهر مضحكة فيما يرتدينه من أزياء وما يستخدمنه في تزيين أنفسهنّ. إنّ رأي زميلاتهن في هذا المجال أهم بالنسبة لهن من رأي أولياء الأُمور والمربين.

إنّ الفتاة خلال مرحلة المراهقة تفقد ثقتها تقريباً بجميع الذين كان لهم تأثير في حياتها في أوقات سابقة، فتصبح عصبية وحادّة المزاج إلى درجة تلاقي

صعوبات كبيرة في الانفتاح على الكبار.

وبعبارة أُخرى، تميل الفتاة خلال هذه الفترة إلى حصر علاقاتها في إطار محدود وعدم الانفتاح على الجميع، لخشيتها من أن يؤدي انفتاحها على الآخرين، ومنهم أولياء الأمور والمعلمين إلى أن يسخروا من أحاسيسها ومشاعرها.

إنّ من شأن انطواء الفتيات على أنفسهنّ وابتعادهنّ عن الكبار أن يحرمهن من الاطلاع على تقاليد وأعراف وأساليب الحياة المنطقية، ومن توجيهات وإرشادات الكبار المفيدة باعتبارها منطلقة من تجارب حياتية معاشة.

في مجال العمل

عادة يقضي الفتيان في مثل هذه السنّ أوقات فراغهم بالألعاب الفكرية من قبيل الشطرنج وما شابه، فيما تتجه الفتيات إلى اكتساب المهارات في مجالات الطهي والأعمال البيتية بما يناسب طباعهنّ الأُنثوية.

إنّ اهتمام المراهقين، إناثاً وذكوراً، بالمشاغل وباكتساب المهارات الفكرية والعملية يلعب دوراً مفيداً في حياتهم، لأنّ الفراغ من شأنه أن يشوّش أذهانهم ويشغل أفكارهم بقضايا غير مفيدة في أفضل الأحوال إن لم تجرّهم إلى مسالك الجنوح والانحراف.

وفيما يخصّ الفتيات يلاحظ انّهنّ يعانين من الخمول والكسل أحياناً، الأمر الذي يقلّل من نشاطهنّ، ويعود السبب في ذلك إما إلى تعكّر في المزاج أو إلى تنازل في النشاط الغددي، كما وقد يكون ناتجاً عن اختلالات عصبية حادة من شأنها أن تتفاقم بشكل خطير ما لم يبادر إلى علاجها.

الفصل العاشر

الخصائص الذهنية والسلوكية

مقدّمة

تتولّد لدى الفتيات خلال سني المراهقة حالة من الوعي والتوثّب الذهني، يسعين على أثرها إلى اكتشاف واكتساب ما هو جديد في عالم الفكر، وتخطر في بالهنّ أسئلة يبحثن لها عن أجوبة، من قبيل: من أنا؟ ما قيمتي؟، ماذا أُريد؟ وما هي القدرات التي أمتلكها؟ وكيف يمكن تحقيقها؟

وبحسب تعبير أحد العلماء، فإنهنّ يحاولن تقييم شخصيّاتهنّ، ويشعرن انّهنّ بحاجة إلى أجوبة حول طبيعة ومعنى الوجود الانساني. وبطبيعة الحال، فإن تقييماتهنّ حول أنفسهنّ قد تكون مخالفة للواقع بمعنى أن يعدن أنفسهن أصغر مما هنّ عليه حيناً أو أكبر في غالب الأحيان.

نظرتهنّ إلى الحياة

تتغيّر في هذه المرحلة من العمر نظرة الفتيات إلى الحياة، حيث يبدو لهنّ أنّ هناك أشياء جديدة جميلة وممتعة في الحياة تستحقّ السعي من أجل بلوغها. ومن هنا، وبحسب تعبير سوزان برونه، يعتبرن حاضرهنّ شيئاً تافهاً، ويتطلّعن بفارغ الصبر إلى المستقبل.. انهنّ يعشن حالة من القلق والاضطراب ويتطلّعن إلى الحبّ والغرام وإلى التعبير عن حالاته.

وفي الجانب الفكري تميل الفتيات في بدايات سنّ المراهقة إلى الأخذ بالقضايا التجريبية أكثر من ميلهنّ إلى المسائل النظرية المجرّدة. وبشكل عام، فانهنّ يركّزن في ملاحظاتهنّ على الجوانب المادية التي تحيط بهنّ. كما ويسعين في هذا المجال إلى إعادة النظر في افكارهن وسلوكهنّ، وقد يؤدّي ذلك إلى أن

يرفضن جميع ما كنّ قد تعلّمنه وربّين عليه في مرحلة الطفولة.

إنّ حياة الفتيات، خلال سني المراهقة، تتغير وتتنوع باستمرار. ففي الوقت الذي يلتزمن فيه بمجموعة من التصوّرات والاعتقادات ويجعلنها منهاجاً لهنّ في الحياة، قد يبادرن في ذات الوقت إلى القيام بأفعال وتصرّفات تتنافى واعتقاداتهنّ. إنّ حياتهنّ تبدو حالمة وخيالية وسطحية في الوهلة الأُولى، لكنها عميقة وحقيقية وجديرة بالبحث والمناقشة في واقع الحال.

أجل، فإنّ السائد في عالم الفتيات المراهقات، من سلوك وتصرفات وأفكار، قد لا يكون مورد رضى وتأييد أولياء الأمور لكنّه على أية حال هو ما يردنه ويهتمن به في حياتهنّ.

تغيّرات السلوك

إنّ التفاعلات النفسية خلال فترة المراهقة تنعكس في آثارها على سلوك الشخصية في الخارج، فتبدو عليها تغيّرات في المزاج وفي التصرّف مع الآخرين، وقد تبلغ هذه التغيرات من الشدّة أحياناً درجة يضيق بها أولياء الأُمور ذرعاً.

إلاّ أنه لابدّ من الاعتراف بأنّ الاناث يختلفن في هذا المجال عن الذكور، حيث إنهنّ أكثر تأدّباً وقاراً في سلوكهنّ من الذكور.

ولأنّ المراهق أو المراهقة يعاني في هذه الأثناء من حالة الاكتئاب والتبدّل في المزاج، لذا فإنّ المحيطين به من الأصدقاء والزملاء يتصوّرون أنه شخص حادّ الطباع ويحمل روحاً عدائية تجاه الآخرين؛ وفي الوقت ذاته يذهب والديه إلى الاعتقاد بأنه شخص خجول وميّال إلى الانزواء والوحدة.

ففي هذه الفترة تتبدّل طبائع المراهق أو المراهقة، وتتغير معها معايير الحبّ والكراهية لديه. فمن كان يحبه ويرغب في معاشرته إلى ما قبل هذه الحالة، قد

يزهد به الآن ولا يطيق وجوده بالقرب منه، ومن كان ينفر منه ويضيق به ذرعاً قبل ذلك، قد ينجذب إليه ويهتم بمصاحبته الآن. كل ذلك دون أن يعني أن لديه مبرّرات معقولة ومنطقية لمواقفه الجديدة وإن كان هو يتصوّر انّ لديه مثل هذه المبرّرات.

الاعتداد بالنفس

إنّ مرحلة المراهقة هي فترة حبّ الذات، وتبلغ هذه الحالة من الشدة لدى البعض درجة يعجز عن التخلّص منها. وهي ايجابية في أحد جوانبها لكونها تساهم في تنمية حسّ الاعتداد بالنفس والاعتماد على الذات، وتعدّ عاملاً من عوامل صيانة الفرد من الانحراف. وفي الوقت ذاته فان حالات التمرّد على أولياء الأُمور والتصرفات المنافية للأعراف الاجتماعية، التي نلاحظ نماذج منها لدى بعض الفتيات، ترجع في أسبابها إلى نفس العامل، أي حبّ الذات. وعلى أثر ذلك نجد إنّ استدلالاته بشأن آرائه ووجهات نظره تأتي على شكل أوامر ... ويعتزّ بها اعتزاز العالم بأول كشوفاته.

ومن جهة أُخرى، يلاحظ إنّ الاناث أسرع نمواً من الذكور في الجوانب العاطفية. ويتحدّثن أحياناً فيما بينهم عن الذكور بشيء من الاثارة، لكنّهنّ يحرصن على أن يكون الحديث همساً لا يسمعه الآخرون. وبشكل عام فإن هذه الحالات تدلّل على السعي إلى إثبات الشخصية وإلى إبراز ميول الأُنوثة أو الذكورة.

القلق الفكري

تعيش الفتاة، خلال فترة المراهقة حالة من القلق والاضطراب الفكري التي تنعكس آثارها على مواقفها وسلوكها. فإنها تقرّر اليوم شيئاً وتعتقد به ويتغير

موقفها منه غداً فترفضه وتدبر عنه. وتارة تتصرّف كالأطفال، وأُخرى تحاكي الكبار. وحيناً تقلّد الذكور في تصرّفاتها، وفي حين آخر تحاول الظهور بمظهر المرأة الناضجة. وبحسب تعبير رانك: أنها تعيش حالة من التيه والحيرة. لا تعرف ما يجب أن تكون، رجلاً أم امرأة، صغيراً أم كبيراً، انّ النمو العاطفي يعرّضها إلى نوع من الاهتزاز النفسي الذي قد يؤدّي في بعض الحالات حتى إلى ان تقوم حياتها على أساس من الشك. أو أنه، ما يقول كوتشكوف: قد نوصي الأبناء أحياناً بأن يكونوا على النحو الكذائي لكنهم لا يطيعون، وحجتهم إنهم عاجزون عن ضبط سلوكهم.

إنّ حالة القلق والاضطراب، لدى أفراد هذه الفئة تشمل جميع جوانب حياتهم، ولا يعرفون ما يجب أن يفعلونه، أيواصلون تحصيلهم الدراسي، مثلاً، أم ينقطعون عنه، يقبلون مشاريع الزواج أم يرفضون؟ يطيعون أوامر وتوجيهات الوالدين أم يتمردون عليها؟ وهكذا تمتدّ هذه الحالة لتشمل حتى مجالات العبادة والجرم، والانحراف و...

حالة عابرة

إنّ ما مرّ ذكره عن الوضع النفسي لأعضاء هذه الفئة هو حالة عابرة وزائلة ويندر أن تستمر لفترة زمنية طويلة. وتنتهي في الغالب في بحر سنة أو سنتين. وأقصى ما يمكن أن تستمر هي أنهاتنتهي مع نهاية فترة المراهقة.

حالة الاضطراب

يعاني المراهق أو المراهقة مس نوع من الاضطرابالنفسي. وبحسب رأي أحد الأطباء النفسانيين، فإنه مضطرب وغير مستقر على حال معين، ويسعى دائماً بهذا الاتجاه وذاك، لعلّه يجد سبيلاً يوصله إلى ساحل النجاة وسط أمواج

الاضطراب التي تحيط به من كل جانب. القول بأنّ حياة الانسان فيها مدّ وجزر، ينطبق بشكل كامل على المراهق أو المراهقة، حيث يمر خلال هذه الفترة بحالات مد وجزر مختلفة من الناحية النفسية فتارة يكون هادئاً واخرى ثائراً، وفي وقت نجده مبسوطاً وفي آخر غاضباً متوتراً. وهكذا.

إنّ هذه الحالة تشمل جميع الجوانب النفسية للشخصية، وهي سريعة التبدّل بطبيعتها. فخلال لحظة واحدة يمكن ان تنقشع غيوم الهمّ والغمّ من أفق مزاجها ليحلّ محلّها الفرح والانبساط، أو بحسب تعبير سوزان برونه، فإنها سرعان ما تتمطّى وترخي أعصابها وتبتسم كنجمة مضيئة.

السلوك الديني

إنّ فترة ما قبل المراهقة، في حياة الفتاة أو الفتى، هي فترة الانجذاب إلى الدين والعبادة والتفاعل النفسي مع طقوسه. وقد يطلب في خضم حماسه المعنوي إلى والديه ان يساعداه من أجل بلوغ مراتب الكمال الديني.

ومن وجهة النظر العلمية، فانّ الاثارات المتأتية من التفاعل مع الوسط البيئي، تولّد في الشخص نوعاً من الحماس والشعور المعنوي... فيتجه إلى الزهد والتقوى، أو يميل في بعض الأحيان إلى التشكيك بالعقائد والتعاليم الدينية أو رفضها. وبطبيعة الحال يمكن للمربي الواعي أن يزيل مثل هذه الشكوك ويبدلها باليقين من خلال الارشاد والتسديد.

فمع ما نجده في الشخص في هذه السنّ من ميل ورغبة شديدة في الدين، إلّا أنه لا يطيق الأعمال والطقوس الدينية. فعندما يصلّي، مثلاً، يسرع في صلاته وكأن هناك من يلاحقه، أو خطراً يهدّد حياته، وفي الوقت ذاته يتّجه إلى العبادة بشكل جادّ في بعض الحالات، خصوصاً عندما يلاقي تشجيعاً واشادة من الآخرين في هذا المجال.

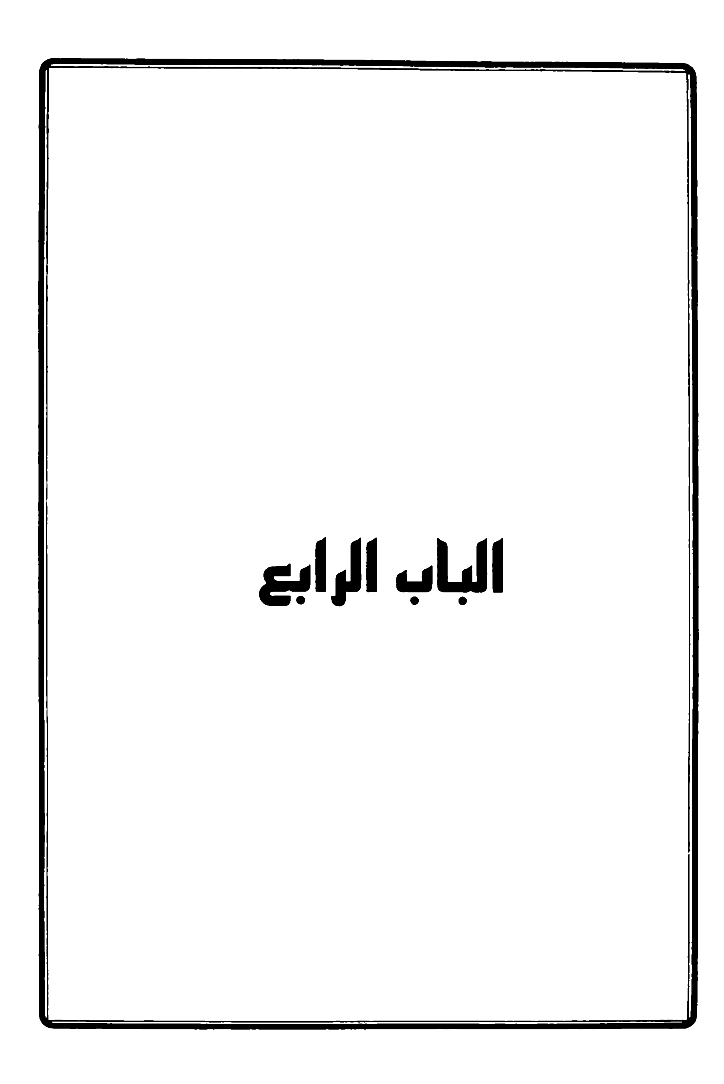
خلاصة الآراء

لقد أورد هاروكس في كتابه علم نفس المراهق، الذي صدر عام ١٩٦٩، خلاصة لآراء العلماء حول المراهق، نشير إلى طائفة منها بحسب الترجمة الفارسية للكتاب.

يقول هاروكس بشأن المراهق.

المراهق في تغيّر من الناحية العضوية، وغير ناضج من الناحية العاطفية، وذو تجربة محدودة، وتابع للوسط البيئي ثقافياً، يريد كلّ شيء، لكنّه لا يعرف ما يريد، يتصوّر أنه يعلم كلّ شيء، لكنّه لا يعلم شيء، يحسب أنه يملك كل شيء، وهو لا يملك شيئاً في الواقع. فلا هو يستفيد من امتيازات الأطفال، ولا هو يستثمر مزايا الكبار، يعيش في حلم وخيال بينما هو يتعامل مع الواقع، إنّه ثمل واع، ونائم صاح.

إنّه بحاجة إلى توجيه من الخارج كي يهتدي، وإلى جليس ورفيق كي يخرجه من وحدته. ولا شكّ في أن لأفكار وآراء الأصدقاء أثر بالغ على المراهق، لكن المشكلة هي أنه يقضي أكثر أوقاته لوحده ويميل إلى الاستغراق في أفكاره بعيداً عن الآخرين.



الباب الرابع

تمهيد

تتعرض الشخصية خلال فترة المراهقة لاختلالات سيكولوجية عديدة؛ بعضها طبيعي بحسب ظروف المرحلة وأنما يوصف بالاختلال لكونه يبدو للناظر غير طبيعي في خضم الحياة الأسرية والاجتماعية، وقسم آخر منها يعود في أسبابه لتأثيرات الوسط البيئي وللبناء التربوي الخاطىء في مرحلةالطفولة.

نتناول في الفصل الأول من هذا الباب الاختلالات البيسيكولوجية وأعراضها، ويشمل اختلالات المزاج والنمو العضوي، والاختلال في جهة الأكل والنوم، وحتى جانب السمنة، وما يترتب على ذلك من مشاكل وصعوبات.

كما ونتحدث في الفصل الثاني حول الاختلالات العاطفية، ونُسلّط الاضواء على أهم مشكلة في هذه السن وهي مسألة الخوف والاضطراب وما يرافقه من إثارات وتوترات نفسية حادة.

وكذلك نبحث في الفصل الثالث، حول الاختلالات العصبية لهذا الجيل وأنواعها، ونحاول بيان الحالات التي يعاني منها المراهق خلال ذلك، خصوصاً حالة الاكتئاب والميل الى الانزواء والوحدة والأدبار عن الحياة.

أما الفصلان الرابع والخامس، فقد خصصناهما على التوالي للبحث حول حالات الجنون المبكر، ولشرح الأمراض النفسية الأُخرى التي يتعرض لها الاشخاص خلال هذه المرحلة من العمر، خصوصاً الفتيات المراهقات. وقد حرصنا في جميع مراحل البحث على مراعاة جانب الايجاز والاختصار.

الفصل الحادي عشر

الاختلالات البيسيكولوجية

مقدّمة

رغم ما يكتسبه البنين والبنات، خلال مرحلة المراهقة، من نمو وقوة عضلية متزايدة، الا أنهم يعانون من اختلالات بيسيكولوجية عديدة تعود اسبابها لعوامل كثيرة منها ظروف الحياة، وطبيعة النمو، والبيئة، ونوع وكيفية التغذية، وأساليب التربية و...

لم يتوصل الطب لحد الآن لمعرفة السبب أو الأسباب التي تقف وراء ابتلاء المراهقين بهذه الاختلالات. ومن المشاكل التي نلاحظها خلال هذه المرحلة، يمكن الاشارة الى مختلف الأمراض والعوامل المقلقة، وبروز اختلالات في الدورة الدموية، وفي المزاج، وحتى قابلية الاصابة بأمراض من قبيل السل، وبرودة الاطراف، وانحناء العمود الفقري، واعوجاج عظام الساق.

لا يسعنا هنا تناول هذه الاختلالات من جميع جوانبها، لأن ذلك بحاجة الى دراسة مستقلة بذاتها، لكننا نشير الى بعض المسائل المهمة فيها بأمل أن يأخذها أولياء الأمور والمربين بنظر الاعتبار ويستفيدوا منها في التعامل مع مثل هذه الحالات.

الاختلال في المزاج

يتعرض المزاج، في هذه المرحلة من السن، لاختلالات عديدة، تصبح أرضية لابتلاء الشخص بأمراض متنوعة. وبحسب دوريس أولوم، تشمل هذه الاختلالات الاعتلال في وظيفة الاعضاء، وأوجاع الرأس، وسوء الهضم، والاسهال، والخَدر، والرجفة، والخمول والشعور بالتعب و....

ان مزاج أعضاء فئة المراهقين في تغيّر وتبدّل مستمرين، بحيث نلاحظ أنهم يعانون من انعدام الشهية في الأكل تارة، بينما يقبلون على الطعام بنهم تارة اخرى. وقد يعانون من آلام في المعدة على اثر تناولهم شيئاً قليلاً من الطعام في وقت ما، بينما يأكلون في وقت آخر الى حد الامتلاء دون أن يشعروا بأي مشكلة.

كما ومن مميزات هذه المرحلة الانقباض النفسي الشامل. ومن شأن التساهل مع هذه الحالة أن يؤدي الى الشعور بالمرض والألم. ومن أعراضه انعدام الشهية، واصفرار الوجه، وحتى الغضب، وسوء الظن والحقد على الآخرين.

الاختلال في الغدد

ان سن المراهقة هي فترة نشاط الغدد التي تفرز هرموناتها الخاصة في الدم، وهذه المسألة بحد ذاتها تتسبب في اعتلال المزاج وتأزمه. انّ معامل الغدد أحياناً تترك أثارها على الجوانب العضوية، فعلى سبيل المثال يؤدي النشاط الزائد عن الحد لغدة التيروئيد الى ازدياد دقات القلب، والى الانفعال العصبي والتعرق، وبطبيعة الحال ينبغي الرجوع الى الطبيب المختص لمعالجة هذه الحالة، كما ويؤدي الأفراز الهرموني من جهة اخرى الى التعرض لاختلالات نفسية من قبيل الاكتئاب والميل الى الوحدة والانزواء.

وطبقاً للتحقيقات الجارية في هذا المجال، فأن الافرازات الهرمونية من الغدد الداخلية، تؤدي كذلك الى تشديد الانفعالات العاطفية، لدى افراد فئة المراهقين، ويتسبب بعضها في تسريع البلوغ نتيجة عوامل مختلفة وتترك آثاراً على سلوك الشخصية. ان الاختلال في الأفراز الهرموني لبعض الغدد، من الممكن أن يؤدي الى اصابة الشخص بالبهت والدوار وتعكر المزاج او فقدان التوازن النفسي.

الاصابة بالأمراض

تزداد في مرحلة المراهقة احتمالات تعرض الأشخاص الى الاصابة بأمراض مختلفة، منها مرض السل الذي لا نعرف سبباً واضحاً له وإن كنا نعرف أثر ظروف العمل والبيئة السيئة في الاصابة به.

كما وقد يختل ايقاع النمو لدى المراهق في هذه المرحلة من السن لأسباب مختلفة ايضاً وتزداد كذلك احتمالات تعرضه للاصابة بالأمراض النفسية التي لها جذور في طبيعة الحياة العاطفية. وفي هذه الحالة يجب على أولياء الأمور أن يتعاملوا مع أعراض مثل هذه الاصابات بوعي ودراية من أجل اكتشاف بواعثها والمبادرة الى علاجها.

مسألة السمنة

من المسائل التي يعاني منها الكثير من المراهقين حالة السمنة التي يعود بعض أسبابها، بحسب التحقيقات التي أجراها كابلن، الى الصدمات النفسية، والأحاسيس والأفعال ذات المغزى الرمزي، والعُقد والتوترات العصبية والشعور بالتبعية وعدم الاستقلال.

كما وقد أشار آخرون في تحقيقاتهم الى عوامل أخرى ـ أيضاً ـ مؤثرة في حالة السمنة، ومنها عامل الوراثة، والاختلال في التمثيل الغذائي، والاختلال في عمل الغدد الداخلية، والاعتلال أو التلف في المخ، والأمراض النفسية و... ولا شك في التأثير المتزايد لحالة الافراط في تناول الطعام أيضاً في هذا المجال.

أثار وأعراض السمنة

إن السمنة تعيق نشاط الشخص، وتحول دون اكتسابه للمهارات الضرورية في حياته خلال مرحلة المراهقة، كما ويعجز على أثرها عن تنظيم

شؤونه والاستجابة لحاجاته ومتطلباته الفردية. ومن شأن السمنة أن يؤدي كذلك الى فقدان الثقة بالنفس، والشعور بالحقارة نتيجة للايحاءات النفسية الخاطئة أو بسبب تندر واستهزاء الآخرين.

ومن الأعراض المهمة لمرض السمنة هو أن أغلب المصابين به يعلنون أنهم يفرطون في تناول الطعام عندما يكونون غاضبين ومضطربين أو متوترين من الناحية العصبية .

الاختلال في الأكل والنوم

طبقاً لآراء أطباء النفس، يشاهد لدى الفتاة أحياناً أعراضاً مرضية تتجلى على شكل الافراط في الأكل ليلاً والشعور بالتهوّع والغثيان نهاراً. وتعود هذه الحالة في أسبابها في الغالب الى الضغوط النفسية والاجتماعية التي تتعرض لها، وزوالها رهن بزوال أسبابها.

كما وتوجد اختلالات في النوم أيضاً، وتتجلى على شكل الكلام أو الصراخ أو المشي أثناء النوم وحتى السهاد والأرق في بعض الحالات. وهذه الحالات تنشأ في الغالب نتيجة للقلق والاضطراب، وتدل على أنّ الشخص يخفي في داخله شيئاً أو اشياءً تشغله وتعذّبه ويخشى البوح بها.

الاختلالات الأخرى

إنّ ذكر جميع حالات الاختلال خارج عن مجال هذا البحث لأنها من جهة بحاجة الى دراسة طبية متخصصة، ومن جهة اخرى قد لا تكون ضرورية باعتبارها ليست محل ابتلاء الجميع. لكننا نشير الى بعض ما نرى اهمية طرحه منها باختصار:

ـ زيادة في الوزن تظهر على شكل سمنة . ويمكن أن تكون الزيـادة فـي الوزن طبيعية اذا ما بلغت معدل ١٦ كليوغراماً خلال سنتين، لكنها تصل حتى الى ٣٠ كيلوغراماً في الحالات غير الطبيعية .

ـ زيادة مفرطة في الطول؛ الأمر الذي تعتبره الفتيات نشازاً وينزعجن منه بشدة .

ـ الاختلال في طريقةالوقوف التي تبدو على شكل الوقوف مـتمايلاً الى جهة معينة او منحنياً او بالاستناد الى قدم واحدة .

ـ الاختلال في الجلوس بحيث اذاكان الشخص جالساً على كرسي وكانت أمامه منضدة يستند منحنياً على المنضدة؛ الأمر الذي يسبب له آلاماً في العمود الفقري .

ـ الاختلال في الدورة الشهرية واضطرابها، وما يرافـق ذلك مـن أوجـاع وآلام في بعض الحالات .

ـ بروز ما يسمى بحب الشباب في الوجه والذي يقلق المراهقين خصوصاً في بدايات سن المراهقة .

ـ قصر القامة الى حد الدمامة وطول القامة الى حد النشاز الذي ينشأ نتيجة للاختلال في معامل الغدد الداخلية خصوصاً غدة الـ **Hypophyse**.

الفصل الثاني عشر

الاختلالات العاطفية

مقدّمة

توصف فترة المراهقة بمرحلة الاثارة والتجاذب العاطفي. ويشمل ذلك جميع أبعاد حياة الفرد بما فيها جانب الغريزة الجنسية. فعلى أثر التغيرات التي تحصل في المزاج وفي الوضع النفسي؛ تتغير ميول واهتمامات الأشخاص، ويتجه تفكير البعض نحو الحياة الخاصة حيث الزواج وتشكيل الأسرة.

ويمكن أن تحمل التغيرات الحاصلة في هذا المجال أخطاراً ومضاراً عديدة للأشخاص في بعض الحالات. يقول أحد العلماء: انّ مرحلة المراهقة، بما تنطوي عليه من آلام نفسية، وضغوط عاطفية، وقلق وخوف واضطراب وشعور بالذنب، قد تكون أشد مراحل الحياة صعوبة. وهو الأمر الذي يتغير على أثره طبيعة وسلوك الأحداث بشكل يثير استغراب واستفهام أولياء الامور.

التنوع العاطفي

انّ العاطفة لدى المراهقين، والفتيات منهم على وجه الخصوص، متنوعة وسريعة التبدل. فقد يكون المراهق فرحاً ومسروراً الان وبعد لحظة تتبدل حالته الى هم وحزن ثقيلين، أو أن يكون متفائلاً وسرعان ما ينقلب تفاؤله الى يأس وقنوط، أي انّ العاطفة لدى المراهق، بخلاف العاطفة المتزنة لدى الكبار، تتميز بالتطرف وبسرعة التبدل من حالة الى أُخرى معاكسة.

تتميز الفتاة المراهقة بدرجة من الرقة والشفافية بحيث قد يخلق لديها رؤية عدد من الأزهار البرية عالماً من المرح والنشاط ... ويحرك لديها قوة الابتكار والابداع. كما ومن شأن رؤية طرف نملة أو سقوط طائر من عشه ان يدفعها الى البكاء.

إنّها مستغرقة في عالم آخر هو عالم العواطف والاثارة، عالم من الأفراح والأتراح حقيقي وحتى خيالي. ويمكن ارجاع بعض هذه الحالات الى دوافع جنسية ومن الحب، والكراهية، والحسد، والشعور بالذنب، والخوف، والاضطراب، والحزن والفرح. وقد تندفع الفتاة بنحو وآخر الى التطرف في هذه المجالات. ولهذا فانها تتصور أن الكبار غير مكترثين بأحاسيسها من جهة، والكبار ايضاً من جهتهم قد يصفونها بالجنون والشذوذ ويغيرون مواقفهم منها.

الاضطرابات

ان فترة المراهقة هي مرحلة بروز مختلف حالات القلق والاضطراب التي تؤدي بدورها الى الاصابة بمختلف الاعتلالات النفسية والسلوكية كتنفيس عن حالة الاضطراب. ويعاني المراهق خلال ذلك من قلق واضطراب دائمين تبلغ شدتهما درجة يشعر معها وكأن هناك خطراً يتهدده بين لحظة وأُخرى.

إنّ كل شيء بالنسبة لفئة المراهقين، في هذه المرحلة، يدعو الى القلق والاضطراب؛ الحياة الأُسرية، والحياة المدرسية، والعلاقات، والصداقات، والتفكير بالمستقبل الوظيفي، والأبعاد المرتبطة بالنمو والبلوغ و... وقد تتجلى حالة الاضطراب والقلق على شكل الخوف، والكآبة، والوسواس وحتى الهستيريا أحياناً.

وتعود حالة الاضطراب لدى المراهقين في جذورها الى مرحلة الطفولة، ويرجع سببها في الغالب لطريقة تعامل الأُم مع الشخص في مرحلة الطفولة، وهي نتيجة للمخاوف المنتقلة اليه عن طريق الأُم.

كما ويمكن أيضاً ارجاع الاضطراب في أسبابه الى تناقض الوالدين في تعاملهما مع الأبناء، حيث اللين تارة والخشونة ـ في أُخرى؛ الأمر الذي يفقدهم الثقة بأولياء الأُمور في غالب الأحيان، ويتعرضون، على أثر الاعتمالات

النفسية، التي لا يستطيعون الاعلان عنها، الى الاصابة بالقلق والاضطراب. وكذلك يمكن العثور على جذور هذه الحالة في السنوات الأُولى للحياة، وحتى في الشهر الأول من الولادة الذي يتميز فيه الرضيع بحساسية استثنائية تجاه الأفعال والتصرفات، والضوضاء والشجار. وتتفاقم هذه الحالة بالتدريج اذا لاحظ الشخص في سنوات لاحقة من عمره حالات من قبيل التمييز بين الأبناء، أو الشجار بين الأبوين، أو مسألة الطلاق والانفصال في أوساط الأُسرة.

الخوف لدى المراهق

ليس واضحاً على وجه الدقة سبب تعرض الكثير من المراهقين، خلال هذه المرحلة من العمر، الى الاصابة بالخوف. فالتجارب والشواهد الحياتية اليومية تدل على أن المراهقين، وفئة الاناث منهم على الأخص، يعانون من حالة الخوف، وغالباً ما تكون هذه المخاوف غير مبررة، مثل الخشية من الصراصر أو الفئران او الظلام و...

المعروف أنّ فرق الخوف عن الاضطراب هو انّ للخوف موضوع مشخص، في حين يوصف الاضطراب بالخوف من خطر لم يقع أو لا وجود له في الواقع الموضوعي. ان هذه الحالة تزول بالتدريج شيئاً فشيئاً، ويكتسب الخوف معنى ولوناً آخر عند المراهق أو المراهقة. لكنها على أية حال تعد مشكلة للكثير من العوائل في الوقت الحاضر، ونلاحظ منها خشية الفتاة من وضعها، ومن أنوثتها، ومن المفاجات غير السارة، ومن احتمالات الانحراف... وأغلب هذه الحالات ممزوجة بالاضطراب الى درجة يصعب تفكيكها.

التوترات النفسية

انّ حياة المراهقة، خصوصاً لدى الفتيات، تنطوي دائماً على أزمات

واثارات عصبية. وتبلغ هذه الحالة من الشدة بحيث تسلب من المراهقين القدرة على حل المشاكل والصعاب التي يـواجـهونها. يـقول أحـد المـتخصصين إنّ المراهقة حتى في أبسط اشكالها، تعد أزمة عاطفية قريبة الى المرض النفسي في اغلب الحالات.

وبطبيعة الحال، فانّ الاناث اكثر عرضة لايحاءات التوترات النفسية نسبتاً الى الذكور. ويعد ضعف الجنس اللطيف في المقاومة أمام الاثارات في الظـاهر حالة طبيعية ذاتية وليست اكتسابية.

وفيما يخص منشأوجذور هذه التوترات، يـمكن الاشـارة، فـضلاً عـن الأبعاد الذاتية أو الناتجة عن ظروف النمو، الى الضغوط النفسية المباشرة وغير المباشرة. وكذلك التشدد في اعمال الرقابة من قبل الوالدين والمربين خصوصاً في فترة الطفولة. ومن هنا يمكن القول انّ الذين تـعرضوا ـ او مـا يـزالون ـ الى التشدد من قبل أولياء الأمور خلال مرحلة الطفولة ؛نادراً مـا يسـتطيع أحـدهم حفظ توازنه في هذا المجال.

المهم هو انّ هذه التوترات، وخصوصاً الاضطرابات النفسية، ترافقها فـي الغالب تغييرات فيسيولوجية من قبيل زيادة التعرق، والاجهاد العضلي، وزيادة دقات القلب، والتعب الشديد... وقد تؤدي هذه الحالة الى مـضاعفات خـطيرة على الشخص يصعب علاجها في مراحل لاحقة.

المشاعر

تتصف هذه الفئة بمشاعر حادة ومتناقضة. فهي شفافة ورقيقة بشدة مـن جهة، وقاسية وخشنة بشدة من جهة أُخرى. وبعبارة اخرى إنّ التـطرف لديـها ظاهر في كلا الاتجاهين ويمازجه اضطرابات عاطفية شديدة.

ان هؤلاء يشعرون أحياناً أنهم بلداء لا يستوعبون المسائل وطرق حلها،

أو يتصورون انهم اشخاص مرفوضون من قبل أسرهم والاخـرون، ولذا فـانهم يسعون الى الفات نظر الاخرين وجذبهم اليهم بشتى الوسائل، وقد يندفعون في هذا السبيل الى القيام بأفعال وتصرفات خاطئة.

وقد يتعلق أفراد هذه الفئة بزملائهم الى حد الهيام بهم. يقول أحد العلماء: إنّ الفتيات، شأنهن شأن الفتيان، يضعنَ في بعض الأوقات رؤسهن على اكتاف صديقاتهن بشكل لا ارادي، الا انّ هذه الحاجة الى الحنان هي حاجة شـخصية تبرز عادة بأشكال مختلفة. وقـد تـؤدي هـذه الحـالة فـي بـعض المـوارد الى الانحراف والجنوح.

جذور الاختلالات

انّ الاختلالات العضوية كثيرة، ومنها الصداع، وسوء الهضم، والاسهال، والمرض، والانقباض النفسي، والرجفة، والضعف، والاجهاد، وكلها تعود فـي جذورها الى الاعتلالات والتوترات العاطفية والنفسية. كما وقد لوحظ ان القلق والخوف في مرحلة الطفولة، وخصوصاً الحرمان من حـنان الأُم، أدى بـبعض أفراد هذه الفئة الى ان يستصغروا شأنهم ويفقدوا ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم، والى ان يعجزوا عن تعويض هذا النقص في المراحل اللاحقة من حياتهم.

يرى أحد العلماء ان الدوافع الجنسية في مرحلة الطفولة، تولد في مرحلة المراهقة اضطرابات وتوترات نفسية ذات اتجاهات مخرّبة وعدائية. وقـد يـبلغ ذلك في بعض الحالات حدوداً لا تُطاق. ولابد ان نضيف هنا هذه المسألة وهي انّ الكثير من التوترات العصبية لدى المراهق تنتج من الكآبة والاضطراب.

فقد تولد الاختلالات العاطفية، في حـال اسـتفحالها، اخـطاراً ومـضاراً عديدة للمراهق والاسرة. وقد يؤدي التشوش الذهني والقنوط بالمراهق، طـبقاً لبعض الآراء، الى التفكير بالانتحار، ومن حسن الحظ فانّ أعمال اللهو والتسلية تحول دون الامعان في السوداوية والتفكير بالانتحار.

الفصل الثالث عشر
الاختلالات النفسية

مقدّمة

قلنا انّ فترة المراهقة هي مرحلة التحول والتغيّر. إنّ عجز الشخص عن التطابق مع شروط النمو أو عجزه عن ايجاد التوازن في مختلف أبعاد حياته، من شأنه أن يعرّضه الى الاصابة باختلالات عضوية ونفسية كثيرة. فالآلام العضوية وأحياناً الشعور بالام في الجهاز الهاضم، على الرغم من أنها تبدو اعتلالات فيسيولوجية في ظاهر الحال، الا انهاتعود في جذورها في معظم الاحيان إلى أسباب نفسية.

وبحسب رأي احد العلماء، يمكن أن يرافق مرحلة المراهقة تغييرات نفسية عميقة. أو أن يختل خلال ذلك تعادل قوى الشخص الثلاث، اي القوة العقلية، والقوة الغضبية والقوة الشهوية. وتتطور أمنيته السابقة في كسب ودّ الاخرين الى نوع من الشعور الملموس.

في الواقع انّ النمو يترك آثاراً على الجهاز العصبي للمراهق ويزيد في حساسيته، الأمر الذي يحد من مقاومته أمام الأمراض النفسية، كالهستيريا والتوترات العصبية، ويجعله عرضة للاصابة بمختلف الأمراض النفسية التي نلاحظ نماذج منها في الأُسرة والمدرسة وعند الفتيات.

التوتر العصبي

يلاحظ الكثير من أولياء الأُمور لدى الفتيات المراهقات سرعة التأثر والانزعاج والتوتر العصبي عند أبسط خلل يواجهنه في حياتهن. ويعود السبب في ذلك الى أنهن يواجهنَ موانع تحول دون تحقيق ارادتهن خلال سعيهن الى الاستقلال بشؤونهن والتحرر من القيود الأُسرية والمدرسية والاجتماعية.

كما وقد ارجع البعض حالة التوتر العصبي الى العقد النفسية التي تتولد نتيجة لعوامل مختلفة يعجز الشخص عن تجاوزها بمفرده من جهة ولا يجد من يعينه على التخلص منها من جهة أُخرى. فتبرز على شكل نوبات من الغضب والعصبية العاصفة.

مرض العصاب وانواعه

من الاختلالات المهمة خلال فترة المراهقة، يمكن الاشارة الى مرض العصاب الذي يشمل مجموعة من التوترات النفسية أبرزها حالة القلق والاضطراب. وطبقاً للدراسات يقسم العصاب لدى المراهقين، خصوصاً الفتيات، الى اربعة انواع وكما يلي:

١ ـ العصاب الهستيري: وقد يتجلى على شكل السعال العصبي، والشعور بالجفاف في الحنجرة، والبحة في الصوت، والانخداع الجنسي والخشية من الافتضاح.

٢ ـ عصاب الخوف: وتعود جذوره في الغالب الى الحسد، حيث يلاحظ الشخص يتفوه بكلام خاطىء وغير مبرر، ويسعى الى اخافة الاخر.

٣ ـ عصاب الوسواس: وتعود اسبابه في الغالب الى الخوف والصعوبات الشديدة، والشعور بالعذاب والاغتمام على اثر فقد شخص عزيز.

٤ ـ العصاب المختلط: تعود أسبابه الى مجموعة عوامل منها المراودات الجنسية أثناء الطفولة، والضغوط النفسية، والمخاوف والكوابيس، وعمليات الضرب والعقاب المفرطة، والمنغصات المفاجئة و... ويتجلى على شكل قلق واضطراب ووسواس وانفعالات عصبية مختلفة.

وبكلمة جامعة، فان السبب الاساس للعصاب يعود الى انّ الشخص يواجه

خلال حياته مسائل تتعارض ظروفه النفسية فتتحول الى تراكمات يكبتها في داخله، فتبرز على سلوكه على شكل العصاب بمختلف أنواعه.

الميل الى الانزواء

في بعض الحالات يتولد لدى المراهق الضجر من الحياة، وقد يكون هذا الضجر تصنعاً أو حقيقياً، ويعود ذلك في أسبابه الى الشعور بتفاهة الحياة أو بالضلال والانحراف، فالمراهق يميل الى تمثيل دور الانسان الضجر، الا انّ هذا التمثيل يلقنه الشعور بالتفاهة شيئاً فشيئاً.

عادة يميل المراهقون الى الوحدةوالانزواء ،والسبب في ذلك يعود الى أنهم يجدون فوارق كبيرة بين تصوراتهن عن الحياة وبين مجريات الواقع الملموسة، الأمر الذي يدفعهم الى النأي بأنفسهم عن الواقع أوالترددفي التعامل مع قضاياه. انّ العيش في الوحدة والنأي عن الحياة الاجتماعية، شأنه شأن الحمّى السارية، يقض مضجع المراهق وينخره من الداخل شيئاً فشيئاً ليجد نفسه بالتالي في وضع لا يحسد عليه.

انّ من شأن حياة الوحدة والانزواء ان تشغل بال المراهق بعشرات الأفكار والخيالات، حيث ثبت بالتجربة انّ الشخص يلجأ في وحدته الى نسج الأساطير والخيالات الواهية، حول نفسه وحتى لقد يبادر الى جلد ذاته في بعض الحالات كتنفيس عن رتابة حياة الوحدة.

انسداد الشهية

تتعرض الفتاة المراهقة أحياناً الى الاصابة بنوع خاص من المرض يعبر عنه بانسداد الشهية، ويبرز في الوهلة الأُولى على شكل الادبار عن الطعام والتقليل من تناوله، ومن ثم يتطور في المراحل اللاحقة الى الامتناع كلياً عن تناول الطعام، الأمر الذي يؤدي بالنتيجة، في ظل الاجهاد، الى الانهيار

المفاجىء. وقد يتسبب ذلك أيضاً في انقطاع الدورة الشهرية وزوال الميول الانثوية لدى الفتاة.

ومع انّ سن المراهقة هي سن النشاط والحركة، الاّ انّ الملاحظ، في ظل مرض انسداد الشهية، انّ الكثير من الفتيات يعانين من الكسل والخمول ولا يبدين رغبة بالعمل، وحتى انهن يواجهن صعوبات في مجال التحصيل الدراسي، وفي كل مرة يؤجلن عمل اليوم الى غد، وغداً الى بعد غد وهكذا.

لقد طُرحت آراء كثيرة حول أسباب وعوامل استفحال التوترات العصبية والاختلالات النفسية لدى الفتيات المراهقات أشرنا الى بعضها فيما مر من البحث، ونذكر هنا أيضاً بعضاً آخر منها على النحو الآتي:

- أوامر ونواهي أولياء الأُمور والمربين التي كلما زادت، زادت معها باطراد الاختلالات العصبية والنفسية.

- ظروف الحياة الشخصية غير الطبيعية، وتشمل الفوضى النفسية، والاعتلال في المزاج وفي معامل الغدد.

- العوامل المقلقة في الوسط الاجتماعي، مثل الازدواجية والنفاق، والمهاترات، وعمليات الشجار.

- الاساس التربوي الخاطىء في مرحلة الطفولة خصوصاً في سن الخامسة والسادسة.

- الاتهامات، والشعور بالخطايا والذنوب والخشية من ترتب اخطار عليها.

- ولابد من طرح هذه المسألة وهي انّ الاختلالات النفسية تشتد وتستفحل في الغالب نتيجة لظروف الحياة السيئة. فقد لا تتجلى هذه الاختلالات بوضوح في بداية الامر، لكنها تظهر في المراحل اللاحقة وتبرز بوضوح على سلوك الشخصية.

الفصل الرابع عشر
جنون الشباب (الشيزوفرنيا)

مقدّمة

يتعرض الشخص في مرحلة المراهقة على ندرة، وفي مرحلة الشباب على وفرة، الى الاصابة ببعض الأمراض التي تسبب له ولأُسرته متاعب عديدة. ويمكن ملاحظة أعراض ذلك في فترة النضوج واكتمال الشخصية. ومن أهمها مرض جنون الشباب أو ما يسمى بالشيزوفرنيا.

ويبرز هذا المرض اثناء فترة البلوغ على شكل ضعف سريع في معامل العقل. ولا يستبعد أن يكون ناتجاً عن التسمم النفسي أو عن الاضطراب في افرازات الغدد الداخلية. وهناك أسباب وعوامل أخرى مهمة ايضاً نشير الى بعضها فيما يأتي من البحث.

الأعراض والعلائم

فيمايخص أعراض وعلائم هذا المرض لابد من الاشارة الى المسائل الآتية:

١ ـ في البعد العاطفي: يعجز المريض عن التألف والانسجام مع الآخرين، ويصاب بالتدريج بنوع من الجفاء العاطفي، وتصدق هذه الحالة حتى على علاقاته بزوجه واطفاله في بعض الأحيان.

٢ ـ فيمايتعلق بالواقع: لابد من القول ان هذا المريض شخص انطوائي مستغرق في عالمه الشخصي بنسج الخيالات والأوهام بعيداً عن عالم الواقع. وقد يفرح ويسر في عالمه الخاص بشدة حيناً، ويغتم ويحزن بشدة في حين آخر.

٣ ـ في البعد السلوكي : يقوم المريض في بعض الحالات بأفعال وتصرفات تثير السخرية والاستهجان ، ولا يرعوي عنها أو يخجل منها لأنه ببساطة لا يفهم ضرورة التأدب والوقار والاتزان في المجتمع .

٤ ـ حالاته : يصاب المريض في بعض الحالات بالبهت ، فيصوب نظره الى نقطة مجهولة ويظل يركز النظر باتجاهها . وبحسب قول مان ، فانّ المريض يعاني حالة من القلق والاضطراب دائمين ، فيجلس في كل يوم في مكان وينظر مبهوتاً الى نقطة معينة . انّ حالته هي كحالة المهموم الغارق في أوهامه وخيالاته . كما وقد تتولد لديه أحياناً دوافع عدائية تجاه الآخرين ايضاً .

٥ ـ في البعد الفكري : ليس لدى المصاب ما يعرضه من أفكار . أنّ افكاره أنية ولحظوية وغير مستقرة على حال أو لون معين . ولهذا فانه لا يمتلك هدفاً في الحياة وكل الاشياء بالنسبة له سواء .

٦ ـ الانانية : يتصف المصاب في الغالب بالانانية وبتضخم الذات ، ويثرثر عن نفسه وعن محاسنه كثيراً . وقد يقف أمام المرآة مطولاً يتفحص نفسه وكأنه يبحث عن ذاته الضائعة .

الأسباب والعوامل

لا ننسى أن نضيف هنا أن مرض الشيزوفرنيا يظهر بأشكال مختلفة في الاشخاص بحثها خارج عن مجال هذه الأسطر ،وفيما يخص اسباب وعوامل الاصابة . بهذا المرض يمكن الاشارة الى ما يلي:

١ ـ يذهب بعض اطباء النفس الى انّ مرض الشيزوفرنيا يعود في اسبابه الى اختلالات عضوية ونفسية واجتماعية . ويضيفون أنّ عوامل القبح والحسن والوراثة أيضاً مؤثرة في هذا المجال .

٢ ـ كما وقد أرجع فريق اسباب ذلك الى عجز الشخص عن التطابق

والانسجام مع الوسط الاجتماعي سواء المحدود أوالواسع منه.

٣ ـ وذهب جماعة الى الاعتقاد بأنّ السبب يعود لتوقف النمو في مرحلة من العمر وبالتالي فقدان قابلية الانسجام والتطابق مع الوسط.

٤ ـ وأخيراً أرجعه البعض الى الضغوط النفسية التي تعرض لها المراهق ولم يستطع تحملها.

آراء اخرى

هناك آراء اخرى ايضاً حول أسباب مرض الشيزوفرنيا لا حاجة بنا الى ذكرها هنا، لكننا نأتي فيما يلي على بعض ما نرى فائدته لأولياء الأُمور في هذا المجال بشكل عام:

ـ لقد بحث أطباء النفس مطولاً حول جذور الاصابة بهذا المرض وتوصلوا الى أنه ينتقل الى الأبناء عن طريق الوراثة.

ـ وقد أرجع البعض أسبابه الى الخلل أو الاعتلال في معامل شبكة الأعصاب.

ـ كما وقد أُشير ايضاً، كما ذكرنا فيما مر، الى اثر الصعاب والمشاكل والضغوط النفسية وضعف تحمل ومقاومة الشخص في هذا المجال.

ـ ولا مفر من الاشارة الى هذه المسألة ايضاً وهي أنّ البعض يعتقد انّ مرض الشيزوفرنيا مرض عصابي غامض وكل ما قاله الأطباء النفسانيون حول أسبابه لا يعد وكونه فرضيات غير مؤكدة. وعلى أية حال إذا أُريد التوصل الى رأس خيط في البحث حول عوامل وجذور هذا المرض، لا مفر من العودة الى الاشارة لنفس العوامل والجذور المذكورة.

أُسر المصابين

تشير الدراسات والتحقيقات حول أُسر هؤلاء الأشخاص إلى أنّ المشاكل

العائلية، خلال فترة طفولة الشخص، تلعب دوراً هاماً في قابلية الاصابة بمرض الشيزوفرنيا وطبقاً لأحد التحقيقات الغربية، تبين انّ أمهات المصابين، كنّ حادات الطبع وعصبيات المزاج، ويمارسن الشدة في التعامل معهم، ونظرتهن كانت سلبية تجاههم. كما وأشار التحقيق ذاته الى انّ الأباء كانوا اما اشخاص لا اباليون وغير مكترثين بشؤون أبنائهم أو غضوبين ويمارسون العنف والشدة في التعامل معهم.

الآثار والأعراض

انّ أول ما يجب تقريره في هذا المجال هو انّ الشيزوفرنيا مرض نفسي يرافقه، ككل مرض، أعراض وآثار عديدة. ولأن المرض النفسي يحد بطبيعته من معامل العقل ويؤثر على اتزان الشخصية في التعامل مع القضايا، لذا فانّ افرازاته في الواقع قد تبرز على شكل الحاق الأذى بالنفس وبالآخرين. ومن الأعراض الأُخرى لهذا المرض، يمكن الاشارة الى الأوهام والهذيان وتشوش البال و...

وبعبارة اخرى، انّ مرضى الشيزوفرنيا أشخاص غير مؤهلين لممارسة حياة اجتماعية طبيعية، خصوصاً الفتيات اللاتي يواجهن، في حال تعرضهن الى الاصابة بهذا المرض، صعوبات جمة في إدارة الأُسرة والعيش بهدوء مع الزوج والأبناء، كما ويسري مرضهن، بحسب أحد الآراء، الى الأبناء بالتدريج أيضاً.

الفصل الخامس عشر

الأمراض النفسية

مقدّمة

ما أكثر الأمراض النفسية التي يواجهها الأشخاص خلال مرحلة المراهقة وتعرّض حياتهم الى المخاطر. أنّ ذكر جميع هذه الأمراض ودراستها بالتفصيل خارج عن حيطة هذه الأسطر، لكننا نسعى في هذا المجال الى الاشارة لبعض ما نرى أهميته منها باختصار:

١ ـ الكآبة: يتعرض بعض الأطفال والمراهقين والكبار للاصابة بمرض الكآبة، ومن أعراضه الانزواء، والتفكير بالانتحار، والأرق، وانسداد الشهية. ويمكن اعتبار الكآبة نوع من الاعتلال العاطفي، يسعى الشخص الى مكافحته والحد منه من خلال وسائله الدفاعية النفسية المختلفة، ومنها العودة بالذات الى سني الطفولة. وقد يتحول مرض الكآبة عند هؤلاء الى اعتلالات وآلام عضوية. ومن أعراضه الأُخرى يمكن الاشارة الى القلق، والغضب، والخمول والكسل. وقد يتولد لديهم خلال سن ٤ ـ ١٥ عاماً دوافع عدائية تجاه أولياء أمورهم.

وفيما يخص أسباب وجذور هذا المرض، ذهب البعض الى انّ الشخص تتولد لديه حالة الاكتئاب والأدبار عن الحياة ويصبح حاد المزاج على أثر تعرضه لمختلف الضغوط النفسية. وطبقاً للتحقيق الذي اجراه استوتر، وهوعالم امريكي، تبين أنّ نحو ١٣٪ من الفتيات أصبن بالاكتئاب بسبب طول قاماتهن لأنهن يعتبرن هذه الحالة نشازاً. كما وأرجع فرويد حالة الاكتئاب الى الخشية من فقدان شيء ما سواء كان هذا الشيء وهمياً أو موجوداً في الواقع الموضوعي.

٢ ـ الوسواس: بشكل عام، فأنّ عشرين بالمائة من حالات الوسواس

تحصل في سني ما قبل الخامسة عشر، ونحو خمسين الى ستين بالمائة منها يحصل بين سن الخامسة عشر الى سن العشرين، ويدوم ذلك أحياناً حتى نهاية العمر.

يعاني المصابون بمرض الوسواس صعوبات كثيرة في حياتهم. فاذا اصيب أحدهم بخدش بسيط في ناحية من جسمه مثلاً نجده يشغل باله بذلك بشدة، ويرتجف وتتقلص أعصابه. ومن أعراض الوسواس، يمكن الاشارة الى حالات التردد والقلق والشك في الأفعال والأفكار. وعلى الرغم من أنّ المصاب يعرف تمام المعرفة انّ طريقته في التعامل مع الأشياء خاطئة وبعيدة عن الاتزان، لكنه في الوقت ذاته يشعر انه عاجز عن التخلص منها.

جذور الوسواس: لقد أشارت التحقيقات حول هذا الموضوع الى انّ ٨٠٪ من المراهقين المصابين بالوسواس كانوا،خلال فترة طفولتهم، يعانون حالات من القلق والخوف والاضطراب. وطبقاً لبعض الأراء فانّ لممارسة الشدة في التربية مع الأشخاص، خلال مرحلة الطفولة، مدخلية كبيرة في تعرضهم للاصابة بالوسواس. كما وأرجع اسبابه آخرون مثل فرويد الى دوافع جنسية.

ومن جهة اخرى فقد تبين من خلال التحقيق الميداني، انّ نحو ٤٠٪ من المصابين بالوسواس كان أولياء أُمورهم يعانون من هذه الحالة، وإن كان للعوامل النفسية من قبيل الخوف والخجل والاعتلال في المزاج، دورها المؤثر في هذا المجال أيضاً[١]. وبطبيعة الحال، فانّ نسبةالاصابة بالوسواس في الطبقات الاجتماعية الراقية تفوق الطبقات المتوسطة والفقيرة.

علاج الوسواس: من الضروري المسارعة الى علاج الوسواس، باعتباره

---

(١) الوسواس، الدكتور قانمي، ص٨٧ـ ٨٠.

مرضاً سارياً يحمل في طياته مضاراً واخطاراً عديدة في حال استفحاله.

فقد اشارت التحقيقات الجارية حول هذا الموضوع الى الآن نسبة ٣٠ ـ ٤٠٪ من الأطفال والمراهقين المصابين بالوسواس يشفون من هذه الحالة بشكل ذاتي ولا يحتاجون الى الاخضاع للعلاج، بينما تتحسن حالة ٤٠ ـ ٥٠٪ منهم بالتدريج نسبياً في حين تتفاقم الحالة لدى ١٠ ـ ١٥٪ منهم وتعصى على العلاج.

وبالطبع، فان الاصابة بالوسواس تحصل بنسبة ٥٠٪ بشكل تدريجي، بينما تستفحل الحالة بنسبة ٥٠٪ اخرى بشكل مفاجىء يرافقه في الغالب الشعور بالخوف والقلق الحاد. ويمكن معالجة الحالة في بداياتها بسهولة، غير أنها تستعصي على الحل ويصعب علاجها في حال استفحالها واستدامتها.

٣ ـ الشيزوفرنيا: ويعَبّرُ عنه بالجنون المبكر أو جنون الشباب، وقد تحدثنا حوله فيما مر من البحث. ولا يفوتنا القول: انّ مرحلة المراهقة تنطوي على اعتلالات نفسية وعضوية عديدة. منها توتر المشاعر، والقلق والحيرة، والتشوش الذهني، والهذيان في الكلام و...

٤ ـ الهستيريا: وهي حالة من التوتر العصبي يصاحبها الاضطراب، وقد تبرز أحياناً على شكل الاختلال في النظر في سني ١٣ ـ ١٤ عاماً. وقد أرجع البعض (شاركون) أسبابها الى الاختلال في الجهاز العصبي، بينما ذهب آخرون (برن هايم) الى أنها ناتجه عن اعتلالات نفسية. ووصفها پيرزات، تلميذ شاركون، بأنها افرازات نفسية ناشئة عن ضعف طاقة التحمل، فيما قال فرويد أنها نتيجة للكبت الجنسي و...

ومن أعراض مرض الهستيريا، يمكن الاشارة الى حالات من قبيل الاعتلال في وظيفة الاعضاء، خصوصاً الأعضاء المرتبطة بالشبكة العصبية،

والشلل، والرجفة، وانسداد الشهية، والتقيوء، والغثيان، واختلالات شعورية تبرز على شكل الوهم والهذيان في الكلام و...

٥ ـ امراض اخرى: يتعرض الأشخاص، في مرحلة المراهقة، الى الاصابة بأمراض كثيرة تسبب لهم وللمحيطين بهم مشاكل عديدة، مثل الأمراض الذهنية والنفسية، وحالة الدوار، والبله، وحدّةالمزاج و... مما يؤدي الى تراكم العقد النفسية لديهم.

أهم الأسباب

فيما يخص عوامل وأسباب الاصابة بهذه الأمراض، فقد تحدثنا حولها بشيء من التفصيل فيما مر، ونشير هنا أيضاً بشكل عام الى أهمها وهي: الفشل في الحياة، والشعور بالحقارة، والتجارب الغرامية قبل أوانها، والالقاءات الخاطئة، والخوف والقلق من المستقبل و...

ومن العوامل المساعدة على الحد من تفاقم الأمراض النفسيةأو زوالها، العيش في اجواء هادئة وسليمة بعيداً عن حالات القلق والتوتر، واملاء أوقات الفراغ بمختلف الأعمال والمهن والنشاطات الفكرية المفيدة.



الباب الخامس

تمهيد

نتناول في هذا الباب المشاكل السلوكية لدى المراهقين ،ونريد أن نعرف فيه طبيعة هذه المشاكل وكيف ينبغي التعامل معها .ومن أجل ذلك فقد قسمنا البحث الى ثلاثة فصول .

نتحدث في الفصل الأول حول الاختلالات السلوكية لدى الفتيات المراهقات ، ونعرض خلاله لمختلف الأعراض والآثار النفسية الناشئة عنها ، وكذلك تمظهراتها العملية على السلوك .

كما وقد خصصنا الفصل الثاني من هذا الباب للبحث حول حالات الجنوح والانحراف التي تظهر على سلوك الاحداث خلال هذه المرحلة من العمر ، وركزنا فيه بشكل خاص على العلاقات غير الشرعية ، والانحرافات الغريزية ، والأصرار على الخطأ ، وحالات التهور الى حد الجنون ، وأشرنا الى أثار ومضاعفات ذلك .

وكذلك فقد تحدثنا ، في الفصل الثالث ، حول المشاكل التي يعاني منها أعضاء فئة المراهقين وانعكاسات ذلك على الأسرة والصعوبات التي يواجهها أولياء الامور والمربين في التعامل معها . وسعينا لبيان الأسباب والعوامل التي تقف وراء مختلف المشاكل الفكرية والنفسية والاجتماعية في هذه السن .

الفصل السادس عشر

الاختلالات السلوكية

مقدّمة

لقد وصف عالم النفس الشهير هاوفيلد مرحلة المراهقة في حياة الفتيات بمرحلة التحليق، ويعني بذلك انّ أكثر أعضاء هذه الفئة يحلقن في عالم الخيال والمشاعر الى آفاق عالية جداً يتعرضن على أثره لمخاطر السقوط.

انّ أسباب وبواعث هذه الحالة كثيرة، ومنها: انّ المراهقة قابلة من الناحية النفسية للتعرض الى الانفعال والاثارة والتقلّب في المزاج... ان حركة بسيطة أو صدمة نفسية خفيفة، من شأنها أن تثيرها بشدة وتخرجها عن صوابها. كما وتعتبر هذه المرحلة، بحسب رأي موريس دبس، فترة الاختلال والفوضى، في جانب النمو، يرافقها اعتلالات عديدة، منها الخمول والكسل، وتغير الاخلاق والسلوك بايقاع متسارع[1].

التناقض في السلوك

يصرح الكثير من أولياء الأمور والمربين أنّ افراد هذه الفئة اشخاص غامضون وغير مفهومين في سلوكهم وتصرفاتهم كما ويحمل المراهقون نفس التصور تجاه الكبار، ويدعون انّ الاخرين لا يدركون حاجاتهم ومتطلباتهم. ويعود السبب في ذلك في جانب منه الى ما يبدر من المراهقين من أفعال وتصرفات متناقضة أحياناً.

فتارة يبدون فرحين ونشطين وموزونين في تصرفاتهم الى درجة تسرّ

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص٩.

أولياء الأمور وتدفعم الى الاشادة برجاحة عقولهم، وفي أخرى يتحولون الى أشخاص شرورين ولجوجين، وتسوء أخلاقهم الى درجة يضيق بهم أولياء الأمور ذرعاً، حتى لقد يتمنى بعض أولياء الأمور، ممن لا طاقة لهم لتحملهم، أن يموتوا ليتخلص منهم الى الأبد.

الجنوح الأخلافي

يتميز أعضاء هذه الفئة خلال مرحلة المراهقة، وخصوصاً الفتيات، بميل شديد الى حياة الانطواء والانغلاق على النفس، والابتعاد عن المحيط الاجتماعي العام، ويصارعون اثناء ذلك بعض الأفكار والميول الشخصية في خلواتهم، ويؤدي ذلك بالتدريج الى تطرفهم في التعامل مع ما يحيط بهم من قضايا وأمور.

ففي الجانب الفكري، قد تنهار في اذهانهم الكثير من القيم والأعراف المقدسة ولا يعودوا يكترثون بها في حياتهم، فيندفعون الى تجاوزها وخرقها في أعمالهم وتصرفاتهم دون أدنى حساب لها؛ الى درجة تثير أعصاب أولياء الأمور وتضعهم في موقف الحيرة والحرج في كيفية التعامل معهم.

كما ويتصف أفراد فئة المراهقين في جانب السلوك الأخلاقي، بالتناقض والازدواجية. ففي سعيهم نحو الاستقلال بحياتهم يلاحظ أنهم يندفعون باتجاه التحلل في القضايا الجنسية تارة، ويظهرون الميل الى الورع والتقوى تارة أخرى. غير أنّ ميولهم في كلا الاتجاهين قلقة وغير ثابتة.

الدوافع العدائية

تجد الفتاة نفسها، خلال فترة المراهقة، في بعض الحالات، وكأنها افتقدت ما تتصف به من رقة وهدوء وصبر، حيث تصبح قلقة وحادة المزاج وتثور لأتفه الأسباب، الى درجة تندفع الى استخدام العنف تجاه الأخوة

والأخوات وتجاه الآخرين.

ومن أعراض هذه الحالة الهستيريا التي تبرز أثناء الأزمات، على شكل الهياج العصبي والصراخ والغضب الشديد ومحاولة الحاق الأذى بالنفس أو بالآخرين. ولا يخفى ما لهذه الحالة من خطورة على الشخص وعلى المحيطين به.

المعارضة والعصيان

انّ فتاتكم المراهقة لا تُعد اليوم تلك الفتاة المطيعة المسلمة بأوامركم ونواهيكم بالأمس، بل أنها الآن تشعر انّ لها شخصيتها وكيانها المستقل، وهي ليست مستعدة للرضوخ للقيود والشروط كالسابق، وحتى أنها تميل في بعض الحالات الى معارضة وجهات نظركم وأرشاداتكم والتمرد عليها.

تتميز الفتاة المراهقة بصفة خاصة في التعامل مع عملية التوجيه والارشاد، فعندما تكون مسرورة وهادئة البال، تستقبل مطيعة برحابة صدر، لكنها عندما تكون غاضبة ومنزعجة من شيء ما؛ فان مزاجها يتغير وتنزع نحو التمرد والعصيان. الا أنّ الغالب على سلوك المراهقة هو التمرّد والمشاكسة.

انّ الفتاة المراهقة تفسّر في بعض الحالات أراء وتوجيهات الآخرين باعتبارها نوعاً من الاعتداء على شخصيتها ولذا فانها ترفضها ولا تأخذ بها، وإذا شعرت انّ ما يطلب اليها فيه صيغة أمرية تتمرد عليه وتعصيه بشده.

من المشاكل التي تواجهنا في التعامل مع أعضاء هذه الشريحة هو سذاجتهم في التعامل مع الأشياء، اي إن قراراتهم ومواقفهم من القضايا غالباً ما تكون لحظوية وغير محسوبة النتائج.

انّ كل شيء لدى الفتيات في هذه المرحلة ساذج وآني؛ اخلاقهن، كلامهن، زينتهن، غنجهن ودلالهن، فرض انفسهن على انهن أثيرات ومحبوبات لدى الآخرين و ....

الأسباب

كما ذكرنا فيما مر ، فانّ الوضع الظاهري لها يدل على أن الفتاة تعاني من اعتلالات نفسية ناشئة عن التغييرات العضوية التي تحصل خلال فترة المراهقة ، ومنها تزايد نشاط الغدد الداخلية وافرازاتها الهرمونية في الدم ؛ الأمر الذي يترك أثاره على الجوانب السلوكية .

وبعبارة اخرى تحصل خلال فترة المراهقة تغييرات عضوية كثيرة ومتسارعة لدى الفتاة يختل على أثرها تعادل الافراز الهرموني من الغدد الداخلية أي يتغير على اثرها المزاج والسلوك بحسب التعبير الشائع .

الفصل السابع عشر

حالات الجنوح والانحراف لدى المراهقين

مقدّمة

يتعرض المراهقون، خلال فترةالبلوغ، لتغييرات وتقلبات سيكولوجية عديدة تخل بتوازناتهم النفسية وتولد لديهم حالات عديدة من القلق والاضطراب. وخلال سعيهم من أجل التنفيس عن احتقانات القلق والاضطراب وتسكين آلامهم النفسية، قد يندفعون أحياناً الى الجنوح وسلوك مسالك منحرفة.

وكما قال أحد العلماء، فانّ التطورات العضوية والنفسيةالجنسية، التي تبرز بشكل مفاجىء خلال فترة المراهقة، تولّد لدى الفتى أو الفتاة طائفة من الميول والعواطف المقلقة. ويكمن خطر الجنوح في طريق هكذا أشخاص في هذه الحالة اذا لم يكونوا محصنين من الناحية التربوية، وتزداد احتمالات الانحرافات السلوكية عند معاشرة رفاق السوء والانحراف الخلقي.

العلاقات غير البريئة

انّ اساس الكثير من حالات الانحراف، خصوصاً ما يتعلق منها بالجوانب الجنسية، يعود الى العلاقات غير البريئة التي تنشأ بين الفئات المتقاربة في السن فحيث يشعر المراهق خلال بدايات فترة المراهقة، بالحاجة الى من يجعله موضع اسراره من الزملاء والأصدقاء فيحاوره ويستشيره حول ما يحصل لديه من تغييرات عضوية ونفسية تزداد احتمالات تطور هذهَ الأمور الى علاقات جنسية غير شرعية.

انّ علاقات الصداقة تتطور أحياناً الى علاقات محرمة، فيصبح على أثره أحد الطرفين خادعاً والآخر مخدوعا، ولا يمكن تعيين الشخص المسبب بدقة

في مثل هذه الحالات، الا انّ ما يمكن قوله بشكل عام هو انه لولا تشجيع أحد الطرفين لا يمعن الطرف الآخر في فعله وسرعان ما ينصرف ويتركه لحاله، لكن الواقع هو انّ الانصراف لا يحصل في الغالب، لأن الطرفين يرغبان نفسياً في مثل هذه العلاقة.

اجل، فنتيجة لتشابه الميول العاطفية لدى المراهقين، يلاحظ أنهم يندفعون ،في علاقاتهم ببعض، وراء مختلف الايحاءات الجنسية الانحرافية. وعلى الرغم من ان هذه الحالة تثير لديهم المخاوف في معظم الأحيان، الا أنهم يعجزون عن الانصراف عنها كلياً أو ضبط انفسهم تجاهها.

الانحراف الجنسي

تتولد لدى الأحداث، خلال فترة المراهقة، دوافع جنسية انحرافية عديدة مثل: العادة السرية، والميل الى نفس الجنس، واللعب بالأعضاء الجنسية الى درجة الشذوذ.

وفي بعض الأحيان يشعر المراهقون أنهم أحرار وبامكانهم ممارسة الجنس وارضاء غرائزهم كما يشاؤون، لكنهم يخشون في نفس الوقت من هذه العملية لكونها تنطوي على احتمالات الحمل، وأحياناً اخرى يلجأون الى إرضاء أنفسهم عن طريق ممارسة الاستمناء او ما يسمى بالعادة السرية.

فطبقاً للتحقيقات التي اجراها كينزي حول فئةالمراهقين، تبين انّ ٣٠ ـ ٧٠٪ من الفتيات و ٧٠ ـ ٩٠٪ من الفتيان في البلدان الغربية يمارسون العادة السرية. والطبع فانّ هذه النسبة تقل في المجتمعات الاسلامية نتيجة تحريم الدين الاسلامي لذلك.

وتشير الدراسات والبحوث العلميةحول هذا النوع من الانحراف الى انّه قديم ومزمن في اوساط المراهقين، لكنه لم يكن بهذه الدرجة من الشيوع التي

نلاحظها اليوم في المجتمعات المعاصرة. ويعود السبب في ذلك الى تأخر سن الزواج من جهة، ولعوامل الاثارة المتزايدة في عصرنا الحاضر من جهة اخرى.

وفضلاًعما مر، يمكن أن يكون هذا الانحراف ناشئاً من عقد نفسية تعود في جذورها الى ملابسات سنوات الطفولة، ويسعى الشخص في مرحلة المراهقة الى التنفيس عنها عن طريق ممارسة العادة السرية.

الانحراف المتعمد

بعض المراهقين يندفعون وراء الأفعال المنحرفة عن عمد وسابق اصرار رغم علمهم بخطأ ما يرتكبونه. انّ الميل الى النزاهة والورع والخضوع الى الخطيئة والرغبة بها في ذات الوقت، من شأنه أن يولد تناقضات نفسية ذات عواقب وخيمة على الاشخاص.

انّ مثل هؤلاء الأشخاص يعانون من القلق والاضطراب، ويسعون، من خلال أفعالهم وتصرفاتهم الخاطئة، الى التنفيس عن الضغوط النفسية التي تعتمل في صدورهم بهدف الوصول الى حالة الهدوء النفسي، لكنهم يندمون على افعالهم فيما بعد، فيشتد قلقهم واضطرابهم. ولأن الاضطراب الجديد بحاجة الى تنفيس جديد، لذا فانه يسوقهم الى ارتكاب مزيد من الخطايا والذنوب، وهكذا تستمر الحالة الى ان تبلغ مديات خطيرة.

اتساع الانحراف

قد يتسع الانحراف ويتنوع عند المراهق. فنوع منه يتمثل في الانحراف الغريزي، وهو بدوره ينقسم الى انواع، ويدل على اعتلالات نفسية يعاني منهاالشخص في هذاالمجال وتحتاج الى رعاية تربوية خاصة. ويميل بعض افراد هذه الفئة الى مطالعة الكتب والصور التي تحتوي على معلومات ولقطات تثير الغريزة الجنسية.

انّ هدفهم من الاندفاع وراء المثيرات العاطفية يتمثل في محاولةالتنفيس عن الاحتقانات النفسية التي تضغط عليهم وتقلقهم بشدة، ولذا يلاحظ أنهم يلهثون أحياناً وراء مختلف الاثارات الجنسية والعاطفية بهدف الحصول على المتعة الانية التي تسكن اضطراباتهم النفسية المختلفة مؤقتاً.

العواطف والرغبات

انّ العواطف والرغبات تشتد في مرحلة المراهقة الى درجة تتغلب على معايير العقل والاتزان الشخصي لدى المراهقين. ومن هنا يلاحظ انّ بعض المراهقين يندفعون وراء اشباع حاجاتهم ورغباتهم العاطفية، عن طرق خاطئة ويمكن القول انّ عواطف ورغبات اعضاء فئة المراهقين تتجاذبها مشاعر حياة الطفولة من جهة، ومتطلبات حياة الكبار من جهةاخرى، وبالفعل فانّ هذه الفترة بالنسبة لهم هي فترة انتقالية، ينتقلون خلالها من الطفولة الى مرحلة الشباب والنضوج. ومن الطبيعي أن يرافق هذه المرحلة الانتقالية من حياتهم حالات من الخوف والقلق والاضطراب الى جانب الرغبة بالحياة الجديدة.

وبطبيعة الحال، يولي المراهقون، اناثاً وذكوراً، في هذه المرحلة من أعمارهم أهمية متزايدة لآراء الآخرين بشأن ميولهم وعواطفهم. وهذه الحالة تعد أرضية مناسبة لتوجيه ميولهم ورغباتهم بالاتجاه الصحيح.

وبعبارة اخرى اذاكان الاشخاص الذين يتأثر بهم المراهق ويحسب أهمية لرغباتهم أناسٌ شرفاء ومؤدبون يميل هو الآخر الى الالتزام والتأدب بأدابهم في الحياة، وبالعكس اذا كانوا اشخاص متهتكون وفاسدون ينساق هو الآخر وراءهم نحو الانغماس في الرذيلة والانحراف.

تنوع المشاعر

يتميز المراهقون بأحاسيس ومشاعر متنوعة وحتى متناقضة ومضرة في بعض الحالات. فمثلاً يشعر المراهق أحياناً ان جسمه غير جميل ويثير الضحك والسخرية، والآخرون ينظرون اليه باستصغار، الأمر الذي يحزنه ويقلقه ويدفعه أما الى التغلب عليه بالظهور بمختلف الاشكال، أو الى الانزواء والانطواء على النفس.

ويمكن أرجاع بواعث الكثير من حالات المبالغة في التظاهر بمختلف الاشكال الى نفس هذه الهواجس والمشاعر. وتلاحظ هذه الحالة في الغالب لدى الاشخاص الذين يعانون من ما يسمى بحب الشباب في وجوههم أو يعانون من نقص عضوي في أجسامهم أو يشعرون ان مثل هذا النقص موجود في شخصياتهم.

ومع انّ أعضاء فئة المراهقين ما يزالون في مقتبل أعمارهم، الا انّه تصدر من بعضهم أحياناً حركات وتصرفات مثيرة وذات دوافع ومغاز جنسية. ويمكن معالجة هذه الحالة وتطويقها في الاسرة بواسطة الارشاد والتوجيه.

المخاوف الغريزية

قلنا أننا نتفق مع رأي موريس دبس حول الغريزة والقضايا الجنسية. لقد كتب دبس قبل خمسين عاماً: من المبالغة الأخذ بجميع آراء فرويد حول القضايا الجنسية، الا انّ بعضها صحيح ويحصل في أواخر سن المراهقة فمع ما يبدو على المراهق من شوق ورغبة لخوض التجارب العاطفية في هذه المرحلة، يلاحظ أيضاً أنه أثر تراوده في نفس الوقت مخاوف من ميوله الجنسية.

انّ الكثير من حالات الجنوح والانحراف لدى أعضاء هذه الفئة تنشأ من الرغبة في اثبات الذات وبهدف التدليل على النضوج وعلى التحرر من القيود، أو

بدافع تسكين الاضطرابات النفسية . اذن ليست المسألة دائماً كما يقول فرويد .

ولا تقتصر حالات الاختلال والخوف والقلق على الجانب الغريزي وحسب ، فهناك جوانب وحالات أخرى أيضاً يواجه فيها المراهق العديد من المشاكل . وسنتناولها في مكانها المناسب في هذا الكتاب .

الفصل الثامن عشر

مشكلات المراهقين

مقدّمة

ان اجتياز مرحلة الطفولة والدخول في مرحلة المراهـقة والنـضوج ليس بالأمر الهين، بل أنه ينطوي على صعوبات ومشكـلات كـثيرة. وقـد يسـتغرق تجاوز هذه المرحلة في بعض الحالات سنوات عديدة.

ومن المشكلات التي يتعرض لها المراهقون في هذه الاثناء؛ التشوشات الذهنية والاختلال في الجـوانب الفكـرية. ويـعود السـبب فـي ذلك الى أنـهم يواجهون في حياتهم الجديدة قضايا متشعبة وواسعة يعانون صعوبات في كيفية التعامل معها واتخاذ القرار المناسب بشأنـها، وفـي الوقت ذاتـه لا يسـمح لهـم اعتدادهم بأنفسهم وغرورهم طلب العون والارشاد من الاخرين في سبيل حل مشاكلهم.

ليس خطأً ان نتوقع من المراهقين أن تكون لهم حياة هادئة ويـواصـلون العيش الطبيعي كالكبار، لكن مثل هذا التوقع مبالغ به، ويتعارض مع الظـروف الحساسة التي يمرون بها خلال فترة المراهقة.

ففي بعض الموارد، نلاحظ المراهقين وهم يعانون مـن حـالة الاعـتلال والمرض، ومن طائفة من الاختلالات العضوية والنفسية التي اشرنا الى بـعضها في الفصول السابقة، ومن هذه الاختلالات حالة السمنة.

تشير التحقيقات حول المـصابين بـالسمنة الى أنـهم كـانوا يـعانون مـن الحالات الآتية وطبقاً للنسب المثبتة: ٦٣٪ منهم كانوا يعانون من توقف عـملية النمو، و٦٢٪ منهم مصابون بالوسواس، و٤٣٪ منهم يعانون من الشك والتردد، و٤٠٪ منهم منطوون على انـفسهم، و٣٤٪ مـنهم حـادّو المـزاج، و٢٢٪ مـنهم يشعرون بالكبت، و١٧٪ منهم ضعاف الأعصاب ... وهكذا الى آخر الحالات في

هذا المجال.

ولابد أن نضيف هنا أنّ هؤلاء لا يتمتعون بأوضاع طبيعية في البيت أحياناً، لكنهم يتمتعون بأوضاع طبيعية وهادئة في المدرسة. وبعبارة أخرى فانّ لظروف الوسط والبيئة دوراً مؤثراً في أطباعهم النفسية.

المشكلات الفكرية

يعاني الكثير من المراهقين، خلال هذه المرحلة من الحياة، من مشكلات فكرية متنوعة، غير انّ أغلب هذه المشكلات التي تبدو فكرية في ظاهر الحال، لا تعدو في الواقع سوى تصورات وأوهام من نسج الخيال.

فنجدهم أحياناً ينسجون خططاً لمستقبلهم في خيالهم ويتمثلون تحققها في الواقع العملي، ولما يشعرون باستحالتها بعد حين يعتبرونها مشكلة حقيقية ويتمنون تحققها في الواقع الخارجي. لكنهم في الوقت ذاته يعانون من مشاكل وابهامات فكرية حقيقية أيضاً ناشئة في الغالب عن قلة التجربة وفقر المعلومات عن ظروف وطبيعة الحياة وهي ثغرات يفترض بأولياء الامور والمربين أن يملؤها قبل هذا الوقت بالارشاد والتوجيه في سبيل تحصين الشخص فكرياً وثقافياً.

المشكلات النفسية

وكذلك يكون المراهقون، خلال هذه المرحلة عرضة للمشكلات النفسية المختلفة التي قد تتطور الى عقد وأمراض نفسية مستفحلة. ومن هذه المشاكل يمكن الاشارة الى الرغبة بالاستقواء، واستخدام القوة، وابراز العضلات، والشعور بالتفاهة في بعض الحالات، والتناقض في السلوك، وضعف الارادة، والميل الى التحرر والعجز عن تحقيق ذلك، وأحياناً فقدان الشجاعة و...

وفي بعض الحالات يشعر هؤلاء عند التعامل معهم انّ الآخرين تجاوزوا

على حقوقهم ولم يحترموهم. وحتى يتصورون ان أولياء أمورهم لا يدركونهم ولا يجيدون كيفية التعامل معهم، وهذه الأخيرة تصدق على الكثير من الفـتيات وتظهر من خلال كثرة شكاواهن في هذا المجال.

ومن أعراض المشكلات النفسية حالات التمرد على أوامر وتـوجيهات اولياء الامور والمربين، وسرعة الغـضب، والاعـتداء عـلى الاخـرين، وعـدم الانتظام، والادبار عن الاهتمام بالدراسة، وقضاء الأوقات بالعبث.

المشكلات الثقافية

من المشكلات الثقافية لهذه الفئة من الناس؛ جهلهم بفلسفة الحياة، وقلة اطلاعهم على القضايا الفكرية، والثقافية التي تشكـل مـنطلقات فـي حـياتهم الشخصية والاجتماعية، وسطحية مستوياتهم من النواحي العلمية الأخرى.

لكنهم في الوقت ذاته يمتازون بدرجة كبيرة مـن الفـضول العـلمي، واذا حصل وأن توصلوا الى مسألة معينة خلال قراءاتهم أو تجاربهم، فانهم يتحدثون عنها بلون من الحماس وكأنهم قد توصلوا الى كشف عظيم.

كما وتتولد لديهم، في ناحية الاهتمام الأدبـي، حـالة مـن الرومـانسية تجعلهم على أثرها حساسين وشفافين جـداً. وتـارة نـجدهم مـتزمتين تـجاه الأعراف والقيم والالتزام بهاء، وتارة أخرى يكونون غير مكترثين بشـيء مـن هذه الامور الى درجة التمرد والاستهتار.

المشكلات الاجتماعية

تبدو حالة الفتيات في مثل هذه السن وكأنهن يبحثن عن ضالة لهـن، ولا يعرفن أين ينبغي العثور عليها، ومن هنا فأنهن يتصرفن تصرفات تـبدو غـريبة ومتنافية مع الأعراف والقيم الاجتماعية وتدعو الى استنكار واحتجاج الكبار.

ويلاحظ في الغالب، انّ الفتيات المراهقات يتجهن في حياتهن الى تقليد الممثلات ونجمات السينما، اللاتي يتأثرن بهن، في طريقةالعيش والملبس وفي

العلاقات الاجتماعية. ولا شك في انّ السلب والايجاب في هذه الاندفاعات يتوقف على نوع الشخصيات التي تكون مورداً للاهتمام من قبل المراهقات؛ فاذا كانت رزينة وايجابية تكون مؤثرة بالاتجاه الايجابي، واذا كانت متهتكة وسلبية، فانها تجر نحو الرذيلة والانحراف.

تتنوع المشكلات الاجتماعية لدى المراهقات، وتشمل في قسم منها، حالات من قبيل عدم الانضباط في السلوك والجنوح، والاضطراب، وعدم المواظبة على تحضير الدروس والحضور الى المدرسة، والانشغال الذهني، والكآبة، والضجر من الحياة، والتهور في السياقة، والتمرد على الضوابط الاجتماعية التي لا تتعارض مع نفسياتهن.

وبشكل عام، فانّ مرحلة المراهقة، تعد من المراحل التي يواجه فيها الشخص صعوبات كثيرة في التطابق والانسجام مع شروط الحياة الاجتماعية. وتتطلب عملية الارشاد والتوجيه التربوي فيها مزيداً من الوعي والتحمل من قبل أولياء الأمور والمربين.

طبيعة حياة المراهقين

ان نمط حياة المراهقين وطبيعة الظروف التي يعيشونها داخل اسرهم، تعكس آثارها باطراد على نفسياتهم، فاذا كانت حياة هادئة وطبيعية يكونون هادئي الطباع وموزونين من الناحية النفسية والسلوكية، والعكس أيضاً هو الصحيح؛ اذا كانت متشنجة ومضطربة تكون ظروفهم بالتبع كذلك.

ومن العوامل التي تؤدي الى بروز المشكلات النفسية والاجتماعية في مرحلة المراهقة، يمكن الاشارة الى فقدان الحنان والرعاية، والفقر المادي، والضغوط النفسية، والتجارب والكوارث المريرة أثناء مرحلة الطفولة. لكن المشكلات لدى فئة المراهقين لا تعود أسبابها دائماً الى خلفيات سابقة، فقد تكون وليدة عوامل آنية ترتبط بالوضع النفسي للشخص خلال فترة المراهقة.

الباب السادس

تمهيد

تبلغ الفتيات، وفق الرؤية الاسلامية، سن التكليف في التاسعة من أعمارهن، ويترتب عليهن في هذه السن كل ما يترتب على الأشخاص البالغين من واجبات وتكاليف في الحياة.

وقد اعتبر بعض علماء النفس هذه المرحلة ضمن فترة الطفولة فيما ذهب آخرون إلى اعتبارها داخلة ضمن مرحلة المراهقة.

فمع بدايات مرحلة المراهقة، تحصل لدى الفتيات طائفة من التغيرات العضوية في الجسم تطول على أثرها قاماتهن. ويبلغ النمو في جهة الأطراف، خلال هذه المرحلة، درجة من السرعة تبدو وكأنها قد أخلت بالوضع الطبيعي للجسم، ويبرز ذلك من خلال حركات وتصرفات افراد هذه الفئة من الفتيات. كما وتترك هذه التطورات العضوية أثاراً نفسية على طبيعة حياة الفتيات بشكل يدعو إلى القلق أحياناً.

وأخيراً يبدأ لدى الفتيات، في مرحلة ما قبل البلوغ، نشاط الصفات الجنسية الثانوية، وتنعكس مفاعيله على عواطفهنَّ وسلوكهن في الحياة.

نتناول في هذا الباب القضايا المذكورة بالبحث والدراسة في ثلاثة فصول أخذين بنظر الاعتبار مراعاة جانب الايجاز والاختصار في جميع موارد البحث.

الفصل التاسع عشر
البلوغ الشرعي

مقدّمة

مع حلول مرحلة المراهقة، يدخل الطفل في طور جديد من الحياة تحصل لديه فيه تغييرات نفسية عديدة. وهذه المسألة ليست خاصة بسن معين، وانما هي حالة عامة يمر بها جميع افراد البشر خلال مراحل حياتهم. ففي هذه الأثناء يكون الشخص قد طوى مرحلة الطفولة ووفد إلى مرحلة أخرى هي الحد الفاصل بين الطفولة والبلوغ.

تشمل التغييرات، خلال فترة المراهقة، الأبعاد العضوية والاجتماعية والنفسية معاً. فهي من جهة تؤدي إلى بروز تطورات عضوية تترك آثاراً على شكل وهيئة الشخص، ومن جهة أخرى، تنعكس مفاعيلها على مزاجه وأخلاقه وسلوكه في المجتمع.

ان مرحلة المراهقة هي فترة من حياة الشخص يشعر فيها باستشراء الدوافع الجنسية في كيانه وتقلب أحواله النفسية على خلاف العادة. وتختلف بداية هذه الحالة عند الفتيات والفتيان، وبشكل عام تحصل في سن ١٠ ـ ١٢. وبالطبع لا يتوقف الدخول في هذه المرحلة على السن دائماً وانما هناك عوامل أخرى أيضاً مؤثرة في هذا المجال.

سرعة التغير

نعلم إن الشخص يتعرض إلى تغييرات وتقلبات عديدة خلال مرحلة الطفولة أيضاً، خصوصاً في الفترة الجنينية والسنوات الثلاث الأول من حياته، غير أننا لا نجد مرحلة من العمر يزداد فيها ايقاع النمو وسرعة التغير عند الشخص

مثلما يحصل في مرحلة المراهقة.

إنّ التغييرات في هذه المرحلة تشمل جميع أبعاد الشخصية، العضوية والنفسية، والفكرية، والعاطفية، وهي من الحدة إلى درجة يبدو معها الشخص وكأنه قد تغير كلياً أو هو في طريقة إلى التغير إلى شخص آخر لا يشبه السابق، وهو ما يضع الشخص وأولياء الأمور والمربين أحياناً في موقف محرج، ولا يدرون كيف ينبغي التعامل مع الوضع الجديد.

فمن جهة تدعو هذه التغييرات إلى السرور والتطلع إلى المستقبل باعتبارها حركة جديدة باتجاه النضوج والتكامل، ومن جهة اخرى، تدعو إلى الخوف والقلق على مستقبل الشخص لحساسيتها المفرطة خصوصا في ظل تساهل أو جهل أولياء الأمور في التعامل السليم مع هذه المرحلة.

مرحلة جديدة من وجهة نظر الشرع

تعد مرحلة المراهقة، خصوصاً بعد اجتياز سن التاسعة، مرحلة هامة وجديدة في حياة الفتيات من وجهة نظر الشرع الاسلامي. فالاسلام لا يعتبر الفتاة في سن العاشرة طفلة قاصرة ومعفية من القيام بالواجبات والتكاليف، بل ينظر اليها باعتبارها إنسانة بالغة يترتب عليها واجب الحفاظ على انوثتها وتحمّل مسؤولياتها العبادية والاجتماعية كالأشخاص البالغين.

وبعبارة اخرى، ينظر الاسلام إلى الفتاة في سن العاشرة على أنها انسانة بالغة وقد اجتازت مرحلة الطفولة، ويتعامل معها على أساس انها إمرأة ناضجة، ويفرض عليها ما يفرضه على المكلفات من واجبات وصلاة وصوم وطقوس عبادية والتزامات شرعية في حياتها الفردية والاجتماعية[1].

---

(١) الرسائل العملية لمراجع الدين.

سر التكليف الشرعي

كما قلنا فأنّ التكليف الشرعي للفتيات يبدأ باجتياز سن التاسعة والدخول في سن العاشرة من العمر ، الّا اننا عندما ننظر إلى حجم وهيئة الفتاة في هذه الاثناء نجدها ما زالت صغيرة باستثناء حالات محدودة ، وحتى يمكن ان نلاحظ بوادر وصبيانية في طريقة تفكيرها وتصرفاتها . وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأنَّ الفتاة في هذه السن ليست في ظرف يسمح لها أن تفكر وتتصرف في حياتها وفي علاقاتها بالآخرين بشكل منطقي وسليم . ومن هنا يطرح هذا التساؤل وهو ما السر في تكليف الفتاة بالواجبات الشرعية في هذه السن وهي ما هي عليها من نقص في مداركها العقلية ومن حاجة إلى عون ورعاية الآخرين ؟

المستفاد من بعض الروايات والأحاديث الواردة بهذا الشأن في الاسلام هو إنّ الشارع المقدس أراد ، فضلاً عن الحِكَمِ الالهية الأُخرى ، بهذا التشريع أن يحصن وجود الفتيات ويعدهن لحفظ أنفسهن بشكل مبكر ، وذلك لأنهن ينضجن قبل الفتيان ويكنَّ أكثر عرضة لوساوس وأغواءات وخداع المستغلين .

ضرورة الاعداد

وهكذا يعتبر البلوغ الشرعي المبكر للفتيات بمثابة الاستعداد والاعداد لتحمل المسؤوليات الفردية والاجتماعية في المراحل اللاحقة من الحياة بحسب التغييرات والتطورات العضوية والنفسية التي تحصل لديهن . وبعبارة اخرى يجب تدريب الفتاة مبكراً على الالتزام وعلى تحمل مسؤولياتها في الحياة ، وهو ما يؤكده ويهدف اليه الاسلام من وراء هذا التشريع .

فمع ما نلاحظه من انحرافات كثيرة عند الكتاب الغربيين ، وحتى عند علمائهم ، ورغم تأكيداتهم المتزايدة على الجوانب الغريزية والجنسية ، إلّا أننا

نصادف أيضاً بعض كتاباتهم التي تدعو إلى ضرورة اعداد وتربية الفتيات ابتداءً من سن التاسعة.

يقول اثنان من العلماء الغربيين، هما ميلتون ولوين، بهذا الشأن: بالنسبة للحياة الجنسية من الأفضل أن يُشرع باعداد الفتاة لها ابتداءً من سن التاسعة، وذلك من أجل أن لا تتفاجأ بها بشكل يخيفها ويخلق لديها هواجس وأوهام لا أساس لها. وكذلك يقول عالم النفس الغربي المعاصر هلن دوتش انَّ مرحلة المراهقة هي من الأهمية إلى درجة يلازم بعض حالاتها وأعراضها جميع مراحل حياة الأشخاص، وهو الأمر الذي يستلزم التوعية الشاملة بمختلف أبعادها.

فمن الضروري أن تكتسب الفتاة، ابتداءً من مطالع فترة المراهقة، وعياً عن الحياة النسوية، وأن يتم ارشادها إلى واجباتها الآنية والمستقبلية في هذا المجال، وذلك من أجل ان تكون مستعدة فكرياً ونفسياً للتعامل السليم مع الحالة الجديدة في المراحل اللاحقة من حياتها.

مقدمات أزمة

يلاحظ عادة مقدمات لتعرض الفتيات ـ بعضهن في سن التاسعة وأغلبهن بعد سن العاشرة ـ قبل حلول وقت الحيض إلى أزمة متعددة الجوانب، عضوية ونفسية وعاطفية، تستولي بالتدريج عليهن وتترك أثاراً غير قليلة على طبيعة حياتهن. وقد أشار إلى هذه المسألة علماء نفس معاصرون عديدون ومنهم بياجيه الذي يقول: تتعرض الفتاة في حوالي سن الحادية عشر، التي تبدو فيها بوادر البلوغ لدى الفتيات، لأزمات عديدة يمكن التخفيف من وطأتها والحد من أثارها السلبية من خلال التوجيه والارشاد الصحيحين من قبل الامهات والمربيات.

وبالطبع فانّ أزمة المراهقة تبدأ لدى الفتيات وتنتهي قبل الفتيان بسنة

تقريباً، ومن هنا يمكن القول إن الفتيات اسرع نضوجاً من الفتيان مـن النـاحية الفيسيولوجية والعاطفية.

إنَّ الاعداد التربوي المسبق للفتيات من شأنـه أن يـحول دون تـعرضهن للأزمات النفسية الحادة في مراحل حياتهن الأخرى، خصوصاً أزمات المراهقة، أعني أنه يجب على الاباء والامهات أن يأخذوا بالحسبان ان بنتهم البـالغة مـن العمر ستة أعوام اليوم، ستكون بعد خمسة أو ستة أعوام. فتاة مراهقة لها ما للنساء من مسائل ومشاكل وأن يستعدوا لذلك من الآن فصاعداً ويفكروا بما ينبغي القيام به في سبيل استقبال هذه المرحلة.

نعلم إن الطفل يبدأ في التمييز بين الاشياء في حوالي سن السادسة، ويشرع في التفكير المنطقي نسبياً في سن السابعة، ويصل مرحلة فهم واستقبال البرهان والاستدلال في التاسعة من العمر، ومن هنا تكون الظروف مؤاتية في هذه الاثناء لنمو الشخصية فكرياً وثقافياً واجتماعياً، وبامكانها ان تميز الحسن من القبيح من الأُمور وتتخذ قرارات بشأنها عن وعي ودراية.

قد لا يستطيع الفتى أو الفتاة في هذه السن الاتيان بأدلة وبراهين لجـميع المسائل وقد يعجز أيضاً عن اثبات قضية معينة من الناحية المنطقية، الّا أنه في وضع يتيح له فهم وادراك استدلال الآخرين وهو المهم، واذا طُرحت أمامه مسألة معقولة ومنطقية فانه يدركها ويأخذ بها، وهذه هي فرصة طيبة لأوليـاء الأُمـور ليمارسوا دورهم في ارشاد وتوجيه الابناء إلى ما يريبهم ويوسع مداركـهم فـي الحياة.

الفصل العشرون

التغيرات العضوية

مقدّمة

ترافق مرحلة المراهقة حصول تغيرات بايولوجية عديدة تترك بـالتدريج أثاراً على نفسية وعواطف وسلوك الشخص، ومن الطبيعي أن هذه الحالة هـي أوسع وأسرع لدى الفتيات كما وهي ليست مسألة خاصة ببلد أو عرق معين.

تفقد الفتيات شيئاً فشيئاً الايقاع السا ق لنموهن، ويأخذ التـغيّر لديـهن. منحىً آخر إلى درجة قد يؤدي بهن إلى أن يفقدن توازنـهن النـفسي والعـاطفي بشكل خطير ما لم يكنّ قد استعدن لمواجهة مثل هذه الحالة مسبقاً.

انّ التغيرات في مرحلة المراهقة هي من الكثرة بحيث قال البعض: المراهقة هي دورة من التغير العضوي والفيسيولوجي، التي نفهم من خلالها حلول مرحلة المراهقة عند الطفل. كما ووصفت هذه السن أيضاً، نتيجة لهذه التغيرات، بمرحلة التحوّل والتبدل في الشخصية.

التغيرات الجسمية

يمكن تحديد مرحلة ما قبل البلوغ لدى غالبية الفتيات في سن ١٠ ـ ١٢ أو في سن ٩ ـ ١٢، فالكثير من حالات الحيض لدى الاناث تحصل بعد هذه الفترة مباشرة، غير أننا لا نعدم في الوقت ذاته وجود حالات نادرة تحيض فيها الفتاة قبل سن العاشرة.

تحصل في هذه الفترة تغيرات جسمية لدى الفتاة، فتطول قامتها، وتزداد قوتها العضلية، وتختلف هيئة أعضائها عن السابق، وبالتالي تضطرب أخـلاقها

وسلوكها وتغادر عاداتها الطفولية إلى حد ما[1]. كما وتلفت هذه التطورات العضوية انتباهها إلى نفسها وإلى هويتها أحياناً إلى درجة تقلقها بعض أعراض الحالة من قبيل طلوع ما نسميه بحب الشباب في وجهها أو نبوت الشعر فوق شفتها العليا.

ضرورة التغيّر

لابد من التأكيد على انّ التغيّرات العضوية والنفسية التي تحصل خلال مرحلة ما قبل البلوغ، هي حالة طبيعية وضرورية في الوقت ذاته من أجل بلوغ درجة النضوج الانساني، ومن هنا ينبغي أن لا ينظر إلى هذه المسألة نظرة سلبية باعتبارها حالة مضرة.

وبعبارة أخرى، فانَّ التطورات العضوية والنفسية لدى الفتاة في مرحلة المراهقة هي حالات ضرورية وطبيعية في حياتها، لأنها تساهم في زيادة وعيها وفهمها لهويتها وشخصيتها من جهة، وتؤدي كذلك إلى نموها الفكري واكتشاف طاقاتها وميولها العملية من جهة اخرى.

فالفتاة التي تستفيد، خلال هذه المرحلة، من الخبرات والتجارب الايجابية لأمها أو لأختها الأكبر في الحياة النسوية قد يحصل لديها ميل مبكر نحو الانخراط في حياة الكبار، وحتى قد تراودها أفكار وأمال في أن تصبح يوماً زوجة وأماً، لكنه يوجد أيضاً احتمال أن يراود بعض الفتيات القلق والخوف من الكبر نتيجة شعورهن بثقل المسؤولية في هذه الحالة، والتي تتطلب بطبيعتها مغادرة حياة اللهو والطفولة، أو بسبب سماعهن آراء سلبية من الآخريات حول صعوبة ومشاكل حياة الكبار.

---

(١) البلوغ موريس دبس، ص٨.

نموّ القامة

تطول قامات الفتيات في سن السابعة والثامنة ٥ ـ ٦ سانتمتر خلال العام الواحد وتتنازل هذه النسبة، بحسب رأي بنيامين اسباك، في سن التاسعة إلى ٤ سانتمتر في السنة، وتستمر على هذه الوتيرة إلى سن الحادية عشر، ومن ثم يعاود النمو في الطول تصاعده ليبلغ ٧/٥ سانتمتر في السنة الواحدة، وتستمر الحالة على هذا النمو لحين بلوغ الفتاة الثالثة عشر من العمر.

فعلى أثر الايقاع السريع في النمو، خلال هذه المرحلة، تكتسب الفتاة هيئة مرأة متكاملة وناضجة من جميع الجوانب، وتتغير ملامحها الشخصية إلى درجة قد لا يعرفها من كان قد فارقها قبل ذلك بسنة أو سنتين، في حال رؤيتها مجدداً.

نموّ في بقية الأعضاء

كما وترافق نمو الطول لدى الفتاة زيادة وزنها أيضاً. فحيث كانت الزيادة في الوزن إلى ما قبل ذلك تبلغ لديها ٢/٥ ـ ٤ كيلوغرام في السنة، تقفز هذه الزيادة الآن لتبلغ ٧/٥ ـ ١١ كيلوغراما في السنة الواحدة. وكذلك تزداد القوة العضلية لدى الفتاة في سن ١٢ ـ ١٨ بمقدار ثلاثة اضعاف تقريباً[(١)].

ويتمركز النمو في جانب منه على الصدر، فيشرع النهدان بالكبر شيئاً فشيئاً، على اثر الافرازات الهرمونية من الغدد الداخلية، إلى أن يكتملا وينضجا تماماً. كما وتزداد نسبة الزيادة في النمو حول عظام الخاصرة أو العجز بمقدار ٢٠ سانتمتراً خلال الفترة الفاصلة بين سن العاشرة والخامسة عشر، وبذلك تكتسب الفتاة هيئة إمرأة كاملة.

وفي سني ٩ ـ ١٠ تكبر عظام الحوض وتتسع لدى الفتاة، وتتخذ حلمتي

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص٢٦.

الثديين شكلاً دائرياً، وفي سني ١٠ ـ ١١ ينبت الشعر حول منطقة العانة ويزداد حجم الثديين. وفي سني ١١ ـ ١٢ يحين موعد حصول الترشحات من الجهاز التناسلي. وفي سن ١٢ ـ ١٣ تظهر نقاط سوداء حول حلمتي الثديين، وأخيراً ينبت الشعر تحت الابط في سن ١٣ ـ ١٤، ويعد ذلك ايذاناً ببداية سن الحيض للكثير من الفتيات.

سرعة النموّ

قلنا إن ايقاع النمو سريع في هذه السنين، ويبلغ درجة يمكن معها القول إنه يفاجىء الفتاة تماماً، حيث تكتشف نفسها على حين غرّة وقد طالت قامتها إلى الحد الذي أصبحت فيه ثيابها قصيرة عليها ولم تعد قابلة للارتداء.

إنّ سرعة النمو تبلغ ذروتها لدى الفتيات في حوالي سن الثالثة عشر ولدى الفتيان في سن السادسة عشر، ومن ثم يتنازل ايقاع هذا النمو إلى سن الثامنة عشر وعلى أية حال لابد لهذه السرعة في النمو أن تتوقف عند مرحلة معينة، ويبدو أنها تتوقف لدى الفتيات في حوالي سن السادسة عشر حيث تتضاءل بعد ذلك إلى درجة كبيرة ولا تعد منظورة.

وقد تعيق بعض العوامل أو تزيد ايقاع النمو في الأطراف خلال مرحلة المراهقة، ومن هذه العوامل يمكن الاشارة إلى سن الفتيات أو الفتيان، واقترابهم من سن البلوغ الذي يساهم بحد ذاتها في تسريع النمو، والأسباب الوراثية، وطبيعة الأجواء والمناخات التي يعيشون فيها، والوضع الغذائي، والأوضاع الصحية والأمراض و...

المراهقة مرحلة حساسة من الحياة يكون فيها الشخص عرضة للاصابة بمختلف الاعتلالات والاختلالات العضوية والنفسية، وهي فترة صعبة ومتعبة

بالنسبة لمن يتعامل معها من أولياء الأُمور والمربين، خصوصاً لأولئك الذين لا يتمتعون بطول النفس ويعانون إلى جانب ذلك فقراً معلوماتياً في هذه المجال.

ويعود سبب صعوبة التعامل مع المراهق خلال هذه الفترة في الغالب إلى ما يلاحظ على وضعه وسلوكه من عدم اعتدال، ومن ذلك ما يرتبط بجانب النمو، حيث تنمو، على سبيل المثال، اليدان اكثر من الرجلان، وبالتالي يفقد المراهق أو المراهقة توازنه وإذا ما حمل إناءً أو وعاء فقد يسقط من يده ويتحطم، وهو ما يترك آثاراً سيئة على نفسيته وعلى طبيعة تعامله مع الوسط المحيط به.

صحيح أنّ الشخص خلال هذه الفترة يكون قد نمى من الناحية العضوية وطالت أطرافه وكبرت، لكن الصحيح أيضاً هو إنَّ هذه الأطراف ما زالت طرية وغير مستحكمة، وبالتالي فانه يعاني صعوبات قد لا تكون قليلة في حفظ توازنه خلال الحركة والعمل أو في نقل الاشياء من مكان إلى آخر، وهو الأمر الذي يشكو منه الكثير من أولياء الأُمور والمربين.

النموّ والقلق

إنَّ مسألة النمو وفقدان التوازن لدى المراهق أو المراهقة لا تعد مشكلة لأولياء الأُمور والمربين وحسب، بل هي مشكلة لشخص المراهق أيضاً، حيث انه يواجه وضعاً جديداً يعاني أرباكاً شديداً في الانسجام معه والتعامل مع حاجاته ومتطلباته خلاله.

فالبعض من الفتيات، خلال هذه المرحلة، يعاني من قُصر القامة فيما يعاني بعض آخر منهن من طول القامة، وهذان الحالتان يربكان الوضع ويثيران القلق والاضطراب.

كما وتكتشف الفتاة في بعض الحالات، نمواً متزايداً في منطقة الصدر، فتعمل على اخفاء ذلك من خلال التحديب في الوقوف أو الحركة، الأمر الذي

يؤدي بالتدريج إلى تقوس ظهرها ويترك مضاعفات خطيرة عليها في المستقبل.

ومن الظواهر الشائعة في سني المراهقة حالة السمنة. ويعود السبب في ذلك إلى تراكم المواد الدهنية في الجسم. وتستمر هذه الحالة لدى الفتيات إلى سن السادسة عشر أو السابعة عشر. كما ويرافق ذلك اختلالات نفسية وعضوية أخرى أيضاً. وهذه الأُمور بمجموعها تساهم في إثارة قلق الفتاة وزيادة حساسيتها خصوصاً عندما تشعر ان الانظار تتجه إلى عيوبها ونقائصها.

فالحالة الطبيعية في مثل هذه السن، حيث النمو وزيادة الوزن، هي إنَّ أغلب المراهقين، وخصوصاً الفتيان، يتمتعون بشهية جيدة واقبال متزايد على تناول الطعام، الا انه توجد أيضاً بعض الحالات التي يعاني فيها بعض افراد هذه الفئة من انسداد الشهية والادبار النفسي عن الطعام، ويعود السبب في ذلك إلى عوامل نفسية عديدة منها تعرضهم إلى تندر وانتقاد الآخرين أو أولياء الأُمور بسبب بعض التصرفات والحركات غير الموزونة التي تصدر منهم، وكذلك بسبب عوامل الحزن والقلق والاكتئاب و...

ان انسداد الشهية والادبار عن الطعام يؤدي أحياناً إلى تناقص وزن المراهق أو المراهقة بشكل مخيف، وقد يصل تناقص الوزن في حوالي سن السادسة عشر حتى ٣٠ ـ ٣٥كيلوغراماً. وقد تتضاعف هذه الحالة اكثر وتجر إلى عواقب وخيمة جداً في مراحل لاحقة.

وهناك بعض الأمراض العضوية ناشئة من عوامل نفسية عديدة فالفتيات اللاتي يتعرضن للضغوط النفسية قد يصبن بحالات مرضية كالاختناق والقرحة، والصداع، وارتفاع الضغط، وانسداد الشهية و... ويمكن القضاء على مثل هذه الحالات أو الحد منها من خلال توفير اجواء هادئة بعيدة عن التوترات والمشاكل للشخص في الاسرة.

الفصل الحادي والعشرون
بروز الصفات الثانوية

مقدّمة

ان مرحلة المراهقة هي فترة التحولات، وكما ذكرنا فان التغيرات والتطورات العضوية، التي تحصل خلال هذه السن، تترك آثاراً على الجوانب النفسية والعاطفية لدى المراهق أو المراهقة إن ما ذكرناه لحد الان كان يدور حول الصفات الظاهرية، غير انّ هناك مسائل اخرى تتعلق بالباطن وبحاجة إلى بحث وتوضيح أيضاً. أعني ذلك القسم من الجسم المستور وراء الثياب، والأهم من الأخير تلك التغيرات والتطورات التي تجري في داخل الكيان الانساني، وتنعكس أعراضها ومفاعيلها على الجوانب الظاهرية.

النشاط الغدّي

انّ التغيرات والتطورات العضوية الخارجية التي تحصل خلال مراحل النمو، تعود في أسبابها إلى حدود كبيرة لنشاط وفعالية الغدد الداخلية في الجسم. فهذه الغدد موجودة في الجسم منذ بداية الخلقة والحياة ولكل منها معاملها ووظائفها الخاصة بها، ومنها ما يرافق نشاطه مختلف مراحل الحياة، ومنها ما هو خاص بمرحلة معينة من العمر. ومن الغدد التي تنشط وتتفعل في مرحلة المراهقة الغدد الجنسية التي تصب ترشحاتها في الدم، وهكذا هو الحال مع غدة الا **Hlpophyse** الموجودة في الدماغ ومفاعيلها في الغدد الجنسية. ومن الغدد المهمة التي تنشط خلال مرحلة المراهقة بالنسبة للفتيات، يمكن الاشارة إلى الغدة الثديية التي تتفعل على أثر الافرازات الهرمونية الانثوية في سن ٩ ـ ١١ وتؤدي بالتدريج إلى بروز الصدر ونبوت الشعر على العانة وتحت الأبطين.

تأثير الغدد في النمو

إنّ النشاط الغدّي مؤثر في النمو. فهو يساهم في زيادة الطول، وفي زيادة الوزن، ويؤدي بشكل عام إلى النمو العضوي والنفسي معاً. وبتعبير آخر حينما تنشط مثلاً، الغدة الجنسية وتفرز هرموناتها الخاصة في الدم، تكتسب الفتيات حالة الأنوثة فيما يكتسب الفتيان حالة الرجولة.

ويمكن ادراك أهمية وفائدة الغدد في حال توقفها عن النشاط وعدم افراز الهرمون في الدم. يقول موريس دبس بهذا الشأن انّ نمو الجسم يتخلف في حال عدم ظهور الميل الجنسي، ويؤدي تباطىء أو توقف النمو إلى تراكم المواد الدهنية في الجسم وبالتالي إلى ظمور وانكماش الجهاز التناسي.

وكذلك من شأن توقف نشاط الغدد، خلال مرحلة الطفولة أو المراهقة، أن يؤدي إلى ظمور الصفات الجنسية الثانوية، وعدم ظهورها في الأشخاص، فيبقى الرجل في هذه الحالة صغيراً من حيث الهيئة والشكل الظاهري ولا ينبت شعر في وجهه، وكذلك يؤدي بالنسبة للفتاة إلى ان لا تكتسب من حيث الشكل هيئة الأنثى الناضجة أو إلى توقف النمو في منطقة الصدر وظمور الثديين.

الصفات الثانوية

انّ الغدد الجنسية، في حال كانت ناشطة وطبيعية، تؤدي إلى بروز الخصائص الجنسية الثانوية في الشخص. وهذه الصفات تتجلى باشكال وصور مختلفة ومنها:

١ ـ في نمو القامة والوزن: الذي تحدثنا حوله فيما مر باختصار.

٢ ـ في الحوض: حيث ينمو ويتسع الحوض لدى الفتاة بمقدار عشرين سانتمتراً، ويتسبب في أن تعاني بعض الصعوبة أثناء السير أو تشعر بالخجل من وضعها الجديد.

٣ ـ في الصدر: فينمو الثديان ويكبران ويأخذان شكلا دائرياً في النهاية. وقد يؤدي هذا التطور، في بعض الحالات، إلى تشوش ذهن الفتاة واثارة قلقها أو توجسها الخيفة من احتمالات تعرضها لتندر واستهزاء الأهل والأُسرة.

٤ ـ في الصوت: تتغير طبقة الصوت في مرحلة المراهقة، ويمكن ملاحظة هذا التغير لدى الفتيان بوضوح، لكنه أقل وضوحاً لدى الفتيات.

٥ ـ في الجهاز التناسلي: تحصل تغيرات وتطورات في الجهاز العضوي خلال مرحلة المراهقة، ويزداد حجم ونشاط الجهاز التناسلي في فترة البلوغ الجنسي.

٦ ـ في نمو الشعر: يبدأ الشعر بالنمو في منطقة العانة، ومن ثم تحت الأبطين، كما وقد ينمو أيضاً شعر خفيف حول شفتي الفتاة وفي جانبي وجهها.

٧ ـ التغيرات الأخرى: ويتغير جلد الفتاة ويكتسب نعومة وطراوة أوضح على اثر تراكم طبقة من المواد الدهنية تحت الجلد.

التأثير السيكولوجي

انّ بروز الصفات الثانوية مسألة تحوز أهمية متزايدة بالنسبة للفتى أو الفتاة خلال مرحلة المراهقة.. ففي هذه الفترة تلتفت الفتاة إلى حالة النمو في ثدييها وفي منطقة الحوض، وقد تحزن وتغتم لذلك وتسعى إلى إخفاء معالم النمو، لكننا في الوقت ذاته لا نعدم أيضاً حالات تسعى خلالها بعض المراهقات إلى إظهار معالم الأنوثة الجديدة لديهن وابرازها بنحو وآخر.

كما ومن شأن بروز الصفات الثانوية أن يترك تأثيرات غير قليلة على الجوانب السيكولوجية لدى المراهق أو المراهقة، فيتغير على أثره المزاج والعاطفة والمشاعر والميول والرغبات، وبالتالي ينشغل ذهن الشخص بعشرات الافكار والهواجس والخواطر خلال ذلك.

الرغبات الجديدة

هناك تغيرات في جهة الغريزة تحصل خلال مرحلتي المراهقة والبلوغ وتبرز بأشكال ثلاثة هي:

١ ـ على شكل تحريك الغريزة الجنسية والانشغال بها. وبالطبع فان هذه الحالة ناتجة من الجهل أو من سوء التربية.

٢ ـ على شكل إرضاء الغريزة الجنسية عن طريق ممارسة العادة السرية وبواعث ذلك تعود، فضلاً عن الاعتلالات النفسية، إلى الايحاءات الخاطئة. كما وان للصداقات والعلاقات الاجتماعية المنحرفة دور جد مؤثر في هذا المجال.

٣ ـ على شكل الاثارات الجنسية الحادة التي تنشأ بفعل ما يراه أو يسمعه أو يلمسه المراهق أو المراهقة، وليس من شك في التأثير السيء والمدمر للأوساط الاجتماعية المختلطة في ذلك.

وتزداد هذه التأثيرات مع تزايد النمو باطراد، لأن المراهق أو المراهقة يكون خلال هذه الفترة في حال النمو المستمر من النواحي الفيسيولوجية، ومن الطبيعي ان يؤدي ذلك، في حال عدم ضبط الشخص وارشاده فكرياً ومعنوياً، إلى عواقب إنحرافية خطيرة.

التحول في العلاقات

فمع بداية شروع مرحلة المراهقة، يحصل لدى الفتيات نوع من التحول في علاقاتهن الاجتماعية. ففي البداية يواجهن، على أثر التطورات الغريزية الجديدة، حالة من القلق الممزوج بالغرور والحياء لكنهن يشرعن فيما بعد بتبادل الحديث فيما بينهن حول نوع خاص من المسائل تتغير وتستحكم على أثره علاقاتهن وروابطهن الثنائية أو الجماعية.

كما وإنَّ الفتيات المراهقات يستمتعنَ بـالطبع بسـماع القـضايا الخـاصة والسرية، ويرغبن في مشاركة الأخريات مسراتهن وهمومهن ويملن كثيراً إلى أن تكون لهن أيضاً قضاياهن ومسراتهن الخاصة بهن، ومن هنا يلاحظ في غـالب الأحيان إنهن يبالغن في الحديث فيما بينهن حول مثل هذه القـضايا حـتى لقـد يستغرقن احياناً ساعات طويلة في الحوار الهامس.

إنَّ الفضول الجنسي لدى المراهقات وتبادل الحديث والمعلومات حوله، هو في الواقع نوع من التشفي الجنسي. وهذا هو السبيل الوحيد لديهن لأطـفاء غليل الغريزة الجنسية. وبالطبع فإنَّ من شأن نوع التربية فـي الأسـرة، والآداب والتقاليد السائدة في المجتمع أن تزيد أو تحد من الاندفاع بهذا الاتجاه.

الباب السابع

تمهيد

لقد قسّمنا البحث في هذا الباب إلى خمسة فصول وكالآتي: في فصل منه استعرضنا التحولات الذهنية والنفسية عند المراهق وتناولنا بالبحث والدراسة أوضاعه المختلفة في نواحي الذكاء، والخيال، والذاكرة، ووضع الضمير والارادة، ومسألة الاعتماد على الذات، والنمو، ودور الدين في حياة الشخص خلال هذه المرحلة.

وفي الفصل التالي تحدثنا حول التغيرات العاطفية في سن المراهقة، وسلّطنا الأضواء فيه على ما يبدو على نفسية الفتيات من حساسية وقلق واضطراب وخوف وعلى حالات الافتتان بالأشياء، والحاجة إلى العطف والحنان، وكذلك الغرور والأنانية وإلى آخره من القضايا التي تتسبب في مشكلات لهن ولأولياء الأُمور في بعض الموارد.

كما وقد خصصنا الفصل الثالث للحديث حول التحولات الاجتماعية في حياة افراد هذه الفئة، وتناولنا فيه الميل إلى حياة الجماعة، والنزوع نحو التحرّر والانعتاق من القيود، وكذلك العلاقات والصداقات الخاصة، وحالات التقليد، التي قد تنطوي على مضار ومخاطر في بعض الموارد، خلال هذه المرحلة من العمر.

وكذلك، فقد أفردنا الفصل الرابع للحديث حول الميول والرغبات التي تؤدي إلى ظهور حالات نفسية جديدة عند الاشخاص، خلال مرحلة المراهقة،

من قبيل الآمال والتمنيات الجديدة، وحب المدح والثناء من قبل الآخرين، والاقبال على الطعام بشهية، وحول مختلف عوامل الاثارة خلال هذه السن.

وأخيراً، فقد تناولنا، في الفصل الخامس من هذا الباب، التغيرات السلوكية لدى فئة المراهقين فيما هي المزاج، والتقلبات السلوكية، وحالات الثرثرة والكذب، والوقاحة والاستهتار أحياناً، وما إلى ذلك من المسائل التي تحتاج إلى بحث وتوضيح في هذا المجال.

الفصل الثاني والعشرون

التحولات الذهنية والنفسية

مقدّمة

إنَّ مرحلة ما قبل البلوغ بالنسبة للفتيات والفتيان هي فترة بروز بوادر التحول في مختلف جوانب حياتهم الذهنية والنفسية. وكل هذه الأُمور جديرة بالبحث والاهتمام باعتبارها تساهم بدرجات كبيرة في تشكيل الشخصية للّعب دورها في حياة الكبار خلال مراحل الحياة اللاحقة.

هناك ثلاثة تحولات أساسية تحصل خلال مرحلة المراهقة في حياة أعضاء فئة المراهقين يشترك فيها الأناث والذكور على السواء وهي:

أولاً: إنهم يميلون إلى كسب المعرفة حول البارىء تعالى، وهو أمر فطري نلاحظ بوادره الأولى منذ سني الطفولة، حيث يعتبر الطفل مؤمناً بالله بالفطرة بحسب الرؤية الاسلامية، وما الميل الجديد الذي يحصل خلال هذه المرحلة من العمر الاّ بدافع استكمال المعلومات في هذا المجال.

ثانياً: بروز الوجدان الأخلاقي لديهم وإدراكهم أو سعيهم إلى ادراك معايير الفضيلة والرذيلة في الحياة، انطلاقاً من فهمهم لكثير من المسائل الحياتية، وشعورهم بما يبدر منهم أحياناً من أخطاء، حتى وإن غاب ذلك عن الآخرين، وتأنيبهم أنفسهم عليها.

ثالثاً: تحمسهم إلى الدين وإلى الالتزام بأحكامه وتعاليمه، وسعيهم إلى اداء الصلوات والطقوس العبادية ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من خلال ما يظهر على سلوكهم من اندفاعات مختلفة بهذا الاتجاه. ويمكن تنمية هذه الحالة الايمانية لديهم وتحويلها إلى ملكة في شخصياتهم بواسطة الارشاد والتوجيه المستمرين.

الذكاء وحب الاطلاع

تتجه الفتيات، خلال سني المراهقة، نحو النمو والتكامل الذهني. إن النمو في هذا المجال يبدأ بطيئاً خلال مرحلة الطفولة، ويتسارع ايقاعه باتجاه التوقد الذهني في سن المراهقة إلى درجة ذهب البعض إلى القول بأنه يبلغ ذروته في سن ١٤ ـ ١٦ عاماً.

ورغم إنَّ هذه السن هي سن نمو وتوقد الذهن الاّ ان هذه الحالة ليست ثابتة على وتيرة واحدة عند جميع الأشخاص، فقد تكون فتاة في سن الثانية عشر وتتمتع بذكاء بنت الرابعة عشر، أو على العكس من ذلك فقد تكون في الرابعة عشر من العمر بينما لا تتجاوز درجة الذكاء لديها درجة ذكاء بنت العاشرة. ولا يخفى ما لذلك من تأثير على المستوى الدراسي للفتيات وعلى طبيعة حياتهن حاضراً ومستقبلاً.

كما وتتولد لدى الفتيات في هذه السن حالة من الفضول وحب الاطلاع جديدة ومختلفة عن التي كانت في سن الطفولة، ويدركن في الوقت ذاته إنه ينبغي أن لا يظهرن فضولهن بشكل علني حول بعض المسائل الخاصة، ويحاولن الاطلاع على مثل هذه القضايا وكسب المعلومات عنها خفية ومن خلال التلصص أو الأسئلة والاستفسارات البريئة في ظاهر الحال.

إنّ بعض المسائل التي تثير فضول المراهقات ويحاولن كسب المعلومات عنها تدور حول التطورات العضوية التي يلاحظنها في أجسامهن في فترة المراهقة، فيندفعن على أثرها إلى التساؤل حولها ومقايستها بما لدى الأخريات منها.

التخيّلات

إذا سلّمنا إنَّ الصور والتجسيمات الخيالية أكثر تأثيراً في حياة الانسان من

معامل العقل، كما يعتقد ب ـ جيوم، فلابد من الاذعان بأنَّ مرحلة المراهقة هي احدى المراحل الاساسية لنمو واتساع الخيال لدى الانسان(١). فالفتيات يحاولن في هذه المرحلة تجسيم خيالاتهن في الواقع الخارجي من خلال تقليد النساء الناضجات في سلوكهن وتصرفاتهن.

إنَّ مساحة الخيال لدى الفتيات في سن المراهقة تتسع بشكل كبير إلى درجة قد تجر، في بعض الحالات، إلى أن يشغلن معظم اوقاتهن بنسج الخيالات والتمنيات الواهية. ويمكن ملاحظة الكثير من هذه الحالات، فضلاً عما يبدو على سلوكهن، من خلال كتاباتهن التي تميل في الغالب إلى الرومانسية والشفافية، والاستغراق في الأوصاف الخيالية.

فرغم ما للدراسة والتثقيف الذاتي من دور هام ومؤثر على طريق الكشوفات والاختراعات العلمية، وكسب المهارات في الكتابة وفي انشاد الاشعار وتأليف الكتب المفيدة في المجتمع و... الّا ان للاستغراق في الجانب الأدبي في هذا المجال، وفي النوع الرومانسي على وجه خاص، سيئات غير قليلة بالنسبة للمراهقات ليس أقلها احتمال الابتلاء بالخيالية المفرطة في النظر إلى الاشياء في الحياة.

نوع الخيالات

تتميز الفتيات المراهقات بخصوبة الخيال، خصوصاً المثقفات والمتعلمات منهن. ويمتد هذا الخيال في العمق والاتساع إلى حدود قد يخلق في اذهانهن لقاء عابر أو حوار عادي رواية كاملة بكل معنى الكلمة من الايحاءات والصور

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص ٤٩.

الخيالية[1].

وبعبارة اخرى، تنشغل الفتيات، خلال فترة المراهقة، في معظم الأوقات بنسج الخيالات والأساطير والأوهام غير الواقعية، حتى لقد يستغرقن في أحلام اليقظة ويستمتعن بها لساعات طويلة دون أن ينتبهن لأنفسهن.

إنَّ من شأن حالة الاستغراق في الخيالات والأوهام لدى المراهقات اللاتي يعانين من مشاكل عائلية أو مشاكل خاصة بهن، أن تتفاقم وتستفحل إلى درجة تبعدهن عن واقعيات الحياة، وحتى لقد تُعرضهن إلى اختلالات فكرية وذهنية خطيرة.

الذاكرة والاستيعاب

تحصل لدى الفتيات، في سني المراهقة، بعض الاعتلالات في مجال الذاكرة وفي القابلية على استيعاب وحفظ المعلومات، فيوصمن على أثرها خطأً ببطء الفهم وضعف الذاكرة، وذلك لما يبدوعلى مستوياتهن الدراسية من هبوط وتنازل في الدرجات التي يحصلن عليها خلال الامتحانات في مختلف المواد الدراسية بخلاف ماكن عليه في مرحلة الابتدائية.

في الواقع إنَّ مبعث هذه الحالة لا يعود إلى ضعف الذاكرة أو بطء الفهم كما يذهب البعض، وانما يعود إلى طبيعة المرحلة الجديدة في حياتهن، اي مرحلة المراهقة، التي تنشغل فيها اذهانهن بالتطورات النفسية والعضوية ـ المستحدثة لديهن وينصرفن على أثرها إلى الاهتمام والتفكير بأشياء أخرى غير المذاكرة ومراجعة الدروس، هذا فضلاً عن إنَّ المادة الدراسية في مرحلة ما بعد الابتدائية ـ تكون أصعب وأعقد نسبياً.

---

(١) نفس المصدر، ص٦٩.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى ان الاناث يتفوقن بشكل عام على الذكور في حفظ واستيعاب المعلومات في المجالات الأدبية المختلفة من قبيل قواعد اللغة والنحو وتعلّم اللغات الأجنبية ـ وتفصيلاتها وهو ما يمكن ملاحظته بوضوح من خلال الدرجات العالية التي يحصلن عليها في هذه المواد.

الارادة والاعتماد على الذات

تَضعُف قوّة الارادة لدى الفتيات في سن المراهقة إلى درجة تقلقهنَّ وتقلق أولياء أمورهن والمعنيين بتربيتهن والاشراف على شؤونهن، وذلك لما لهذه الحالة من عواقب قد تكون وخيمة وخطرة على حياتهن وشرفهن في الحاضر والمستقبل من الزمن.

انّ الارادة تصل إلى درجة من الضعف لدى الفتيات، في مثل هذه الحالة بحيث تشلهن تماماً، في بعض الحالات عن الحركة، وابداء ردود الأفعال تجاه القضايا التي يواجهنها. ومن المضاعفات الأُخرى لضعف الارادة يمكن الاشارة إلى احتمالات فقدان الثقة بالنفس والعجز عن الاعتماد على الذات في مختلف الأعمال والفعاليات الحياتية.

فمع ما تنطوي عليه الحالة الأخيرة من سيئات وأخطار في حياة الفتيات المراهقات، الّا أننا نجد من حسن الطالع إنهنّ يتمتعن خلال هذه المرحلة من العمر بظمائر حية متوثبة من شأنها أن تحول دون كثير من حالات الوقوع في الخطيئة أو مقاومتها والابتعاد عنها باعتبار إنَّ الضمير يحدثهن ويأنبهن بفعالية أكثر في مثل هذه السن سواء قبل أو بعد الخضوع للذنب والخطيئة.

النمو العلمي

قلنا إنّ الذكاء يتجه نحو النمو والاستزادة، ويزداد معه الخزين العلمي

وتنشط معامل العقل أكثر فأكثر في حالة توفر الأرضية لذلك، غير انّ ذلك لا يعني إنَّ أرضية التعلم والاكتساب العلمي تتوفر للجميع بنفس المستوى. الّا أنه على أية حال، المهم هو إنَّ العقل طاقة نفسية حية تزيد وتتطور في ظل العلم والتجربة أوكما يقول الامام علي عليه السلام: «**العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب**»[١].

وبشكل عام، فانَّ التطور والنمو المعرفي لدى أغلب الفتيات يتجه نحو النضوج والتكامل ابتداءً من السنوات الأولى للمراهقة، وتبرز فيها القابليات والاستعدادات الفكرية، والعلمية المختلفة بوضوح[٢].

التحمس الديني

قلنا إنه يتولد لدى الفتيات، قبل تفتّح الغرائز الجنسية وطغيانها، نوع من الحماس الديني يندفعن على أثره إلى كسب المعرفة في المجال الديني، وإلى القيام بالصلوات والطقوس الدينية، وإلى الالتزام بالتعاليم والأعراف الأخلاقية والاجتماعية التي يفرضها الشارع المقدس، وهو أمر جيد ومفيد وبامكانه أن يحول دون الانسياق وراء الكثير من حالات السقوط والانحراف، ويعد في الوقت ذاته فرصة طيبة لتنمية الروح الايمانية ـ لدى الفتيات والعمل على تعزيزها بالتدريج.

ويبدو لنا إنّ الحكمة الالهية شاءت من توقيت الحماس الديني قبل بدء فوران عاطفة الغريزة، اعطاء الشخص فرصة لكي يحصّن نفسه فكرياً ومعنوياً ويستعد مسبقاً لمواجهة طغيان الغريزة ومقاومة حالاته الفائرة والنازعة بتطرف في مختلف الاتجاهات.

---

(١) غرر الحكم، ص ٤٠.

(٢) علم نفس اسبرلينج، ١٨٣.

فمع مطالع مرحلة المراهقة، حيث بدء نشـاط وفـعالية الغـرائـز والقـوى العقلية، والتي تولد بطبيعتها مجموعة من الضغوط النفسية، تندفع الفتاة إلى القيام ببعض التصرفات والأفعال، التي يُعبَّرُ عنها بالأفعال غير الارادية، وذلك بـهدف التنفيس أو التخلص من هذه الضغوط النفسية.

ومن شأن هذه الضغوط النفسية، في حال تفاقمها، أن تجر إلى حالات غير طبيعية تبرز أعراضها على شكل قضم الاظافر بالأسنان، وحدّة المزاج والعصبية، وفقدان الثقة بالنفس، والشعور بالفشل، والاكتئاب. والجدير بالذكر انَّ نحو ٤٪. من الأشخاص يصابون بمرض الشيزوفرنيا في سن ١٠ ـ ١٤ عاماً، بينما تزداد هذه النسبة لتصل ١٠٪ في السنين التي تسبق ذلك.

الفصل الثالث والعشرون

التحولات العاطفية

مقدّمة

مع بدء مرحلة المراهقة تشرع العواطف لدى الفتيات في النشاط، وتتجه بايقاع متسارع نحو النضوج والتكامل إلى أن تبلغ في نهاية المطاف حالة من الاستقرار والاستقلال في مجالات الحب والبغض أو الاقبال والادبار. كما وذهب علماء النفس إلى أنه يمكن تشخيص هذه الحالة من خلال ما يحصل من تغيرات عاطفية ونفسية بالتزامن مع التطورات العضوية.

فخلال هذه المرحلة، بخلاف سني الطفولة، تواجه الفتيات مشكلات عاطفية واجتماعية واخلاقية عديدة، كحالات الخجل، والحسد، والحساسية المفرطة، والغضب، والشعور بالذنب أحياناً و... وبالطبع فانَّ الحالات المذكورة تقتصر على بعض أفراد هذه الفئة في هذه السن وليس جميعهم. وبعبارة واحدة كلما كانت القوائم التربوية الأساسية مهزوزة والمشكلات الاسرية متزايدة أثناء وبعد مرحلة الطفولة، كلما تفاقمت هذه الحالات وتزايدت تعقيداتها، والعكس أيضاً صحيح.

الاهتمامات الجديدة

تستجد لدى الفتيات، في هذه المرحلة من العمر، اهتمامات من نوع آخر، تختلف تماماً عن اهتمامات الطفولة، حيث الميل والاهتمام بقضايا الأكل والشرب وتنصب هذه الاهتمامات في الغالب على الأشخاص.

انَّ النمو العضوي والنفسي لدى الفتيات، خلال مرحلة المراهقة، يولد لديهن ميلاً واندفاعاً بهذا الاتجاه، بحيث نجدهن أحياناً يبدين اهتماماً متزايداً

بزميلاتهن أو معلماتهن، وحتى لقد يندفعن في أحايين أخرى إلى انتخاب بعض الصور، التي تبدو جميلة وجذابة في نظرهن، فيبادرن إلى الصاقها في غرفهن الخاصة من أجل الاستمتاع بالنظر اليها. كما وقد تكون هذه الصور، في بعض الحالات، سبباً لأن تندفع الفتيات لمقايسة أنفسهن بها من حيث الهيئة والشكل وأن يؤدي ذلك بالنتيجة إلى تعرضهن لتشوشات ذهنية واختلالات نفسية، أو أن يتخذنها مُثلاً يقتدين بها في نوع التوجهات في الحياة وفي الزي والزينة وما شاكل.

وكذلك نلاحظ ويلاحظ أولياء الأُمور والمربين بوضوح تغيّر طريقة ابراز العواطف والمشاعر تجاه الآخرين لدى الفتيات في هذه السن، خصوصاً تجاه الزميلات والصديقات الصميميات، ويتغير تبعاً لها نوع وطريقة المعانقة. والتقبيل والمواساة وما إلى ذلك في علاقاتهن ببعض.

سرعة التأثر

فعند التأمل في أوضاع الفتيات في سن المراهقة نجد انهن يتميزن بحالتين متناقضتين تماماً، فمن جهة ينزعن نحو التمرد وعصيان الأوامر والنواهي، ويبدين من المقاومة في هذا المجال درجة تدعو إلى الاعتقاد بأنهن قد تحولن إلى كتل صلدة من الرفض والمقاومة، ومن جهة اخرى نجدهن أحياناً سريعات التأثر وتنهار أعصابهن عند أدنى اثارة او مسألة تتعارض مع رغباتهن وميولهن. ويشعرن غالباً بالاستياء من الاخوة والأخوات، ومن الأباء والأمهات، لتصورهن بأنهم يستهدفون ازعاجهن والحاق الأذى بهن.

انّ الحساسية تبلغ لدى الفتيات درجة من الشدة أحياناً بحيث يفسّرن كل حركة أو تصرف تجاههن بأنها تستهدف ازعاجهن أو الاستهزاء بهن. فاذا فقدن

عزيزاً أو أبعدن من عضوية مجموعة ينتمين اليها في المدرسة، مثلاً سرعان ما تتغير احوالهن وينخرطن في البكاء، وحتى لقد يبادرن إلى الاقدام على الانتحار أو التظاهر بذلك.

رومانسية المشاعر والكتابة

ان بروز وتغلب المشاعر العاطفية على الفتيات خلال سني المراهقة ينعكس على نوع الكتابات لديهن حيث تتميز كتاباتهن بصبغة عاطفية ورومانسية إلى جانب ميلهن إلى الرسم والشعر والموسيقى وما إلى ذلك من الاتجاهات الظريفة. وتعود بواعث ذلك إلى اسباب عديدة منها جاذبية القضايا الرقيقة وانشدادهن القوي لمعايير الجمال وحالاته المختلفة. ويمكن ملاحظة طغيان الحالة الشعورية والعاطفية لدى أعضاء هذه الفئة من الفتيات من خلال ما يسطرنه في مفكراتهن اليومية من اشعار وخواطر أو ما يسجلنه فيها من ملاحظات حول صديقاتهن ومعلماتهن أو حول نجوم الفن والسينما و... فكلها أو معظمها كتابات حالمة وموغلة في الخيال والرومانسية.

الحاجة إلى الحنان

خلال مرحلة المراهقة تنمو الفتيات وتطول قاماتهن إلى حد ما، فينصرف بعض الأباء والامهات عن ابداء العطف والحنان تجاههن بتصور إنهنَّ قد كبرن ولم يعدن بحاجة إلى مثل هذه الاشياء أو تحول دون مبادرتهم إلى تقبيلهنّ أو المسح على رؤوسهن أحياناً دواعي الخجل من مثل هذه الأشياء، في حين انَّ المراهقات يكن خلال هذه المرحلة بالذات بأمس الحاجة إلى تلقي العطف والحنان والاهتمام بشؤونهن من قبل أولياء الأُمور، ويسعين بمختلف الوسائل من أجل الفات نظرهم وصولاً إلى اشباع حاجاتهن من الحب والحنان.

وبطبيعة الحال يرافق الميل إلى تلقي الحنان لدى الفتيات، في مطالع فترة المراهقة، نوع من الخجل والحياء الذي يحول دون ابرازهن لهذه الحاجة بشكل صريح، لكنه ينعكس بوضوح على ايحاءات سلوكهن وتصرفاتهن في مختلف المناسبات.

مخاوف المراهقة

تتولد لدى الفتيات خلال مرحلة المراهقة مجموعة من المخاوف نشير إلى أهمها كما يلي:

- المخاوف المدرسية في مجالات تحضير الدروس واداء الامتحانات وما إلى ذلك.
- المخاوف الصحية من قبيل الخوف من التعرض لنقص عضوي، أو الاصابة بالأمراض، ومن الموت و...
- المخاوف الأسرية كالخوف من تعرّض الوالدين للأمراض، ومن المشاجرات والمشاحنات التي تحصل بين الأبوين أحياناً في البيت.
- المخاوف الاقتصادية، مثل الخشية من الفقر، والبطالة، وتنازل المستوى الاقتصادي والمعيشي للأسرة و...
- المخاوف الأخلاقية، كالخشية من احتمالات الجنوح والانحراف، ومن الوقوع في الأخطاء و...
- المخاوف الاجتماعية، كالخشية من الاحتكاك بالأشخاص الفوضويين أو الانفتاح على الذين يمتازون بالمزاح والأريحية في طباعهم و...
- المخاوف الجنسية الناتجة من التطورات العضوية وبروز الصفات الأولية والثانوية و...

فكما هو ملاحظ، فانّ الكثير من هذه المخاوف هي مخاوف طفولية ولا تستند إلى مبررات منطقية، لكنها حقيقية وجادة بالنسبة لهن. ومن هنا فمن الحكمة التعامل مع هذه الحالات بمزيد من الهدوء وسعة الصدر. وبالطبع فانّ أغلب هذه المخاوف تزول لوحدها بمرور الوقت، فيما تبقى احتمالات أن تظل بعضها قائمة إلى آخر العمر وتترك آثاراً سيئة على طبيعة حياة الفتيات.

مرحلة القلق

انّ مرحلةالمراهقة تعتبر من وجوه عديدة مرحلة بروز دواعي القلق والاضطراب والتشوش الذهني بمختلف درجاتها ومستوياتها. وبواعث ذلك تعود تارة إلى جهل الفتيات بظروف وطبيعة المرحلة التي يعشنها، وتارة اخرى إلى تغيرات نفسية مجهولة الأسباب في غالب الأحيان.

انّ اكثر الاشخاص الذين يعانون من هذه الحالة بدرجات حادة خلال فترة المراهقة، يُلاحظ عند دراسة أوضاعهم انهم كانوا قد واجهوا صعوبات في اوقات سابقة من حياتهم، من قبيل تشدد الوالدين معهم في شؤون التربية والدراسة. أو الطلب اليهم مسائل يعجزون عن تحقيقها ومحاسبتهم بغلظة وعدم التسامح معهم.

وبالطبع، فانّ لمقدمات نشاط الغدد وافرازها لبعض الهرمونات في الدم، في مطالع مرحلة المراهقة، دورها المؤثر أيضاً في اثارة دواعي القلق والاضطراب لدى الفتيات، وهي ليست حالة مرضية وتزول بالتدريج بسكون وزوال حالة الفوران العاطفي التي تولدها مفاعيل الافراز الهرموني.

حالة الافتتان بالآخرين

انّ واحدة من الحالات الاستثنائية التي قد تستجد لدى الفتيات في سن المراهقة، هي حالة الهيام والافتتان ببعض الاشخاص ممن يعتبرنهم مُثُلاً

للشخصية النموذجية المتكاملة في الحياة.

فقد تهيم بعض هؤلاء بنجمات السينما، لكن هذا الهيام يختلف تماماً عن حالة الهيام والحب لدى الكبار، وهو لا يعدو في واقعه سوى محاولة لتجريب أو تمثل حالة الهيام الحقيقي وايهام النفس بذلك كما وقد تتجه هذه الحالة نحو بعض المعلمات فيعجبن بها ويحببنها بشدة باعتبارها الشخصية المثلى التي يرغبن الاقتداء بها.

انّ من شأن الفقر المعلوماتي في المجال الجنسي،والجهل بعواقب الأُمور، ان يشكلا اخطاراً حقيقية في طريق الفتيات خلال هذه الفترة من العمر، أو ان يصبحا موانع تحول دون نموهن بشكل طبيعي من النواحي العاطفية والنفسية، الا انه في الوقت نفسه بامكان أولياء الامور، خصوصاً الامهات، تطويق احتمالات الخطر والحد من التأثيرات النفسية السيئة لهذه المرحلة، بواسطة مزيد من الانفتاح على الفتيات، وابداء الاهتمام الجاد بشؤونهن، والتواصل الايجابي معهن في ابداء المشورة والتوجيه والارشاد اللازمين في مختلف القضايا.

حالة الغرور

من الخصائص التي تميز سلوك الفتيات خلال مرحلة المراهقة، حالة الغرور والاعتداد بالنفس بشكل متطرف إلى درجة يشعر معها المرء أحياناً انهن يتحركن في افعالهن وتصرفاتهن بأيدي خالية وأعين معصوبة باتجاه المجهول من المستقبل.

انّ هذه الحالة مفيدة وايجابية من جهة لكونها تساهم في صقل الشخصية وصيانتها، وتحول دون انسياقها وراء الايحاءات والميول والرغبات الخاطئة، ومضرة وسلبية من جهة اخرى، لكونها تحمل في طياتها احتمالات تجاهل آراء

الآخرين ، وعدم الاكتراث بارشادات وتوجيهات أولياء الأُمور ، واساءة الظن بنصائح الكبار وتفسيرها على أنها تستبطن العداء أو اضمار الحقد والكراهية لهم دون مبرر .

اليأس والاحباط

قد تصاب بعض الفتيات ، خلال فترة المراهقة ، بحالات كاليأس والاحباط والاكتئاب ، واعتلالات نفسية اخرى ، يمكن ارجاعها جميعا إلى الشعور بالكبت والعجز عن تحقيق الآمال والرغبات .. ويمكن ان يندفعن على اثرها إلى التفكير الجاد بالانتحار ، ما يتطلب من اولياء الامور والمربين الانتباه اليها والمبادرة إلى علاجها . ويمكن البحث عن الأسباب الحقيقية التي تقف وراء تعرّض بعض الفتيات لمثل هذه الحالة ، التي تبدو خطيرة ومضرة على حياتهن وعلى مستوياتهن الدراسية والعلمية ، في مجالين ، الأول في مجال الوراثة حيث يمكن أن تكون قضية وراثية منقولة من الآباء والامهات ، والثاني في مجال الظرف الخاص لمرحلة المراهقة الذي يعد جديداً على هؤلاء بمفاجأته وتطوراته العاطفية المختلفة ، ولا يبعد أن تكون للحالة مقدماتها الناتجة عن الظروف غير الطبيعية داخل الاسرة منذ سني الطفولة .

الفصل الرابع والعشرون

التحولات الاجتماعية

مقدّمة

يميل الاشخاص في سني ما قبل البلوغ إلى الحياة الاجتماعية وإلى التألف والانسجام مع الآخرين وقضاء الأوقات بجانبهم. ويزداد الميل إلى حياة الجماعة عند أعضاء هذه الفئة في سني ١٠ ـ ١٣ عاماً، ويسعون للانفتاح على قرناء السن والارتباط بمن يجدون انَّ هناك مشتركات تجمع بينه وبينهم في الذوق والسلوك وطريقة التفكير.

كما ويسعى هؤلاء في هذه الأثناء إلى التعرّف على كيفية الارتباط بالآخرين، وعلى أصول الضيافة. وعلى أساليب كسب الأصدقاء وطرائق تعزيز العلاقة بهم والاحتفاظ بها وما إلى ذلك.

لكنه في الوقت ذاته، لابد من معرفة انَّ سن ٩ ـ ١٣ عاماً تعد واحدة من أصعب مراحل الحياة، حيث يتميز سلوك الاحداث فيها بالمشاكسة والتمرّد والعصيان وعدم الاكتراث بتوجيهات الكبار.

الميل إلى الاستقلال

يستجد لدى الأحداث، مع مطالع سن المراهقة، ميل إلى الحرية والاستقلال بشؤونهم فيسعون لأن يتصرفوا في حياتهم وفق ما يتعقلونه ويرونه صالحاً دون وصاية واشراف الآخرين، وهي بادرة صحية من الناحية المبدئية ومن شأنها ان تنمي قابليات الشخص وتنضجها اذا ما رافقتها عملية توجيه وارشاد غير مباشرة من قبل اولياء الامور والمربين.

ويشتد الميل نحو تحمّل المسؤوليات لدى الفتيات بشكل خاص خلال

هذه المرحلة حيث يسعين فضلاً عن اداء الواجبات الخاصة بهن، إلى القيام بأعمال ونشاطات أخرى في البيت أيضاً، وحتى لقد يبلغ الحماس ببعض الفتيات في هذا المجال درجة يصررن فيها على تجاوز الأم والقيام ببعض الأعمال رغم ارادتها. وبالطبع فانه يمكن ترشيد هذه الحالة وتنميتها بشكل ايجابي من خلال ايكال بعض الاعمال اليهن بما يناسب سنهن وتشجيعهن على ادائها.

الميل إلى النشاط

ابتداءً من السني الاولى للمراهقة وحتى قبل ذلك بقليل، يتولد لدى الفتاة دافعاً نفسياً نحو النشاط والمسؤولية، وكأنه يثقل عليها ان تأكل وتشرب وتبقى عاطلة تتفرج، مثلاً، على الأم والأخوات الأكبر سناً وهن يتحملن لوحدهن مسؤولية انجاز الأعمال في البيت دون أن تشاركهن هي بشيء من هذه الأعمال والمسؤوليات.

انَّ الفتاة في هذه السن تنمو من الناحية الذهنية وتميل إلى النظر للأشياء بواقعية اكثر، وعلى الوالدين أن يأخذوا هذه القضية بنظر الاعتبار في تعاملهم معها. ونضيف أيضاً هذه المسألة التي يؤكد عليها علماء التربية وهي ان الميول والرغبات لدى الفتاة، في هذه السن، متنوعة ومتغيرة، لكنها تستقر على حال ولون معينين بمرور الزمن بشكل تدريجي.

تقييم الأسرة

تكتسب الفتيات عند دخولهن سن المراهقة نوعاً من الحساسية تجاه ظروفهن الحياتية في داخل الاسرة، ولأنهن يعتبرن الاسرة الوسط الذي ينمين فيه كياناتهن ويبرزن فيه شخصياتهن، لذا فانهن يبادرن أولاً إلى تقييم ظروف الحياة داخل الاسرة.

وبسبب من التطورات والتبدلات النفسية والعضوية التي يمررن بها خلال هذه المرحلة من العمر ، والتي تؤدي بطبيعتها إلى تغيرات نفسية وعاطفية عميقة لديهن ، لذا فان تقييماتهن تكون سلبية في غالب الأحيان حول ظروف حياة الأسرة ، خصوصاً فيما يتعلق منها بطبيعة سلوك وحياة الأم ، ويسعين إلى أن تكون حياتهن مختلفة عن حياة الأم .

وقد تتطور هذه النظرة السلبية لدى بعض الفتيات تجاه امهاتهن إلى حد يصل في بعض الحالات درجة الكراهية وتدهور علاقاتهن بهن بشكل خطير . انّ كل شيء في حياة الوالدين يصبح في نظر مثل هذه الفتيات داعياً إلى الرفض والاستهجان ، خصوصاً الأم ؛ سلوكهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم بالآخرين ، ونوع وطريقة تفكيرهم وآرائهم تجاه مختلف القضايا .

انّ أغلب الفتيات في مثل هذه السن لا يجدن الظروف مؤاتية للتعبير عن آرائهن بشأن الاجواء السائدة في البيت أو تجاه الوالدين فيحتفظن بها لأنفسهن ، وذلك أما حياءً أو خوفاً من المحاسبة والعقاب ، لكننا لا نعدم في الوقت ذاته وجود حالات تقف فيها الفتيات بوجوه امهاتهن بتصور انهن ضعيفات ولا حول لهن ولا قوة .

التمرد والعصيان

في أوائل سن المراهقة تكون الفتاة مطيعة ومسلّمة قيادها للوالدين إلى حد ما وتحاول الظهور بمظهر الهادئة والمنسجمة مع الأوضاع بحيائها وخجلها المعهود ، لكن هذه الحالة تتغير لديها ويحل محلها نوع من العصيان والتمرد على الأوامر والتوجيهات في المقاطع البعدية من المراهقة حيث الاقتراب من البلوغ والنضوج الجنسي .

كما انّ حالة التمرد والعصيان تكتسب في بداية الأمر منحنىً شفهياً، فتحاول الفتاة التعبير عن تمردها ورفضها للقضايا التي لا تنجسم مع رغباتها وميولها من خلال الكلام وابداء الانزعاج فقط، لكنها تتحول فيما بعد إلى مواقف عملية تبرز من خلال الأفعال والتصرفات.

وأحياناً يكون التمرد والعصيان نوع من المقاومة الطفولية، بمعنى إن الفتاة تعبّر بذلك عن رغبتها في أن تبقى طفلة تتمتع بمزايا الطفولة، والواقع انها تكون في هذه الحالة حائرة بين عالمين؛ عالم الطفولة الذي ابتعدت عنه قليلاً من جهة، وعالم الكبار الذي وضعت أقدامها الأولى فيه من جهة اخرى.

الصداقات

فمع البدايات الأولى لسن المراهقة، تتجه الفتيات إلى الاهتمام بحياة الجماعة وبناء علاقات الصداقة فيما بينهن، ويبلغ ميل واندفاع أعضاء هذه الفئة بهذا الاتجاه حداً دفع البعض إلى وصف هذه الفترة بفترة اللهو والصداقات. وبالطبع فان هذه العلاقات هي علاقات مؤقتة وغير دائمية. فالعلاقات التي تتحول إلى صداقات دائمية تأتي في مراحل لاحقة وتتعزز بمرور الزمن.

انّ التعرّف على قرينات السن والانفتاح عليهن يكتسب أهمية متزايدة للفتيات في مثل هذه السن، ويكمل شخصياتهن في بعض الموارد، لأن الصفة الايجابية في احداهن تنتقل من خلال العلاقة إلى الآخريات أيضاً. كما ومن شأن مثل هذه العلاقات أن تخفف من حدة كثير من التوترات والاحتقانات النفسية لدى أعضاء هذه الفئة، لأن البوح بما بجيش في النفس من اهتمامات للصديقات يعد بذاته عاملاً من عوامل تسكين النفس.

على أية حال، فان الفتيات في هذه السن، يعطين أهمية متزايدة لأمر

الصداقة والارتباط بزميلاتهن، كما وقد يبادرن إلى اقامة علاقات صداقة حتى مع الذكور، غير انّ هذه الحالة نادراً ما تشوبها دوافع جنسية، وان كانت سرعان ما ستأخذ صبغة جنسية في حال استمرارها.

ان الارتباط بعلاقات الصداقة بالنسبة للفتيات هو وسيلة ينقلن عن طريقها ما يجيش في صدورهن من مشاعر واحاسيس إلى الاخريات من جهة، وليستفدن من وجهات نظرهن ومن تجاربهن في الوقت ذاته أيضاً في حياتهن من جهة اخرى.

الأنس والنفور

تمر صداقات مرحلة المراهقة بفترات مدّ وجزر، وهي في الغالب علاقات غير ثابتة ومتبدلة، كما وهي حاجة من طرف واحد؛ اي انّ الطرف المبادر اليها لا يأخذ مصلحة الطرف الآخر فيها بنظر الاعتبار. وبعبارة أوضح ان الانفصال عن مرحلة ما قبل البلوغ يولّد نوع من القلق والاضطراب لا يمكن تسكينه الا بالاتصال بقرناء السن وهي حالة تزول بزوال دواعي القلق بعد اجتياز هذه السن.

ومن صور الميل إلى الصداقات والزمالات في هذه السن، يمكن الاشارة إلى سعي الفتيات لتشكيل الفرق والمجاميع والاتحادات وما إلى ذلك من الفعاليات الجماعية، لكنه ليس معلوماً دائماً ما اذا كانت مثل هذه النشاطات سليمة، حيث قد تجر في بعض الحالات إلى الوقوع في الانحراف والرذيلة.

تتولد لدى بعض الفتيات في هذه السنين بعض الميول والرغبات التي تأخذ طابعاً سادياً فتنعكس على سلوكهن وتصرفاتهن مع الأخريات، ومن تمظهراتها الادبار عن علاقات الصداقة والتآلف مع الزميلات وحتى اضمار الكراهية نحوهن ومحاولة الحاق الأذى بهن غير انّ هذه الحالة تتجه في الغالب نحو التحسن

لوحدها فيما بعد، وتعود أوضاعهن بالتدريج إلى حالتها الطبيعية في نهاية المطاف.

الألفة والانسجام

لكن أغلب الفتيات يملن إلى التآلف والانسجام مع صديقاتهن ويحرصن على الاحتفاظ بعلاقاتهن فيما بينهن بشتى الوسائل، كما وتسعى بعض الفتيات، في سبيل الاحتفاظ بمثل هذه العلاقات وتعزيزها إلى تقليد شخصيات بعضهن ومحاكاتها في نوع الملبس وطريقة الكلام وفي الحركة والتصرف وما إلى ذلك من المكونات الشخصية.

انّ الميل إلى محاكات الصديقات والزميلات ومحاولة تقليد شخصياتهن في التصرف والسلوك تتوقف ايجابيته وفائدته أو سلبيته ومضاره على نوع العلاقات التي تربط الفتاة بالأخريات وعلى الخلفيات التربوية للأخيرات، وهنا يأتي دور اولياء الأُمور، وخصوصاً الأمهات، في ترشيد وتوجيه هذا الميل بالاتجاه الذي يخدم مصلحة الفتاة وينضج شخصيتها.

الفصل الخامس والعشرون

الحاجات والرغبات

مقدّمة

انّ مرحلة المراهقة تبدو في نظر الفتيات مرحلة جديدة وحديثة في جميع جوانبها وحالاتها سواء الجوانب التي تتعلق بدوافعهن الشخصية أو الاشياء التي يلاحظنها ويلتفتن اليها حواليهن وفي الوسط الاجتماعي الذي يعشن فيه.

ففي هذه السن تستجد لدى المراهقات اهتمامات جديدة فيرمين على اثرها الدمى والألعاب، التي كنَّ يلهين بها في مرحلة الطفولة، جانباً، ويسعين إلى بلوغ أشياء اخرى ذات أهمية أكبر في الحياة.

الميول الجديدة

على اثر التطورات النفسية والعضوية التي تحصل خلال مرحلة المراهقة، تبرز لدى الفتيات ميول ورغبات نفسية جديدة يمكن تقسيمها إلى قسمين وعلى النحو الآتي:

١ ـ الميول والرغبات الجنسية التي تستولي على الحواس والمشاعر بشكل ملح.

٢ ـ الميول والرغبات التي تدفع باتجاه الحركة والنشاط نحو الاستقلال وبناء مكونات الشخصية الذاتية.

وهاتان الحالتان تستوجبان بطبيعتهما مغادرة علائق سني الطفولة والتبعية للوالدين والتوجه إلى الاعتماد على الذات بحسب الشروط التي تمليها طبيعة الحياة الجديدة.

الآمال الجديدة

تتولد لدى الفتيات، مع مطالع سن المراهقة، آمال وتطلعات جديدة ذات صبغة خيالية ووهميّة في الغالب، أو هي من النوع الذي لا يمكن تحقيقه في الواقع العملي، وهي أمور يكتشفنها بأنفسهن بالتدريج وينصرفن عن التفكير بها في نهاية المطاف.

وبتعبير آخر، تنشدّ الفتيات المراهقات، في بعض الحالات، بشكل متطرف إلى التفكير بأشياء لاتعدو في واقع الأمر كونها أوهام يفصل بينها وبين القضايا الواقعية بون شاسع، وتدفعهن نحو الاستغراق التام في التطلعات الواهية التي تبعدهن عن واقعيات الحياة وعن التفكير السليم بشأن مختلف القضايا.

وتأمل الفتيات، تحت وطئة ميولهن ورغباتهن الجديدة، أن يسود العالم جو معنوي سامٍ، وأن تصبح محيط الاسرة مكاناً للهدوء والراحة التامة ويعيش الوالدين فيه إلى جانب بعض بكل انسجام وتآلف بعيداً عن أي مظهر من مظاهر التوتر والتشنج... وبعبارة واحدة انهن يرغبن بشكل غير واقعي، في أن يرين الحياة زلالة وصافية وخلواً من أي حالة يمكن أن تكدّر صفوها وزلاليتها.

تمثل حياة الكبار

تميل الفتيات في سن المراهقة إلى ان ينظر اليهن الآخرون على أنهن أشخاص بالغات وناضجات من الناحية الفكرية، ويمكن الثقة بهن والانفتاح عليهن وطلب المشورة منهن في مختلف المسائل التي يتداولها الكبار وفي بعض الحالات يبلغ الميل نحو كسب الاعتبار وتمثل حياة الكبار مبلغاً متطرفاً لدى الفتيات إلى درجة تندفع بعضهن إلى تقمص دور الأم في البيت ويشرعن في توجيه الأوامر والنواهي إلى الاطفال الأصغر سناً، ويتمنين لو كانت امور البيت

كلها بأيديهن، فالكثير من حالات الغضب والعصبية التي تبدو على سلوك هؤلاء في هذا المجال انما هي ناتجة عن شعورهن بتجاهل الآخرين لهن.

كما ويتولد لدى كثير من الفتيات، ابتداء من سن الحادية عشر، شعور بأنهن مؤهلات للعب دور الزوجة والأم، والتصرف في الحياة كما تتصرف النساء الناضجات ومن تمظهرات هذا النوع من التفكير، ميل بعض الفتيات إلى الجنس الآخر والرغبة باقامة نوع من الارتباط بأحد افراده أو اقامة علاقة غرامية معه بحسب تعبيرهن، وهي حالة تنطوي على مخاطر غير قليلة في حال اغفالها من قبل اولياء الأمور.

في مجال تناول الطعام

يتغير اهتمام المراهقين بالغذاء ابتداء من السني الاولى لمرحلة المراهقة، فيقل اقبال بعضهم، خصوصاً الفتيات، على تناول الطعام، ويتجهون إلى الالتزام بنظام خاص في مأكلهم بغية أضعاف أنفسهم والتقليل من أوزانهم، قد يتطرفون في الاندفاع بهذا الاتجاه إلى درجة تضرّ بصحتهم، وقد تؤدي كذلك بالنسبة للفتيات في بعض الحالات، إلى انقطاع الدورة الشهرية.

إنّ الإدبار عن الطعام ليس حاداً عند الذكور، خلال هذه المرحلة من العمر، بل هي حالة مؤقتة تزول بعد فترة قليلة من الزمن، وذلك بفعل الحركة والنشاط ومختلف أنواع الرياضة التي يمارسها الذكور، في حين تختلف الحالة عند الاناث في هذا المجال، حيث قد تستمر لفترة طويلة نسبياً وتتسبب في حصول مضاعفات خطيرة على صحتهن في بعض الحالات.

لكنه وبشكل عام، تتغير هذه الحالة لدى المراهقين بما فيهم الفتيات في المراحل اللاحقة، فيتولد لديهم نوع من الأقبال والرغبة المتجددة بتناول الطعام

والاكثار منه، الأمر الذي يؤدي إلى تمدد أمعائهم وبالتالي حرصهم على التهام المزيد من الأكل خلال اليوم.

ولا ننسى أن نشير هنا إلى أنّ كمية الطعام التي تتناولها الفتاة خلال سني المراهقة تبلغ تقريباً سبعة أعشار ما يتناوله الرجل البالغ من الطعام أو إنّ المرأة البالغة تتناول من الطعام في اليوم ثمانية اعشار ما يتناوله الرجل البالغ.

النزوع الخيالي

نتيجة لرقة العاطفة وشفافيتها، وتكاثف الآمال والتطلعات في سني المراهقة، تندفع الفتيات إلى الاستغراق في عالم الخيال والأوهام وإلى تمثل تحقق الصور الموجودة في أذهانهن في الواقع الخارجي، وهي حالة تُساهم بطبيعتها في اشغال حيز كبير من تفكيرهن وبالتالي ليؤثر ذلك سلباً على مركزة أفكارهن.

وبسبب من هذه الحالة، نجد إنّ الفتيات يلجأن في الغالب إلى قراءة القصص والروايات والأندماج في عوالمها وصورها التي تطغى عليها عادة الصبغة الخيالية، كما ويشتد لدى أعضاء هذه الفئة في هذه الاثناء ميل إلى الوحدة والاختلاء بالنفس ومداعبة مختلف الأفكار والخيالات.

العوامل المثيرة

الفتيات سريعات التأثر بالاشياء من الناحية العاطفية والنفسية بحسب طبائعهن الذاتية، إلّا أنّ الذي يستجد لديهن خلال مرحلة المراهقة هو انهن يملن إلى الاشياء المثيرة بدرجة أشد. ومن هنا نجدهن يرغبن أو يستخدمن، مثلاً، أنواعاً من العطور مثيرة للغاية ولا تصب في صالحهن.

فبخلاف مرحلة الطفولة، يمكن الاشارة إلى العديد من عوامل الاثارة في حياة الفتيات المراهقات، ومنها مختلف الألوان والاشكال والاصوات الجميلة،

وكذلك مختلف المشاهد والحوادث واللقطات والصور المثيرة في الكتب والمجلات والأفلام والتي يمكن أن يصادفنها أو يطلعن عليها بمناسبات عديدة.

إنّ شدة الاثارة لدى الفتيات تعود في اسبابها من احدى النواحي إلى طبيعة، مرحلة المراهقة وإلى التغيرات العضوية والنفسيةالتي تحصل لديهن خلالها، وما يرافق ذلك من بروز حالة عاطفية تتميز بسرعة التأثر بالمحركات الغريزية الجنسية. وهذه الحالة تكون أشد وتنطوي على مخاطر أكبر بالنسبة لأولائك اللاتي لم يتلقين تربية صحيحة أثناء مرحلةالطفولة أو عشن في أُسر مفككة وغير منسجمة فيما بينها.

عوامل الانحراف

إنّ هناك عوامل كثيرة تساهم كل منها في دفع المراهقات نحو مسالك الجنوح والانحراف الأخلاقي، ومنها معاشرة رفيقات السوء، والخوض مع الأخريات في الأحاديث المثيرة في المجالات الجنسية، ورؤية الصور واللقطات والمشاهد المثيرة في المجلات أو الأفلام المستهجنة، وكذلك قراءة الكتب والقصص والروايات التي تدور حول مثل هذه القضايا و...

تحذير

لاشك في إنَّ مرحلة المراهقة هي فترة حساسة للغاية في حياة الفتيات، وتبرز فيها مختلف عوامل الاثارة الغريزية واذا أخذنا بنظر الاعتبار إلى جانب ذلك حجم البساطة وحسن النيّة التي تتميز بها المراهقات خلال هذه السن، ندرك كم من الأخطار يمكن أن تعترض طريقهنّ في مثل هذا العمر.

وأمام هذا الوضع تزداد مسؤولية أولياء الأُمور، وخصوصاً الأمهات، تجاه فلذات أكبادهم، وضرورة التواصل معهنّ، اكثر من أي مرحلة اخرى، بالترشيد والتسديد والتوجيه في مختلف شؤونهن.

الفصل السادس والعشرون

التحولات في السلوك

مقدّمة

الحديث حول المراهقة هو بالأساس حديث حول التحولات في السلوك، حيث من الواضح لدينا اختلاف السلوك بين الأشخاص المتوازنين من غير المتوازنين من الناحية النفسية. انّ من الخطأ حصر أسباب الاختلافات السلوكية بين المراهقين، سواء اناثاً كانوا أو ذكوراً، بعوامل التربية والاكتساب البيئي فقط، فكما لعوامل الاكتساب تأثيرها في هذا المجال، فان للعوامل البايولوجية والفيسيولوجية أيضاً دورها المهم والأساس في تحديد اتجاهات السلوك وكيفياته عند الأشخاص.

انّ نوع السلوك وردود الأفعال لدى المراهقين لا يمكن التنبوء به مسبقاً بشكل دقيق. لقد وصف علماء النفس هذه المرحلة من العمر بأوصاف عديدة، فقد قال أحدهم، ويدعى ماندوس إنّ هذه المرحلة هي فترة التوتّر والأنفعال في الحياة، فيما ذهب آخر إلى وصفها بالمرحلة السلبية من الحياة[1]. الا انّ الآراء المذكورة وغيرها تستند إلى ظواهر السلوك فقط وتدور حول العموميات ولا تمس الحالة بالعمق.

محاولة الانسجام مع المحيط

يتولد لدى المراهقين، منذ مطالع سني المراهقة، اندفاع وحماس نحو الانسجام مع الوسط الاجتماعي، ويسعون، رغم التطورات العضوية والنفسية

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص٩.

المقلقة، إلى النظر إلى الاشياء من حواليهم بـواقـعية، والانـطلاق فـي أفـعالهم وتصرفاتهم من حسابات مدروسة. غير انّ هذه الحالة ليست سائدة عند جميع الاشخاص على حد سواء. فالملاحظ إنّ الكثير من الابناء يسوء سلوكهم خلال هذه المرحلة إلى درجة لا يطاقون على العكس تماماً مما كانوا عليه قبل ذلك من هدوء وسلوك مهذّب.

كما ومن الممكن ان يكون بعض المراهقين هادئين ومهذّبين في مـحيط المدرسة، ومشاكسين ومؤذين في البيت والأسرة. وليس من شك فـي تأثـير مختلف الظروف والعوامل في هذه الحالة، ومنها المشكلات والصعوبات الحياتية التي كانوا قد واجهوها أثناء الطفولة.

وبشكل عام، يكون هؤلاء هاديئو الطباع وساكـنون مـا دامـوا صـغاراً، وتتبدل أحوالهم ويصبحون أشخاصاً حادي المزاج ومشاكسين وسريعي الغضب مع دخولهم مرحلة المراهقة وخصوصاً عند وصولهم سن البلوغ. ويعود السبب في جانب كبير من هذه الحالة إلى دوافع اثبات الشخصية لدى المراهق، كما وتلعب الخلفيات التربوية والاجتماعية دوراً مؤثراً في تفاقم الحالة، ومن شأن نوع تعامل أولياء الأُمور والمربين معها أن يحدّ من تفاقمها أو يزيد في تعقيدها.

اضطراب السلوك

انّ من الخصائص البارزة التي تظهر لدى المراهقين خلال هذه المرحلة هو اضطراب السلوك، وتعود بواعث ذلك من أحد اللحاظات إلى إلحـاح النشـاط الغريزي الجنسي وإلى الضغوط النفسية التي يولدها وبالتالي محاولة الشـخص التخلص منها بنحو وآخر.

فالفتاة التي نجدها مؤدبة وهادئة ومطيعة قبل هذه الفترة، قد تتبدل طباعها

مع دخول مرحلة المراهقة لتتحول إلى شخصية متمردة وعاصية لا تقيم وزناً للأوامر والتوجيهات، وتتخلف عن الحضور للمدرسة أوالتحضير والمذاكرة لدروسها. وهذه الحالة تبدأ خفيفة وتتجه نحو التفاقم والشدة شيئاً فشيئاً، وكأن الفتاة تنوي بذلك التحرك في هذا المجال خطوة خطوة لتستطلع الأوضاع وترى ما اذا كانت الأرضية مساعدة للأمعان في سلوكها الجديد أم لا.

وبعبارة أخرى يبلغ الاضطراب في السلوك لدى أعضاء هذه الفئة، في بعض الحالات، مبلغاً يدعو إلى حيرة واستغراب الأهل والأقارب وكل من يلتقي بهم، وذلك لأن تصرفاتهم وردود افعالهم تأتي مفاجئة وغير محسوبة في معظم الأحيان.

فبحسب بعض علماء النفس، تتولد لدى الفتيات في سني المراهقة دوافع هجومية تجاه الآخرين، وقد وصف فريق من علماء التربية هذه المرحلة بفترة تراكم الشعور العدائي، فيما سماها آخرون بمرحلة الانفعال والتهاجم. وهي حالة تنشأ نتيجة النشاط المتزايد والسعي المتواصل لبلوغ مرحلة أثبات الشخصية.

وقد أرجع علماء التربية اسباب وخلفيات هذه الحالة الهجومية والدوافع العدائية تجاه الآخرين لدى الفتيات أو الفتيان إلى المراحل التي تسبق هذه المرحلة، اي انّ الحالات السلوكية التي تظهر في سني المراهقة هي انعكاس ونتائج لنوع التربية والمشاكل التي يمر بها الشخص خلال مرحلة الطفولة.

كما ويمكن أن تكون هذه الحالة راجعة إلى العُقَدِ الناتجة من فقدان الحنان خلال مرحلة الطفولة وإلى تراكمات الضغوط النفسية العديدة التي يتعرض لها الشخص أحياناً داخل الأسرة اثر تشدد الوالدين في التعامل معه أو بسبب المشاكل والصعوبات التي يواجهها في سني ما قبل المراهقة.

وقد تصدر من بعض افراد هذه الفئة تصرفات وأفعال تتعارض والأخلاق

السوية، فيوصمون على أثرها بسوء الأدب والخفة والوقاحة، ومن المسائل التي تميّز سلوكهم يمكن الاشارة إلى حالات الثرثرة، والتجاسر على الآخرين، والفوضى والضجيج، وحتى اللجوء إلى الكذب، والسرقة، والانحراف عن السلوك الصحيح في بعض الحالات.

ومن بين مختلف الحالات التي قد تطفح على سلوك المراهقين، هناك حالتان تبرزان أكثر من غيرهما؛ الأولى هي حالة الكذب والأخرى حالة السرقة. وعادة الكذب تنشأ غالباً بدافع إثبات الشخصية وجلب اهتمام الآخرين إلى الشخص وإشعارهم أهميته وبأهمية ما لديه من أخبار وأسرار ليست لدى الآخرين. أما حالة السرقة، فيقدم عليه الشخص عادةً تحت ضغط الوساوس النفسية أو بهدف الانتقام من الآخرين وإلحاق الأذى بهم لمختلف الأسباب والدواعي.

السلوك الطفولي

تكون المراهقة في هذه المرحلة من السن حائرة بين أن تبقى في حياة الطفولة وتستمتع بلذاتها وملاهيها، أو أن تغادرها إلى حيث حياة الكبار وحالاتها ولذاتها الجديدة. ومن هنا نجدها تتصرف كالأطفال حيناً، فتغضب مثلهم وتميل إلى أن تبقى طفلة تلقى حماية وحنان الأم، وتبدل حالتها حيناً آخر، فتتصرف كالكبار وتحاول تقليد سلوك النساء الناضجات ومحاكات حالاتهن بأفعالها وتصرفاتها.

وبتعبير آخر تعجز الفتاة المراهقة، خلال هذه الفِترة، عن ضبط مشاعرها وعواطفها تجاه المسائل التي تواجهها، وتتميز بحالة من التطرف في كل شيء، فاذا غضبت ثارت إلى حد الهياج والصراخ وتحطيم الأشياء، واذا فرحت، اندفعت إلى التعبير عن سرورها بمختلف أشكال التعبير عن ذلك.

حالة الكتمان

من الجوانب الايجابية في حياة الفتاة المراهقة، والتي قد تكون سلبية في بعض الموارد، حالة كتمان الأسرار. فهي تتميز في هذه المرحلة بالاهتمام المتزايد بحفظ الأسرار، حتى لقد تبلغ لديها الاصرار على هذه الحالة أحياناً مبلغاً تعرّض على اثره نفسها والآخرين لمشاكل ومخاطر عديدة.

انّ الحرص على حفظ السر يحتل موقعاً أساسياً في اهتمام الفتاة سلباً كان أو ايجاباً. ففي بعض الحالات حين تواجه الفتاة حالة أو حادثة ما؛ تعمل على الاحتفاظ بها لنفسها وعدم إخبار أحد شيئاً عنها، في حين قد يكون من الصالح أن تضع والديها في صورة ما رأته أو جرى معها لكي يبادران إلى توجيهها ومساعدتها.

وبشكل عام، فانّ الفتاة المراهقة شخصية كتومة، واذا اطلعتها احدى زميلاتها أو صديقاتها على مسألة معينة وطلبت اليها أن لا تبوح بها ووافقت هي على ذلك، فانها تلتزم بتعهدها ولا تُحدّث أحداً بشيء عنها.

وفي بعض الحالات يبادر أعضاء هذه الفئة من الفتيات إلى مطالعة بعض الكتب التي تدور حول قضايا الجنس والزواج والحمل وتربية الاطفال بعيداً عن أنظار أولياء الأُمور، وذلك من أجل الحصول على معلومات في هذا المجال والاستفادة منها عند الحاجة.

الاستياء والخصام

ومن الحالات التي نلاحظها عند الفتيات في سن المراهقة؛ ابداء الاستياء تجاه أولياء الأُمور وعدم الانسجام معهم، وتتطور الحالة إلى الخصام والشجار في كثير من الأحيان، الأمر الذي ينكد معيشة الوالدين ويتسبب في مشكلات عديدة لها ولهما.

الباب الثامن

تمهيد

يشتمل هذا الباب، الذي هو مدخل للبحث حول مرحلة البلوغ لدى الفتيات، على ثلاثة فصول وعلى النحو الآتي:

خصصنا الفصل الأول منه لذكر المسائل العامة للبلوغ، وتحدّثنا فيه حول معنى ومفهوم البلوغ وأنواعه، وكذلك سن الدخول فيه في مختلف المجتمعات، ومراحل بلوغ النضوج لدى الفتيات.

كما وتناولنا، في الفصل الثاني، أعراض حالة البلوغ لدى الفتيات، خصوصاً مسألة الحيض باعتبارها من أبرز ظواهر النضوج الجنسي، وأسهبنا في الحديث حول الأخيرة وما يرافقها من حالات وآلام و...

وكذلك، فقد أفردنا الفصل الثالث للحديث عن أهمية مرحلة البلوغ، ولطرح بعض المسائل حول الحياة الجديدة للفتيات وما يواجهنه من صعوبات في الانسجام والتطابق مع هذه الحالة، وبالتالي تعرضنا إلى آثار الحيض على حياة أعضاء الفئة المذكورة.

الفصل السابع والعشرون

المسائل العامة للبلوغ

مقدّمة

لابد للانسان، من أجل الوصول إلى مرحلة التكامل والنضوج، ان يجتاز مراحل عديدة في حياته. وأهم هذه المراحل مرحلة البلوغ الجنسي. وهي فترة زمنية معينة يكتسب خلالها الاناث والذكور مؤهلات النضوج الجنسي للعب دور الرجل أو المرأة في الحياة.

لقد شاءت الحكمة الالهية أن يتزامن بدء النشاط الغريزي الجنسي لدى الانسان مع نشاط أبعاد أخرى معنوية وفكرية أيضاً لديه وذلك من أجل ان لا تفلت فورة العاطفة الجنسية، خلال هذه المرحلة، من عقال المنطق والأدب وتتجه نحو مسالك الجنوح والانحراف. وهكذا فانه إذا توفرت الأرضية الاجتماعية والأُسرية المناسبة، يكون الشخص مؤهلاً من الناحية النفسية لاجتياز هذه المرحلة بنجاح وحفظ عفته ونجابته أمام فوران الغريزة وطغيانها.

معنى البلوغ

نعني باصطلاح البلوغ حالة النمو العضوي والنفسي التي تتولد على أثرها الميول والرغبات الجنسية لدى الشخص. ويعبّر العديد من علماء النفس عن هذه المرحلة بلفظه الشباب، ويعنون بذلك السن التي تلي سن الطفولة.

كما وذهب البعض إلى القول بانّ البلوغ هو المرحلة التي تتولد فيها لدى الرجل القابلية على التناسل وتتحول فيها الفتاة إلى إمرأة ناضجة مهيئة للانجاب. وهي مرحلة من الحياة تبرز فيها ظواهر فيسيولوجية عديدة ترافقها أحياناً بعض الاعتلالات المرضية.

وبحسب علم البايولوجي يعد البلوغ مرحلة من الحياة الانسانية ترافقها تطورات وتغيرات فيسيولوجية مختلفة. ويُعدُ استانلي هال، المعروف برائد علم البلوغ، أول من وصف البلوغ، في بحوثه العلمية، باعتباره مرحلة من مراحل النمو الانساني.

أنواع البلوغ

عند الحديث عن البلوغ لدى الأشخاص، عادة يُقصد البلوغ الجنسي، في حين توجد هناك أنواع عديدة للبلوغ، ومن أهمها يمكن الاشارة إلى ما يلي:

١ ـ **البلوغ الشرعي**: الذي يُحسب للفتيات بعد اجتياز سن التاسعة، وفق السنة الهجرية القمرية، ويترتب عليهن على اثره ما يترتب على النساء البالغات من واجبات والتزامات دينية وعبادية. وهو في الواقع نوع من التحصين المبكر لهن.

٢ ـ **البلوغ العضوي**: ويعني بلوغ الفتيات منتهى النضوج الجسمي ويحصل ذلك عادة في سن السادسة عشر.

٣ ـ **البلوغ الجنسي**: وهو بلوغ الفتاة مرحلة الحيض. وبالطبع لا يمكن للحيض ان يكون لوحده علامة مؤكدة على تأهل الفتاة للعب دور الأم في الحياة، وعادة يوجد حد فاصل بين الحالة الأولى والثانية.

٤ ـ **البلوغ العرفي أو الاجتماعي**: وهو مرحلة من العمر تكتسب فيها الفتاة الحق القانوني في التصرف بشؤونها وتقرير ما تراه مناسباً في حياتها الفردية والاجتماعية. وهذا الحق تناله الفتاة في بلدنا في سن الـ ١٦، وفي بعض المجتمعات الأخرى في سن ١٨ أو ١٩ أو ٢٠ أو ٢١.

٥ ـ **البلوغ النفسي**: وهو البلوغ الناتج عن النمو النفسي الذي تبلغ فيه الفتاة

منتهى درجات النضوج من ناحية سلامة الذهن والذاكرة .

٦ ـ **البلوغ الذهني والفكري** : ونعني به بروز مختلف الاستعدادات الفكرية والذهنية لدى الشخص بشكل كامل وقدرته على التفكير واتخاذ القرار في حياته .

٧ ـ **بلوغ الشخصية** : ويحصل ذلك متى ما توازنت جميع ابعاد شخصية الفرد ، واصبح قادراً على إعمال ارادته في شؤونه ، واستقل بقراره فكرياً وعملياً .

وهكذا الأنواع الأخرى للبلوغ عند الفتيات كالبلوغ العاطفي ، والبلوغ الاقتصادي ، والبلوغ الثقافي و ... التي يمكن أن تكون مترافقة معاً أو منفصلة عن بعضها عند بروزها من الناحية الزمنية .

سن البلوغ

انّ أول ما يجب معرفته هو أنه لا توجد سن محددة لمرحلة البلوغ . فهي تبدء عند أغلب الفتيات في حوالي سن الحادية عشر ، وبعد سنتين ، أي في سن الثالثةعشر ، ينزل عليهن الحيض لأول مرة.

وبحسب النتائج التي خرج بها أحد التحقيقات ، تبين إنَّ الحيض ينزل لأول مرة في سني ١٠/٤ و١٥/٣ ، وإن ما يقارب الـ٩٦٪ من الفتيات يصلن سن البلوغ في سن ١٢/٤٨ عاماً. البلوغ في أقل من سن التاسعة وفي أكثر من سن الرابعة عشر ، يُعدّ حالة مرضية .

وقد خرج أحد الاحصاءات حول سن البلوغ الجنسي لدى الفتيات بالنتائج النسبية الآتية : ١٪ في سن التاسعة ، و ٢٪ في سن العاشرة ، و ١١٪ في سن الحادية عشر ، و٣٨٪ في سن الثانية عشر ، و٧٣٪ في سن الثالثة عشر ، و ٨٢٪ في سن الرابعة عشر .

فالحيض ، باعتباره ظاهرة بارزة في البلوغ ، يستمر حتى سني ٤٥ ـ ٥٥

عاماً، ويتكرر مرة واحدة في كل ٢١ ـ ٣٠ يوماً، ويستمر نزوله في كل مرة بمعدل ٣ ـ ٤ أيـــام، ومـقدار الدم الذي يـنزل اثـناء الحـيض يـزيد أو يـقل بـحسب الخصوصيات الفردية، وظروف المياه ونوع التغذية، والأمراض المعدية، وطبيعة افرازات الغدد الداخلية، وكذلك الظروف النفسية والعصبية[١].

اختلاف سن البلوغ

يختلف سن البلوغ من مجتمع إلى آخر، ولتوقيته علاقة بمختلف العوامل الوراثية، والاقتصادية، والثقافية والجغرافية. ففي المناطق الحارة تصل الفتيات إلى سن البلوغ في سن ٩ ـ ١٠ عاماً، بينما يصل الفتيان مرحلة البلوغ في سن ١٢ ـ ١٣ عاماً، وتتأخر بوادر ذلك عند أعضاء الفئتين في المناطق الباردة من سنتين إلى ثلاث سنوات.

كما وان لسن البلوغ علاقة مباشرة بنوع العرق والأسرة، وطبيعة المـناخ الجغرافي. ففي أوربا المركزية يصل الاناث والذكور سن البلوغ على التوالي في سن ١٢ ـ ١٣ عاماً، وفي سن ١٤ ـ ١٧ عاماً، أمافي المناطق الحارة مـن هـذه القارة، فيكون سن البلوغ أبكر بعدة سنوات.

وطبقاً لتحقيقات أجراها فريق من الباحثين الايرانيين في جامعة الشـهيد بهشتي (الدكتور عزيزي وزملاؤه) تبين ان فتيات شمال العاصمة طهران يـصلن سن البلوغ أبكر من نظيراتهن القاطنات في جنوب المدينة. وكذلك فقد تبين ان سن البلوغ في ايران ابكر من سن البلوغ في الصين وبريطانيا.

فهناك عوامل وأسباب عديدة لها مدخلية فـي اخـتلافات سـن البـلوغ الجنسي لدى المراهقين، أشرنا لبعضها فيما مر من البحث، وسـنتناول البـعض الاخر منها في الفصول الآتية من هذا الكتاب.

---

(١) علم نفس اسبرلينج.

تدرج البلوغ

بخلاف الحالة السائدة في بلوغ بعض الحيوانات، لا يحصل البلوغ الجنسي لدى الانسان دفعة واحدة، وانما يمر الفتى أو الفتاة بمراحل عديدة ومتدرجة في طريق نموه وبلوغه سن النضوج الجنسي.

وقد يكون نزول دم الحيض، في سن البلوغ، عند الفتيات قليلاً جداً في الوهلة الاولى أو ان ينقطع لأسابيع واشهر عديدة قبل أن يعاود نزوله مرة اخرى كما ويمكن ان يضطرب في بداية الامر وينتظم فيما بعد.

إن للبلوغ الجنسي علاقة بالسن، والطول ،والوزن، وقوة العظام و... فالفتيات الأطول قامة، والأكثر وزناً، والأسرع نمواً في جهة العظام يصلن سن البلوغ الجنسي اسرع من غيرهن[1].

ليس نزول دم الحيض من الفتاة دليلاً على النضوج الجنسي الكامل دائماً. فقد ينقطع الحيض أو يضطرب، بعد أن ينزل للمرة الأولى، لفترة معينة من الزمن. ويبدو إن نزول دم الحيض يبدء لدى الكثير من الفتيات قبل أن يتهيىء المبيض لديهن لافراز البيوضات الخاصة بالحمل وقبل ان يكون الرحم لديهن معداً لحمل الجنين[2].

البلوغ الجنسي لدى الفتيات أو الحيض يتم على مرحلتين، فخلال المرحلة الاولى يتسم الحيض بالاضطراب، وقد ينقطع بعد المرة الاولى لاشهر عديدة أو لسنة كاملة، ويرافق ذلك، في بعض الحالات، آلام، وغثيان، وتقيوء، ويبوسة في المزاج.

---

(١) علم نفس اسبرلينج، ص١٧٦.

(٢) علم نفس النمو، ص٤٤٢.

أما المرحلة الثانية ، فينتظم فيها الحيض ولا تعد الفتاة تعاني من شيء غير طبيعي ، اللهم الا اذا كانت تعاني من اعتلال مرضي معين كأن يكون نقصاً في مادة البروتين فحينها تكون بحاجة الى علاج فعادة ليست لدى اللاتي يتمتعن بصحة جيدة مشكلة في هذا المجال .

الفصل الثامن والعشرون

علائم البلوغ لدى الفتيات

مقدّمة

قد تكون فتاتكم دخلت الآن مرحلة البلوغ، وانعكس ذلك على سلوكها وتصرفاتها بنحو وآخر في غفلة منكم أو أنكم لم تفهموا مغزى التغيرات الجديدة التي طرأت عليها. هذا في الوقت الذي لا تجدون في ابنكم الذي يكبرها في السن أي بادرة أو علامة توحي بشيء من ذلك.

على أية حال، فهذا هو عالم النمو قليلاً ما ينتبه المرء لايقاعه. وحتى نفس الفتاة قد تتفاجأ بدخولها مرحلة البلوغ وتصاب بالحيرة في بداية الأمر. فاللاتي كنّ قد استعدن لمثل هذه المرحلة وتلقين التوجيهات والارشادات اللازمة بشأنها مسبقاً، قليلاً ما يواجهن مشاكل وصعوبات في هذا المجال. المشاكل والمعاناة في هذا الطريق تواجه في الغالب اولئك الفتيات اللاتي لم يكن قد أخبرن مسبقاً من قبل الأمهات والمعلمات بظروف وملابسات حالة البلوغ. فما أكثر الفتيات اللاتي يرتعبن من أولى بوادر الأنوثة لديهن ويلُمنَ أنفسهن، جهلاً، بسبب ميولهن الجديدة. وقد لوحظ، في بعض الحالات، شعور أعضاء هذه الفئة بالذنب دون أن يكن قد ارتكبن ذنباً بالفعل وتوجسن الخيفة من محاسبة الوالدين. حتى لقد دفعت هذه الحالة في موارد معينة بعضهن إلى الأقدام على الانتحار.

أصل البلوغ

البلوغ بالأصل هو نضوج الغدد الجنسية، وهذه الظاهرة تبرز لدى الفتيات مع أول حيض ينزل عليهن. ومن علامات البلوغ لدى الفتيان تغيّر طبقة الصوت

ونبوت الشعر حول منطقة العانة[1]. وقد اعتبر استانلي هال البلوغ بأنه نتيجة لتأثيرات عوامل النمو. ولعل هذا الرأي كان مطابقاً لما ذهب اليه ملّا صدرا باعتبار النمو عاملاً رئيسياً من عوامل التحول الشامل في الشخصية.

ففي هذه المرحلة، تنضج الغدد الغريزية في الأشخاص، وتبلغ الفتيات إثر ذلك مرحلة الحيض. وقد اعتبر البعض البلوغ ظاهرة هرمونية تصاحبها انفعالات واستجابات نفسية واجتماعية معينة يتوقف موعد حلولها في الأشخاص على طبيعة المناخ الجغرافي الذي يعيشون فيه والعرق الانساني الذي ينتمون اليه.

فأثناء البلوغ، تشرع غدتي اا(هيبوتالاموس وهيبوفيز) الموجودتين في المخ، بالنشاط والفعالية. ويزداد الافراز الهرموني من غدد الادرينال والگونادات، وبالتالي يؤدي هذا النشاط إلى اخصاب المبيض لدى الفتيات وظهور اا(المني) في الفتيان.

اختلاف وجهات النظر حول البلوغ

اختلفت وجهات النظر حول ظاهرة البلوغ. فقد كانت الآراء حول هذه المسألة تستند في الماضي على التجارب الشخصية وعلى المعايير الفلسفية والمنطقية، لكنه في الأعوام الأخيرة أخذت الأنظار تتجه نحو التأكيد على المشاهدات والتجارب العلمية الدقيقة في هذا المجال. ومن هنا يلاحظ اختلاف واضح بين الآراء القديمة والجديدة حول ظاهرة البلوغ.

قلنا إن البلوغ الجنسي لدى الاناث أبكر منه لدى الذكور بحسب الخلقة والتكوين، حيث خلق الباريء تعالى هذين الجنسين بشكل مختلفين. كما ويختلف موعد البلوغ لدى البنات والبنين باختلاف العرق، والمناخ، وطبيعة

---

(١) علم نفس اسبرلينج، ص ١٢٤.

الحياة الاجتماعية، وهي أمور سنتناولها في الفصول الآتية من هذا الكتاب.

انّ علائم البلوغ تبرز للعيان لدى الفتيات بشكل أوضح وأبكر نسبة للفتيان. وبعبارة أخرى، فانّ الصفات الثانوية لدى الفتيات تكون مشهودة بصورة أوضح، خصوصاً فيما يتعلق من هذه الحالة بنمو الأثداء واتساع عظام الحوض.

العلائم التدريجية لبلوغ الفتيات

تبرز الأثداء لدى الفتيات في حوالي سن الحادية عشر، وينزل عليهن دم الحيض لأول مرة عادة بين سن ١٢ ـ ١٤ عاماً، وقد وصف بعض العلماء المراحل التدريجية لحالة البلوغ على النحو الآتي:

ـ في سني ٩ و ١٠ تكبر عظام الحوض وتتسع، ويكتسب رأس النهد شكلاً دائرياً.

ـ في سني ١٠ ـ ١١، ينبت الشعر حول منطقة العانة، وتنمو الأثداء.

ـ في سني ١١ ـ ١٢، يترشح من الجهاز التناسلي بعض المواد.

ـ في سني ١٢ ـ ١٣، تظهر نقاط سوداء، حول حلمة الأثداء.

ـ في سني ١٣ ـ ١٤، ينبت الشعر تحت الأبطين، ويحين في هذا الوقت موعد نزول الحيض.

ـ في سني ١٤ ـ ١٥، تكون الفتيات مستعدات للحمل.

ـ في سني ١٥ ـ ١٦، يظهر في الوجه ما يسمى بحب الشباب وتخشن طبقة الصوت.

ـ في سني ١٦ ـ ١٧، ينتهي نمو العظام ويتوقف عند حد معيّن.

كما وهناك علامة يشير اليها الامام الصادق عليه السلام بقوله: «وإن كانت

انثى يبقى وجهها من الشعر لتبقىٰ لها البهجة»[1].

العلائم الظاهرية

من العلائم الظاهرية لحالة البلوغ لدى الفتيات، يمكن الاشارة إلى ما يلي:

- كبر النهدين، ونبوت الشعر حول العانة ابتداءً من سن ١٠ ـ ١١ عاماً، ونبوت الشعر تحت الابطين، وتغيّر طبقة الصوت، والنمو الجسمي السريع، واتساع الحوض و...

وطبقاً لرأي (كي ـ شاتل وورث) تبرز التغييرات العضوية للبلوغ الجنسي بحسب الترتيب التالي:

كبر الصدر، وشعر خفيف حول العانة، والنمو الجسمي السريع، وتجعّد شعر العانة، ونزول دم الحيض، ونمو الشعر تحت الأبطين. انّ نمو العظام في هذه المرحلة مرتبط بنشاط الهرمونات الجنسية بشدة إلى درجة يمكن تشخيص تاريخ شروع البلوغ الجنسي من خلال تصوير هذه العظام.

فبعد تسارع النمو ونضوج العظام، أي اتساع حوض الخاصرة وتضخّم القسم الأسفل من الجسم وحصول التغيرات العضوية الأخرى، تبرز أولى علامات حلول موعد العادة الشهرية لدى الفتيات. وبالطبع فانّ هذه العلامات ليست واحدة لدى جميع الفتيات، فمثلاً قد يكون الشعر النابت تحت أبط الفتاة تارة أول علامة من علامات البلوغ، كما قد يكون تارة اخرى آخر علامة في هذا المجال.

مراحل البلوغ

للبلوغ الجنسي مرحلتان هما:

---

(١) بحار الانوار، ج٢، ص١٩.

١ ـ المرحلة الاولى، التي تشمل سني ١٠ ـ ١٣ عاماً، وتنمو فيها الغدد الحليبية ويترشح من حلمة الثدي مادة معينة، ويكتمل الجزء الظاهري من الجهاز التناسلي ويزداد تراكم المواد الدهنية تحت الجلد في بعض مناطق الجسم، وينمو الطول، وتتضخم الجثة بزيادة في الوزن تبلغ ٤ إلى ٦ كيلوغرام في السنة، وبالتالي انتهاء هذه المرحلة مع حلول موعد بدء الدورة الشهرية.

٢ ـ المرحلة الثانية، ويتباطأ فيها ايقاع نمو الجسم، ويتسارع النمو الجنسي وتبرز علائمه بشكل أوضح. وينبت الشعر في مناطق خاصة من الجسم، كالأبط والعانة، ويكبر النهدان ويبرزان وتنتهي هذه المرحلة في سن ١٤ ـ ١٦ عاماً، وتكون الفتاة حينذاك ناضجة ومؤهلة للعب دور الزوجة والأم في الحياة.

التحولات النفسية

يصاحب التغيرات العضوية الظاهرية لدى الفتاة، خلال هذه المرحلة، تحولات نفسية تنعكس آثارها على سلوكها وميولها فتتغير هي الأخرى أيضاً. ففي هذه الأثناء يتوالد داخل فضاء الرحم غدد صغيرة يعد كل منها خليّة تناسلية مؤنثة، وفي كل ٢٨ يوماً تخرج أحدى هذه الخلايا من المبيض، وفي حال تلقيحها بخلية مذكرة تتحول إلى بويضة كاملة يتكون منها الجنين.

عادة تستقبل الفتيات الحيض في مراحله الأولى بنوع من الخجل والخوف والاضطراب، وهو الأمر الذي يوجب على الأمهات والمربيات طمأنتهن وارشادهن إلى ما ينبغي عليهن فعله في التعامل مع هذه الحالة الجديدة، واخبارهن بأنها مسألة طبيعية ليس فيها ما يدعو إلى الخجل والخوف والاضطراب.

ماذا يعني الحيض

إن نزول دم الحيض هو في الواقع اعلان عن تأهّل الفتاة للحمل والانجاب وللعب دور الزوجة والأم في الحياة الأسرية: وهو يعني بتعبير آخر انّ الفتاة قد اكملت مرحلة النمو العضوي والنفسي، وباتت ناضجة من الناحية الجنسية كأية امرأة كاملة.

كما وتعني كل مرحلة من مراحل الحيض إنّ دورة كاملة من الأخصاب في المبيض قد انتهت، ويجب انتظار المرحلة الأخرى. وفي حال لم ينزل الحيض في المرحلة البعدية، فانّ ذلك يدل على احتمال الحمل أو الاصابة بمرض بحاجة إلى علاج.

كيفية الحيض

تختلف كيفية الحيض من فتاة إلى اخرى، فقد تُرافقه أحياناً آلام واوجاع عديدة. إنّ الألم والمعاناة أثناء نزول الحيض أو في موعده شيء غير طبيعي بالنسبة للفتاة السليمة من الناحية الصحية، ومن الحكمة أن يلتفت أولياء الأمور لهذه المسألة، ويعيروا اهتماماً كافياً لشكوى الفتاة في هذا المجال.

فالفتيات القويات والسليمات من الناحية الصحية لا يعانين من آلام لا في بداية الحيض ولا في نهايته، غير انّ الضعيفات جسدياً والمريضات وأولئك الاتي لا يراعين النظافة، غالباً ما يعانين من مختلف الآلام اثناء الحيض، ومنها آلامه بداية نزول الحيض، وآلام اضطرابه أو انقطاعه.

انّ انقطاع الحيض يؤشر في العادة حالة مرضية لدى الفتاة، وإن كانت هناك حالات نادرة ينقطع فيها الحيض بعد مدة من الزمن دون سبب مرضي، وعلى أية حال من المفيد جداً الرجوع إلى الطبيب في مثل هذه الحالة. ولا ننس أن نضيف

هنا هذه المسألة أيضاً وهي انّ بعض الفتيات يتصورن جهلاً، اثناء الحيض، انهن مريضات وحتى يتألمن نتيجة لمثل هذه الايحاءات الواهية.

انّ موقف الفتاة لدى مشاهدتها نزول دم الحيض عليها لاول مرة يكون احدى الحالات الآتية:

ـ تستقبل هذه المرحلة الجديدة من الحياة بشكل طبيعي دون أدنى خوف أو اضطراب.

ـ تضطرب وتنفعل بشدة ولا تدري ماذا تفعل.

ـ بسبب خوفها الشديد، تتنكر للحقيقة، وتحاول تلقين نفسها بأنها ما زالت لم تصل سن البلوغ.

ـ قد تشعر أنها نضجت من الناحية الجنسية وحان الوقت لكي تتصل بالجنس الآخر.

وبشكل عام، فانّ نظرة الفتيات لحالة الحيض والبلوغ تتوقف على سلبية أو ايجابية المفهوم الذي يحملنه في اذهانهن عنها وهو الأمر الذي ينبغي على الأمهات والمربيات تثقيف الفتيات بشأنه واعدادهن فكرياً ونفسياً لاستقباله مسبقاً باعتباره حالة طبيعية في حياة كل فتاة.

الفصل التاسع والعشرون
أهمية البلوغ

مقدّمة

البلوغ مرحلة هامة وحساسة في حياة كل انسان، ويعد ايذاناً بالدخول إلى عالم الرجال أو النساء. ويعتبر الحيض الأول بالنسبة للفتيات، بحسب علماء النفس، دليلاً قاطعاً على البلوغ والنضوج الجنسي، الذي يرافقه تغيرات نفسية وفيسيولوجية واسعة.

فبخلاف بعض التصورات التشاؤمية، التي تصف هذه المرحلة بالآفة الخطيرة، نعتقد انّ البلوغ نعمة الهية كبيرة تستوجب الشكر وتدعو إلى السرور لأن ابنائنا يكونون بذلك قد بلغوا درجة من النضج تؤهلهم للعب دور هام وفعال في الحياة الاجتماعية. واذا كان هناك بعض القلق الذي يساور الأمهات في هذا المجال، فمبعث ذاك هو خشيتهن من احتمالات تعرّض الأبناء للجنوح والانحراف بسبب ايحاءات والقاءات رفاق السوء والأشرار.

أهم مراحل الحياة

لقد وصف علماء النفس، وعلماء التربية بوجه خاص، مرحلة البلوغ بأنها أهم مرحلة في حياة الفتاة وذهبوا إلى انّ أغلب الفتيات الحساسات يبلغن خلال هذه الفترة اقصى درجات الانفعال العاطفي. وقد اعتبرها بعض علماء النفس، كـ(أوريس دولوم)، بأنها نقطة عطف في حياة الشخصية.

تدخل الفتيات، بدخولهن سن البلوغ، مرحلة جديدة في حياتهن تترك ايجابياتها أو سلبياتها آثاراً كبيرة على مستقبلهن في المدى البعيد والمتوسط. ففي بعض المجتمعات البدائية تنضم المراهقات، مع دخولهن سن البلوغ، إلى

مجتمع الكبار البالغين خلال مراسيم خاصة تقام لهذا الغرض.

ويعتبر البلوغ من وجهة النظر الاسلامية، ايذاناً بدخول الفتاة مرحلة جديدة في الحياة، ونسعى في مجتمعاتنا الاسلامية خلال ذلك إلى افهام الفتاة اصول وضوابط الحياة الفردية والاجتماعية الجديدة. ونثقّفها على ما ينتظرها من واجبات ومسؤوليات مستقبلية كأنسانة ناضجة ينبغي عليها ان تكون مستعدة للعب دور الزوجة والأم في الحياة من الآن فصاعداً.

ولادة جديدة

لقد عبّر بعض علماء النفس، ك(أستانلي هال) عن البلوغ باعتباره ولادة جديدة أو مرحلة انتقالية في حياة الشخص ينتقل خلالها إلى نمط جديد من الحياة تبرز فيه أكمل وانضج الخصائص الانسانية، ويصل خلاله الانفعال العاطفي والغريزي إلى أوجه.

فقد وصفت حالة البلوغ بالمرحلة الانتقالية لكون الشخص ينتقل خلالها من مرحلة الطفولة إلى مرحلة حياة الكبار حيث اهتمامات البالغين وميولهم ونظرتهم إلى جماليات الحياة الفردية والاجتماعية الناضجة وكيفية تعاملهم مع شؤونها.

وكذلك فقد وصف هذه المرحلة علماء آخرون باعتبارها حالة وسطية أو برزخية بين سن المراهقة والنضوج الجنسي الذي ما أن تبلغه الفتاة حتى تنتظم ميولها وعواطفها الغريزية وتستقر على ايقاع معين، وتشعر الفتاة على اثره بأنها قد أصبحت امرأة كاملة ومؤهلة للعب دور الزوجة والأم في الحياة الاجتماعية كأي امرأة ناضجة.

صعوبة التطابق

من المشكلات التي تواجه الفتيات في هذه السن صعوبة تطابقهن مع الوضع الجديد. فاللاتي لم يكنّ قد استعدن مسبقاً للدخول في هذه المرحلة، يجهلن كيف ينبغي عليهن ان يتصرفن بحيث لا يحسب سلوكهن بحساب تصرفات الأطفال، ومن هنا نجدهن، في بعض الحالات، يحاولن تقليد الكبار في سلوكهن دون جدوى.

انّ مرحلة البلوغ، بحسب موريس دبس، هي فترة الانفعال والتوتر العاطفي الحاد، وهذه المسألة بذاتها تساهم إلى حدود كبيرة في عجز الفتاة عن التطابق مع الأوضاع ونادراً ما تتمكن الفتيات من الانسجام والتطابق مع الاسرة والمجتمع بسهولة خلال هذه السن لوحدهنّ ودون رعاية ومساعدة أولياء الأمور والمربين.

ومن العوامل الأخرى لاستصحاب الكثير من الفتيات التطابق والتكيّف مع الحالة الجديدة، خلال هذه المرحلة، يمكن الاشارة إلى مختلف أنواع القلق والاضطرابات التي يتعرّضن لها على أثر بدء نشاط وفعالية الميول والغرائز الجنسية لديهنّ ورؤية نزول دم الحيض عليهن بشكل مفاجيء.

لكنه ومع ذلك، فان اعضاء هذه الفئة يتمكن من التكيّف مع الحالة الجديدة بمرور الزمن ويُلائمن أنفسهن مع ظروفها باعتبارها حالة طبيعية وإن كان بعضهن قد يواجهن مشكلات وصعوبات قليلة وكثيرة في بداياتها واثنائها.

تستجد لدى الفتاة، مع وفودها إلى مرحلة البلوغ الجنسي، ميول واندفاعات جديدة تأخذ طابع الأزمة في غالب الأحيان. وتتوقف سلبية أو ايجابية استجابة الفتاة لحالة النضوج الجنسي للوهلة الأولى على طبيعة نموها وعلى نوع الفهم الذي تحمله في ذهنها مسبقاً عن البلوغ والحياة النسوية.

وبطبيعة الحال، فانّ الانفعالات العاطفية العاصفة خلال هذه الفترة، تؤدي في بعض الحالات إلى اضطراب الفتاة وتشويش ذهنها وبالتالي ابعادها عن النظر إلى الأشياء بواقعية ومن ثم الوقوع فريسة لمختلف الأوهام والهواجس النفسية، ولا شك في تأثير عملية التثقيف والتربية الصحيحة في الحدّ من السلبيات التي تنطوي عليها هذه المرحلة من العمر.

تأثير البلوغ في الحياة

كما ذكرنا فيما مر، فانّ البلوغ يقلّب أحوال الفتيات ويغيّر مزاجاتهن وسلوكهن في الحياة، ويسبب لهن في كثير من الحالات، مشاكل وصعوبات عديدة سنتناولها في الفصول الآتية بالتفصيل، ومنها ما يتجلى على شكل الشعور بالاجهاد والضغط النفسي فيما يتعلق بملاءمة النفس مع الحالة، والمتطلبات الاجتماعية الجديدة.

ومن تأثيرات هذه الحالة، بلحاظ آخر محاولة الفتاة الاستقلال بفلسفة ورؤية خاصة عن الحياة وعن كيفية التعامل والتفاعل مع حاجاتها ومتطلباتها، والعمل على أن تأتي قراراتها ومواقفها وسلوكياتها تجاه مشاعرها واهتماماتها الفردية وكذلك تجاه المجتمع والآخرين متوازنة ورزينة ومنطلقة من حسابات مدروسة مسبقاً.

سرعة النموّ

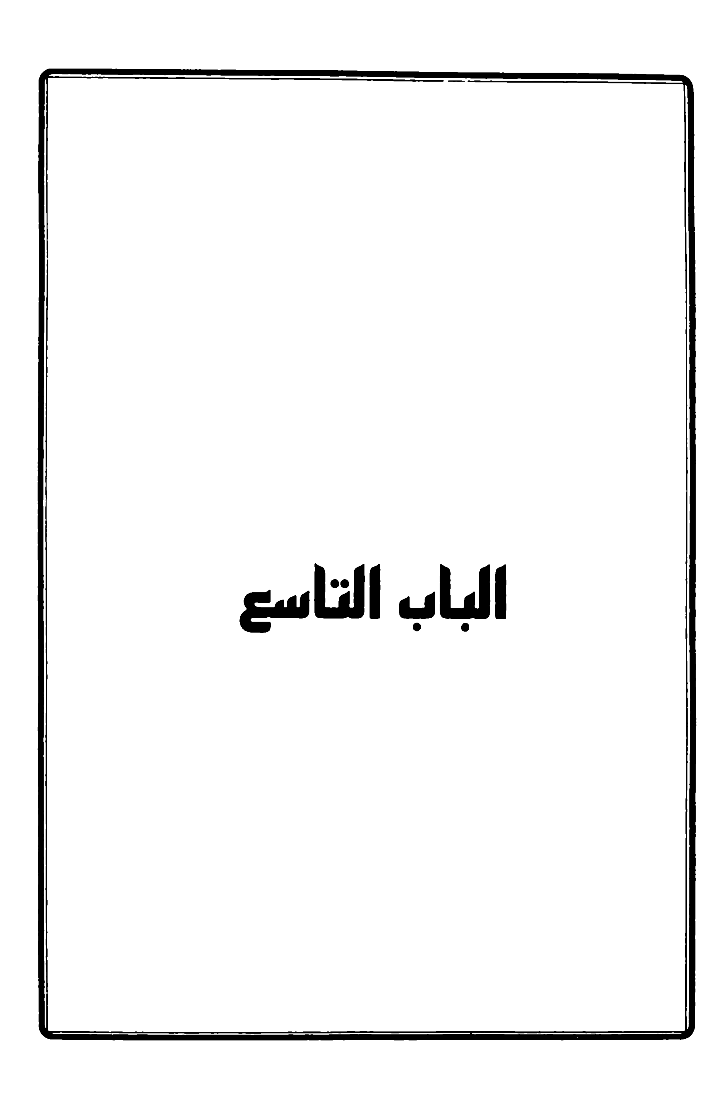
لقد وصفت هذه المرحلة من السن بفترة قُصر الثياب، وذلك كدلالة على سرعة ايقاع النمو وزيادة طول القامة بشكل مفرط، حَيث تصبح، مثلاً، الثياب التي كانت ملائمة للفتاة من حيث القياس قبل ستة اشهر، قصيرة وغير قابلة للارتداء بعد ذلك، وهو الأمر الذي يدعو بعض أولياء الأمور أحياناً إلى الاعتقاد،

خطأً، بأنَّ الثياب انما قصرت ولم تعد صالحة للارتداء من قبل الفتاة بسبب كثرة الغسل! فمنذ الولادة وحتى سن الخامسة يزداد الطول بمقدار ضعفين، ومن ثم يتنازل ايقاع نمو الطول شيئاً فشيئاً إلى ان يصل ادنى درجاته في سن العـاشرة. ويعاود النمو العضوي لدى الفتيات ايقاعه في سن الحادية عشر ويزداد نمو الطول لديهن في سني البلوغ بمقدار ٢٥ سنتمتراً[1]. ويستمر هذا النمو كذلك بعد البلوغ ويتوقف لدى البنات إلى حد ما في سن السادسة عشر، فيما يتواصل لدى البنين إلى فترات أبعد.

وبطبيعة الحال يواجه المراهقون، اناثاً وذكوراً، صعوبات عديدة على أثر تزايد ايقاع النمو في جهة الأطراف خلال فترة البلوغ، ومنها فقدانـهم السـيطرة على أعضائهم بشكل كامل عند الحركة والمشي وعند حمل الأشياء من مكان إلى آخر أو الاصطدام بها. كما وقد يصل بهم الأمر، نتيجة عجزهم عن ضبط حركاتهم أزاء الأشياء درجة يشعرون معها بالبلادة والحمق.

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص٢٣.



الباب التاسع

تمهيد

يشتمل هذا الباب على خمسة فصول تدور جميعها حول مرحلة البلوغ لدى الفتيات وما فيها من تحولات وتغيرات، عملنا على ذكرها وتوضيحها في سبيل تعريف المعنيين بظروفها وملابساتها بغية المساعدة على اتخاذ المواقف الصحيحة في التعامل مع حالاتها.

ففي الفصل الأول، تناولنا التحولات البايولوجية التي تحصل خلال هذه المرحلة، وتحدثنا فيه حول نمو الصفات الثانوية والتغيرات العضوية الايجابية إلى جانب ما يرافقها من أعراض مرضية مختلفة. وأشرنا إلى ما ينبغي اتخاذه من تدابير ومواقف فيالتعامل مع هذه المرحلة ومع الحالات التي تمر فيها الفتيات خلال ذلك.

أما الفصل الثاني، فيرتبط بالتحولات النفسية والسيكولوجية التي تظهر خلال هذه المرحلة من السن، ونتحدث فيه حول الأعراض والأمراض والأوهام النفسية، وحالة الذكاء والادراك وما إلى ذلك.

كما وبحثنا في الفصل الثالث حول التحولات العاطفية وتقلباتها، وانواع الميول والرغبات والمخاوف والأثارات النفسية التي تحصل خلال هذه الفترة وانعكاساتها المختلفة على نفسية الشخص وعلى طبيعة ـ سلوكياته تجاه الأسرة والوسط الاجتماعي.

وكذلك، فقد خصصنا الفصل الرابع للحديث حول التحولات الاجتماعية في هذه السن، وبحثنا فيه حول مرحلة النضوج الاجتماعي، وذروة علاقات أعضاء هذه الفئة بالآخرين، وميلهم إلى الجنس الآخر وإلى الحياة الزوجية، وحول سعيهم إلى ملاءمة أنفسهم مع النماذج الاجتماعية وطبيعة نظرتهم وتعاملهم مع أولياء الأمور.

وبالتالي، فقد أفردنا الفصل الخامس والأخير من هذا الباب لتناول التغيرات السلوكية وحالاتها المختلفة في هذه السن، وسعينا إلى مراعاة جانب الايجاز والاختصار في جميع جوانب البحث.

الفصل الثلاثون

التحولات البايولوجية

مقدّمة

إنّ مرحلة البلوغ، سواء لدى الأناث أو الذكور، ترافقها عادة تغييرات بايولوجية عضوية تنعكس اثارها على عواطف ونفسية الأشخاص فتتغير بفعلها طبيعة أفكارهم وتصرفاتهم بوضوح. وبحث هذه التغيرات من جميع جوانبها أمر بحاجة إلى دراسة مفصلة بذاتها وهو ما لا يتسع له المجال في هذه الأسطر.

التغيرات التي تحصل خلال هذه السن، تعود في أسبابها ـ بالأساس ـ إلى التطورات النفسية وإلى نشاط وفاعلية الغدد الداخلية، فالافرازات الهرمونية الخاصة بالبلوغ، تؤدي إلى تغييرات عضوية كبيرة لدى الطفل فيزداد نموه الجسمي بايقاع سريع جداً، وتكتسب هيئته، خلال فترة زمنية قصيرة، خواص ومميزات الانسان الناضج الكبير بكل معنى الكلمة.

نمو الصفات الثانوية

تكون الصفات الثانوية في هذه المرحلة قد نمت بشكل كامل واجتازت الفتاة الكثير من الحالات العاصفة، وشُبّهت هذه الحالة، التي نلاحظ معالمها في جميع أبعاد حياة الفتاة، بأمواج البحر التي تتجه بعد تصاعدها نحو الساحل.

ان الهرمونات الجنسية التي تترشح من المبيض تؤدي إلى زيادة النمو لدى الفتيات بايقاع متسارع وتدلل نتائجها على حصول قفزة واضحة في النمو العضوي لديهن، حتى لقد يصل أيقاع النمو لدى بعض أعضاء هذه الفئة درجة من السرعة، في ظروف معينة، تتضخم جثتهم على أثرها بشكل هائل، بحيث من يفارقهم لمدة سنة ومن ثم يلتقي بهم بعد ذلك يكاد لا يعرفهم للوهلة الأولى!

وبعبارة اخرى، تبرز خلال هذه المرحلة التطورات العضوية بشكل أوضح، وتشرع الغدد بالنشاط والفعالية، وتكتسب الفتاة هيئة الأنثى الناضجة من جميع الجوانب، وتوحي معالمها بأنها أصبحت امرأة كاملة بتمام المعنى، كما وتنمو إلى جانب ذلك الصفات الثنوية الأخرى أيضاً، وتعتاد الفتاة على تقبلها والتعايش معها كحالة طبيعية بالتدريج، بعد أن كانت تحاول اخفاء معالمها عبثاً في بداية سن المراهقة.

التغييرات العضوية

يبلغ معدل نمو الطول في مرحلة البلوغ حوالي ٢٥ سانتمتراً وبالطبع فإنّ هذه النسبة ليست كبيرة جداً لكنها تدعو إلى العجب والاستغراب لكونها تحصل بشكل مفاجىء ولا يفوتنا أن نضيف إنّ النمو يحصل على دفعات متقطعة ولكن بايقاع خاص وقد يتواصل نمو الطول لدى الفتيات حتى إلى سن التاسعة عشر، غير ان العظام تكتمل بناءاتها تقريباً في مرحلة البلوغ والنضوج الجنسي. وبشكل عام يتجه النمو نحو التنازل بشكل كبير من سن السادسة عشر فصاعداً إلى درجة يبدو وكأنه قد توقف تماماً.

وبخلاف حالة الذكور، الذين يترافق ايقاع النمو العضوي السريع لديهم مع البلوغ الجنسي، بعد البلوغ والحيض بالنسبة للأناث دلالةعلى انتهاء مرحلة النمو العضوي السريع لديهن وعلى اكتمال نضوجهن الجنسي[1].

ونضيف هنا الأشارة إلى إنّ المدة التي تفصل بين أول علامة من علامات البلوغ وبين اكتمال نضوج الجهاز الجنسي قد تستغرق حتى خمسة أعوام. وهذا الفاصل الزمني يؤشر الحد المتوسط، بل الأدنى لمرحلة البلوغ. وكلما كان سن البلوغ أقل كلما قصرت المدة الزمنية لهذه المرحلة.

---

(١) علم نفس اسبرلينج، ص ١٧٤.

وضع الدورة

المعروف إنّ كل دورة شهرية تشمل ٢٨ إلى ٣٠ يوماً، تقضي منها الفتاة عادة مدة ٨ أيام في حالة الحيض والبقية تكون فيها نظيفة .الا إنّ دم الحيض في السنتين الأولى يكون منتظماً وأقل من الحد المعتاد بالنسبة للكثير من الفتيات، وبالطبع فإن ذلك لا يؤشر مرضاً أو عيباً معيناً يستوجب القلق.

وتنخفض درجة الحرارة قبل حلول موعد الحيض بـ ٢٤ إلى ٣٦ ساعة، ويصل انخفاض الحرارة إلى ادنى درجاته في يوم نزول الحيض وتستمر هذه الحالة إلى أواسط أيام الحيض. ومن شأن ظروف العيش، والضعف، والقوة، والأمراض، أن تترك آثاراً كبيرة على طبيعة وموعد وانتظام الحيض لدى الفتيات.

ومن الأعراض التي قد ترافق الحيض، يمكن الأشارة إلى حالات الخدر في الأصابع، والنزيف في الأنف، والآلام الداخلية، التي يتم علاجها في الغالب بالركون إلى الراحة في أيام الحيض. كما وقد تواجه بعض الفتيات أحياناً حالة انقطاع دم الحيض وعدم نزوله في موعده، ومبعث ذلك يعود إلى أحد الأسباب التالية:

الحمل، اليأس، تغيير الموقع والمناخ الجغرافيين، العيش في المناطق المرتفعة و... ولا تعني هذه الحالة بالضرورة مؤشراً على وجود نقص أو عيب معين في الفتاة. ويمكن معالجتها بالتدريج بأزالة الظروف والعوامل المذكورة.

الشكل العام

يصبح الشكل العام لأبدان الفتيات عند البلوغ معتدلاً ونحيفاً، وتبرز بقع سوداء على بشرتهن، ويتخشب شعر رأسهن بنحو يستعصي على التصفيف

بمرونة، أما حركاتهن فتفتقد إلى الانسجام، بينما تنمو عضلاتهن ببطء، مما يؤدي إلى حركات غير متوازنة يحاولن اخفائها، وينزعجن بشدة من أي ملاحظة تقيمية لظواهرهن سواء كانت جادة أو استهزائية.

حَبّ الشباب

تبرز لدى الفتيات في سن المراهقة مجموعة من الأمراض الذاتية أو الاكتسابية التي تتسبب بطبيعتها في مواجهتهن صعوبات ومشاكل عديدة في حياتهن. ففي بعض الحالات تبرز مع اولى علامات الحيض، الأعراض المعتادة لحالة البلوغ، كحب الشباب في الوجه. كما وقد يرافق هذه الأعراض بروز آلام وورم في منطقة الصدر والأثداء، وهي أعراض تنتج بفعل التطورات الغددية الداخلية.

أجل، ففي هذه المرحلة تبرز على الوجه، والصدر، والظهر، حبيبات صغيرة تميل إلى الحمرة. وتعود بواعثها إلى زيادة نشاط وفعالية الغدد الدهنية الهادفة للحفاظ على طراوة ونعومة الجلد من الجفاف.

ولا يبدو انّ هناك اسلوباً علاجياً حاسماً لهذه الحالة سوى بعض الارشادات الصحية التي يمكن أن تحد منها مثل التأكيد على مراعاة النظافة، وعدم العبث بالمناطق المعنية، والامتناع عن تناول الدسومات والحلويات كثيراً. لكنها تزول وتنتهي لوحدها بمرور الزمن.

حالة السمنة

بعض الفتيات يتعرضن، في هذه المرحلة من العمر، لحالة السمنة المفرطة، فتزيد أوزانهن، بحسب بعض البحوث، بمقدار ٣٥ كيلوغراماً في بحر سنتين وهي زيادة غير طبيعية وتعتبر حالة مريضة.

فقد يزداد الوزن لدى الفتاة في هذه الحالة إلى درجة يتمدد لديها الجلد في منطقة البطن، وتظهر بقع حمراء حول الحوض. والمهم في هذه الحالة هو أنـها تساهم في خلق أرضية الترهل والشعور بالتفاهة لدى الفتاة.

وفيما يخص أسباب هذه الحالة، يمكن الاشارة إلى عوامل عديدة، منها الاختلالات العصبية، والأفراط في الأكل، والأهم من ذلك سوء الهضم، والأضرار التي تلحق بالغدد الداخلية، خصوصاً غدة التيروئيد، والغدد الجنسية، وغدة اا(هيبوفيز) والغدد فوق الكليوية. وبشكل عام، فأنّ للتمثيل والامتصاص الغذائي في الجسم دور رئيس في هذا المجال.

الجدير بالذكر هنا هو انّ زيادة الوزن في حالة السمنة قد تستمر وتتفاقم بشكل خطير في حال عدم المبادرة إلى معالجتها والحؤول دونها. ومن الحكمة اتخاذ الاجراءات اللازمة للوقاية من مثل هذه الحالة قبل حصولها، والّا فانّ علاجها بعد وقوعها يكون محفوفاً بصعوبات ومشكلات غير قليلة.

الأمراض

تواجه الفتيات في هذه السن حالات مرضية عديدة لا يسع المجال لذكرها جميعاً هنا، وسنكتفي بالاشارة إلى بعضها بحسب الأهمية. ومن هذه الحالات السمنة، وانسداد الشهية والسل، والغدة الدرقية، وحب الشباب ،وسوء الهضم، وآلام العمود الفقري، وبرودة الأطراف، وتغيّر شكل السيقان، وتسطح كفّ القدم، والصداع والدوار، وبروز اا(البومين) في الدم، واختلال نمو الطول، وحالة الاختناق، والحساسية، والروماتيسم القلبي، اختفاء الصوت، وخدر الجسم، والشعور بالاجهاد المفرط، والصفار و...

مشاعر الفتيات

هناك عوامل كثيرة تنعكس آثارها على نفسية ومشاعر أعضاء هذه الفئة السنية، منها اتساع الكفلين، وسرعة نمو الأثـداء، أو تأخـر نـموها، وانـقطاع الحيض، وآلام الدورة الشهرية واضطراباتها و...

وقد تتسبب العوامل المذكورة أحياناً في خوف واضطراب بعض الفتيات وتؤدي إلى أن يفقدن ثقتهن بأنـفسهن، وتـتغلب عـليهن مشـاعر الخـجل مـن التطورات العضوية الجديدة لديهن ويحاولن اخفاء معالمها بشتىٰ الوسائل. كما وقد يشعر بعض آخر منهن بالنشاط والحيوية عند التغيرات الأنثوية.

الفصل الحادي والثلاثون

التحولات النفسية

مقدّمة

قلنا إنّ البلوغ هو الحد الوسط أو الفاصل بين مرحلتي الطفولة والنضوج الذي تبرز فيه العلائم والدوافع الجنسية. ونضيف إنّ هذه المرحلة هي فترة ذروة التفاعلات والتجاذبات النفسية لدى الشخصية. وقد شبهها افلاطون بنوع من السكر والثُمل الخفيف، فيما وصفها آخرون بنوع من التغرب عن الذات والابتعاد عن واقعيات الحياة.

في الواقع إنّ من الخطأ تحديد حالة البلوغ بقضية النمو الجسمي والغريزي، لأن المسألة اعقد من ذلك بكثير. فعلى أثر التطورات والتغيرات البيولوجية والفيسيولوجية التي تحصل خلال هذه الفترة، تفد الشخصية إلى مرحلة جديدة من الحياة تضجّ بمختلف الضغوط النفسية والاجتماعية. ونحن نشير إلى بعض هذه الحالات فيما يأتي من البحث.

الأوضاع النفسية

إنّ التشبيه الذي أوردناه عن حالة المراهقة عند البلوغ فيما مر من البحث ما زال باقياً بقوته.

فحالتها كالموجة المتجهة بعنف نحو الساحل بعد تصاعدها في وسط البحر. وبهذا فانّ كل شيء في وجودها متوتر وعاصف ومحتقن، لكنها تمر في الوقت ذاته بحالات مدّ وجزر، فتارة تكون هادئة أليفة، واخرى ثائرة عنيفة.

الفتيات في هذه السن يستغرقن عادة في البحث عن ذواتهن في عوالمهن الخاصة، ويرغبن بالاختلاء بأنفسهن والتفرغ للتفكير بعيداً عن العالم الخارجي،

ويرحبن بكل فرصة تتاح لهن في هذا المجال. وإنّ السبب وراء هذا النـوع مـن الميل والاندفاع المفرط نحو الاستغراق في الذات لدى هذه الفئة يعود الى عدم اكتمالهن لحالة الانسجام والتناغم والنضوج من الناحية النفسية.

وتتراوح مشاعرهن عند رؤية دم الحيض بين المفاجئة والصدمة، والفرح والسرور. فالشعور بالمفاجئة والصدمة يحصل عادة لأولئك اللاتي لا يعرفن شيئاً عن هذه الحالة مسبقاً. وهذه الحالة وحالات أخرى مشابهة لها تقلّب بـطبيعتها مزاج الفتيات وتنعكس آثارها على شكل حساسية واعتمالات نفسية مختلفة.

الأعراض النفسية

على أثر الضغوط والأحاسيس المؤلمة والمقلقة، تصاب بعض الفـتيات باضطرابات نفسية شديدة يعجزن عن تحمّلها، وبالتالي تبرز هذه الاضطرابـات المتراكمة على شكل امراض نفسية.

أجل، فالبلوغ ظاهرة طبيعية، لكنه قد يصاحبه في بعض الحالات انفعالات وتوترات عصبية عديدة بالنسبة لأولئك الذيـن لم يسـتعدوا له، وفـي حـالات اخرى، يرافقه اختلالات اخرى كالاكـتئاب، والاغـتمام، وحـتى الاضـطراب النفسي.

والواقع إن للافرازات الغدية اثر رئيس في التقلبات النفسية.

وفي بعض الحالات يُضاف إلى هذه الأعراض عارض آخر، بحيث تولد الاختلالات والاضطرابات النفسية لدى الفتاة شـعور بأنـها مـصابة بـنوع مـن الاعتلال والمرض النفسي ويُعد مثل هذا الشعور عاملا من العوامل التي تـفاقم الانفعالات والاختلالات النفسية.

الأوهام والخيالات

ونتيجة للتحولات العضوية والنفسية ونمو الأطراف، قد تكف الفتاة عن استخدام يديها وأعضائها الأخرى، وينشغل ذهنها كلياً بهذه الحالة الجديدة، كما وقد يتولد لديها أحياناً هذا الوهم وهو أنها تفتقد إلى الجمال والرشاقة وبالتالي تصاب بعقدة الشعور بالحقارة، أو على العكس من ذلك؛ تتصور أنها أكثر جمالاً ورشاقة من الأخريات وتتوقع من الآخريات أن يعاملنها بنوع خاص من الاحترام.

ففي سن ١٤ أو ١٥، تشرع الفتيات بنسج الخيالات والأوهام الساحرة التي يلعبن فيها دور البطل، ويتمثلن انفسهن في الغالب نجمات جميلات أو أثيرات لدى الجنس الآخر. بمعنى انهن يملن في حياتهن اليومية إلى الاستغراق في أحلام اليقظة. ومن هنا فإننا نلاحظ لديهن حالات من الميل إلى الكذب ونسج الأساطير في احاديثهن[1].

وفي هذه السن، قد تصاب الفتيات بمرض البارانويا وهو من الأمراض الشخصية، ومن أعراضه تضخم الـ(أنا)، ويحصل في دور البلوغ. كما وقد تبرز الفتيات، في بعض الحالات، في سن ١٢ ـ ١٦، تعصبهن تجاه أفكارهن وتصوراتهن ومجموعاتهن ومعاييرهنّ. وتتمظهر هذه الحالة على شكل عداء، ونقد، والحاق الأذى بالاخرين.

الذكاء والإدراك

لا يعني الاختلال النفسي، الذي تتعرض له الفتيات في هذه السن، إنهن يعانين هبوطاً في مستويات الذكاء. فعلى العكس من ذلك، تتمتع الفتيات في هذه

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص٤٨.

الفترة بأعلى مستويات الذكاء والادراك، حتى أنهن يصلن خلال ذلك إلى مرحلة القدرة على الاستدلال المنطقي في آرائهن وافكارهن.

إنّ استدلالاتهن هي من النوع الاستقرائي في الغالب، وهذه الحالة تدل بذاتها على روح النقد والفضول العلمي لديهن. الا أنه للأسف فانّ نفسياتهن الانفعالية والمتوترة لا تسمح لهن أن يفكرن ويقررن بشكل صحيح. وفي حال توفرت لهن ظروف ايجابية للتفكير والتقرير الصحيحين، فانهن قادرات على التفكير السليم وعلى اتخاذ القرارات الصائبة في مختلف الشؤون.

فمنذ مرحلة البلوغ وصاعداً، يتجه الذكاء نحو النمو والتفتح لدى الأشخاص، وتختلف درجات نمو الذكاء من شخص إلى آخر، وتبرز في هذه الأثناء القابليات والاستعدادات الفكرية والتخصصية الخاصة الواحدة تلو الأخرى. واعتباراً من نهاية سن ١٢ عاماً، تبرز لدى الفتيات اهتمامات نحو العمل بحاجة إلى توجيه وتنمية، وفي حال عدم الاهتمام بها واشباعها، فانها قد تنقلب إلى حالة من الترهل والأدبار عن العمل.

الاختلالات لديهم

وُصفتْ مرحلة البلوغ بالمرحلة العاصفة في حياة الأشخاص، حيث يُلاحظ فيها نوع من القلق والاضطراب النفسي الناتج من الآلام ومن العجز عن التكيّف مع الأوضاع السائدة في الواقع، والتي تبرز بالتالي على هيئة فقدان التوازن والتطرف السلوكي.

ويقترن الكثير من الاختلالات النفسية مع اعتلالات جسمية كالصداع، والتقيوء، وضعف البصر، ويصاحبها كذلك في بعض الأحيان حالات من قبيل العطل في معامل الذهن، والذاكرة، والشعور باليأس والاحباط، وتضخم الذات،

والهذيان، والاستهتار، والتشكي، والبكاء و...

ومن أهم الاختلالات النفسية أو أخطرها، يمكن الاشارة إلى حالات الهياج والتوتر العصبي التي قد تؤدي في بعض الأحيان، إلى الاصابة بالشلل أو بالسكتة القلبية، وقد تؤدي كذلك في أحايين اخرى إلى الشعور بالحقارة والتفاهة، والاجهاد، والضحك أو البكاء لدون ما سبب ظاهر.

ولعل من أهم الاختلالات في هذه السن حالة الاكتئاب والأطواء على النفس والتفكير بالانتحار، التي تحصل في الغالب لأولئك الذين كانوا يعانون مشاكل وصعوبات في حياتهم الشخصية والعائلية أو كانوا يشعرون باليأس من تحقق أمالهم وتطلعاتهم. وهذه الحالة تبرز عادة في سن ١٦ ـ ١٨ عاماً.

الأمراض النفسية

هناك أمراض نفسية عديدة تصيب الأشخاص في هذه السن، ومن أهمها:

ـ مرض الكآبة الذي يساهم في خلق دواعي الأحباط واليأس من الحياة.

ـ الاضطراب النفسي الذي يتجلى بمختلف صور الأمراض النفسية ويبدأ من الاصابة بالأوهام، والهذيان، حتى الانطواء على النفس والانقطاع عن العالم الخارجي.

ـ مرض الهستيريا الذي هو خاص بسني ما بعد البلوغ ونادراً ما يصاب به الاشخاص في هذه المرحلة.

ـ ومرض الكذب، والسرقة، والثرثرة و...

انّ من شأن هذه الأمراض أن تولد متاعب ومشكلات كثيرة للشخص ولأولياء الأمور والمربين. ولا بد من توفير ظروف وأجواء مناسبة وهادئة للفرد من أجل الحؤول دون اصابته بمثل هذه الأمراض. ويمكن معالجة مثل هذه

الحالات بالارشاد والتوجيه إذا كانت خفيفة، وتستدعي الضرورة مراجعة الطبيب لعلاجها اذا كانت حادة.

وبعبارة جامعة، من الضرورة بمكان أن يبادر أولياء الأمور والمعنيون بالتربية إلى إعداد المراهقين فكرياً ونفسياً لهذه المرحلة قبل الدخول فيها، وأن يعملوا على ازالة كل ما يمكن أن يكون عائقاً في طريق نموهم وحياتهم الطبيعية.

الفصل الثاني والثلاثون

التحولات العاطفية

مقدّمة

لقد وصفت مرحلة المراهقة بفترة الانفعال وغليان المشاعر والعواطف. وكلما اقتربت الفتيات من سن البلوغ، كلما اشتدت هذه الانفعالات لديهن واتسعت مداراتها بأطراف، لكنها تبدو قلقة وغير مستقرة على حال في بدايات الدخول في مرحلة البلوغ، الّا أنها تنضج بالتدريج وتأخذ ايقاعاً ثابتاً في نهاية هذه الفترة.

انّ العواطف المتشعبة واتساعها لدى الفتيات، خلال هذه الفترة، تولد بطبيعتها لديهن حالات من الفوضىٰ واللانظام في السلوك وفي القيام بالوظائف العضوية. وتكتسب الأخيلة والأفكار والتصورات منحىً ولوناً آخر قد تخلق في بعض الحالات مشاكل ومتاعب لنفس الشخصية وللمحيطين بها. وتصطبغ الصداقات والعداوات بالنسبة لأفراد هذه الفئة بصبغة عاطفية. تبتعد عن التعقل والمنطقية.

فمن جهة تلعب التغييرات الهرمونية لدى المراهق دوراً رئيسياً في خلق حالات الانفعال والاضطراب لديه، ومن جهة اخرى، تساهم الخبرات التي يجربها في تحديد شدة ونوعية العواطف والأحاسيس التي تداهمه.

تغيرات العاطفة والمشاعر

تتولد في هذه المرحلة من الحياة، مشاعر جديدة لدى الشخص من قبيل الحب، والبغض، والاحتقار، والتجليل. ولا يعود الشخص يحب وسائل اللهو أو اللعب كالأطفال الصغار، وإذا أحب شيئاً أو رداءً معيناً فأنما يحبه لأنه يعتبره

وسيلة لألفات الأنظار او لاكتساب محبة وصداقة الآخرين.

وخلافاً لمرحلة الطفولة، يستجد لدى الفتيات خلال هذه المرحلة شعور بالعطف والشفقة تجاه الآخرين. وتكتسب العداوة والحب لديهن منحىً منطقياً، ويسعين إلى أن يضبطن انفعالاتهن بحيث لا تخرج ردود أفعالهن على الأشياء عن معايير العقل والمنطق، واذا أحبن شخصاً فانما يحبنه انطلاقاً من حسابات وأدلة منطقية يقتنعن بها.

ومن المسائل الأخرى لحالة الاضطراب السلوكي والعاطفي لدى أعضاء هذه الفئة، يمكن الاشارة إلى مشاعر: الانقباض النفسي، والفرح والسرور، وسرعة الانزعاج والاستياء من فعل أو كلام الآخرين، والهياج العصبي الناتج عن حؤول الأسرة أو المدرسة أو المجتمع دون تحقق رغباتهم وميولهم وطلباتهم المتطرفة أو غير المنطقية، وكذلك ميلهن إلى أن يكونوا أثيرين ومرغوبين لدى الآخرين، وتعلقهم بمواطن الصبا والقاطنين فيها.

الميول والرغبات

فبمقدار ما يقترب المراهق من مرحلة البلوغ أو يدخل فيها، تتغير بنفس المقدار أو أكثر آراءه ورغباته في الحياة.

إنّ أوضاعه العاطفية تتغير، وتتغير معها رغباته ومعاييره الفكرية تجاه الأشياء. فمع إن مراحل النمو الفكري متقاربة جداً لدى الذكور والاناث، الّا أنّ مستوى الرغبات ونوعياتها تختلف لدى الجنسين.

إنّ مرحلة البلوغ والنرجسية مرحلة حادة وشديدة للغاية، ولا توجد مرحلة اخرى في الحياة تشتد فيها الانفعالات النفسية والعاطفية كما في دور البلوغ. وتتجلى حالة النرجسية وحب الذات بوضوح في هذه المرحلة من خلال

الاهتمام الزائد عن الحد من قبل الشخصية بذاتها وبهندامها إلى الدرجة التي تستمتع بشدة في الوقوف أمام المرآة وتأمل الذات.

ترجع العواطف في هذه السن إلى دوافع جنسية تتزايد وتشتد مع حلول مرحلة البلوغ، وهي بحاجة، بطبيعة الحال إلى رعاية وتوجيه متواصلين من أجل أن تنضج وتأخذ منحىً ايجابياً بالتدريج. انّ الميول الغريزية لدى الفتيات ليست ذات جذور عميقة في الغالب وغير ثابتة على حال معين. فهؤلاء قد يحبنَ معلماتهن وينزعجن بشدة إذا لاحظن تودد فتاة اخرى اليها، حتى لقد يضطربن ويرتجفن اذا ما شاهدن المعلمة التي يحببنها، تتحدث مع رجل ما.

أجل، فانّ التغييرات، التي تحصل في مرحلة البلوغ، تترافق مع الخصائص الفسلجية والميول الاجتماعية والعاطفية، أو بعبارة أخرى مع الرغبات والميول الجنسية، وتستمر في المراحل البعدية أيضاً. وتلعب الهرمونات الجنسية ومستوى أو درجة افرازاتها، دوراً استثنائياً في تحديد وتعيين نمو الرغبات والميول لدى المراهق تجاه مختلف القضايا. كما ولمسألة الفهم والادراك لدى الاشخاص تأثير مباشرة في تعيين نوع الميول والرغبات.

انفعالات مرحلة البلوغ

قلنا إنّ أوضاعهن العاطفية غير مستقرة، وتتسم بالتغير والتقلب وحتى بالتناقض في بعض الحالات. فهن سريعات التقلب والتحول عاطفياً من حالة انفعالية إلى اخرى معاكسة أو مختلفة. فتارة يكن راضيات عن انفسهن، واخرى محبطات يائسات، وحيناً خاملات هادئات، وفي آخر متوثبات ناشطات.

فالكثير من الفتيات تتولد لديهن، قبل حلول موعد العادة الشهرية بأيام، حالة من الانفعال والاثارة والاضطراب العاطفي، خصوصاً لدى اولئك اللاتي

يواجهن حالة الحيض لأول مرة أو رضى على ذلك لديهن سنة أو سنتين. كما ومن شأن الأوضاع العائلية المضطربة، وعلاقات الأبوين غير الطبيعية، وحالات الشجار والمهاترات اللفظية، أن تساهم بشدة في زيادة انفعالات وتوترات المراهق وتعيق نموه الطبيعي.

تختلف درجة ونوع الانفعالات النفسية من شخص إلى آخر فإلى جانب الظروف البيئية، والنفسية، والثقافية، هناك عامل آخر له دوره المؤثر في اثارة الانفعالات والتوترات النفسية، وهو مسألة نزول دم الحيض حيث يكون مضطرباً وغير منظم في بداياته.

وفي بعض الحالات، تكتسب الاختلالات العاطفية والانفعالية شكلاً مرضياً، نلاحظ نموذجاً منه لدى الفتيات على هيئة ردود فعل هستيرية. تتمثل بحالات البكاء بصوت عال، والصراخ والضجيج، ونوبات الضحك، والشغب، الشجار مع أعضاء الأسرة أو التخاصم مع الصديقات.

الحساسية في مرحلة المراهقة

ان مرحلة البلوغ هي مرحلة الحساسية المفرطة في حياة الأشخاص حيث سرعة الاثارة والانزعاج والاستياء من أبسط الأشياء. وإنّ الوضع النفسي للمراهق أو المراهقة في هذه السن هو من الشفافية بحيث يمكن تشبيهه بزجاج الكريستال الشفاف الذي يمكن أن يتحطم إذا تعرّض لصدمة أو ضربة خفيفة. وافراد هذه الفئة، بحسب موريس دبس، اسرع تأثراً من الآخرين وأكثر حساسية حتى من الصغار ذوو العشرة اعوام. فكناية أو اشارة بسيطة كافية لأن تولد لديهم عاصفة من الاثارة والانفعال. فقد يحصل، في بعض الحالات، أن تمتدحوا شخصاً ما أمام أحد أفراد هذه الفئة فتجدوا الأخير قد تغيّر لونه من الحسد

والانزعاج وأخذت الغيرة تأكله إلى درجة الغضب والانخراط في البكاء.

ويتسم المراهقون بحساسية خاصة تجاه الحب في مرحلة البلوغ، بحيث ان تعلقهم بالحب يصل درجة من الانشداد اليه تجعلهم يتصورون أن بامكانهم تغيير وجه الحياة والتغلب على جميع الموانع والمشاكل فيه بشكل اعجازي اذا ما حظوا بالحب. ويظلون يسبحون في بحر هذه الأحاسيس والتصورات ويحاولون تحويلها إلى الواقع الفعلي، ولأن مثل هذا الشيء غير قابل للتحقق، فانهم يتأثرون نفسياً ويصابون بالاحباط والقلق الشديدين.

وبخصوص اسباب وبواعث هذه الحالات وتفاقمها، يمكن الاشارة إلى توترات المزاج، وتقلبات الوضع النفسي، والافرازات الهرمونية في الدم، والتعرض للضغوط النفسية والشعور بالنبذ من قبل الآخرين، والابتعاد العاطفي عن الوالدين، وحالات الشجار والمهاترات بين الوالدين، والخوف من ارتكاب الاخطاء الاجتماعية والتعامل مع الناس، والسذاجة في العلاقات و...

ازمات مرحلة البلوغ

انّ مرحلة البلوغ هي فترة الأزمات والتوترات النفسية في الحياة، حيث يتعرض الشخص فيها لحالات متأزمة مختلفة كالشعور بالحقارة، والخجل، والغضب، والخوف من البوح بالأفعال الخاطئة، والشعور بالبغض، والقلق، والتوترات العصبية التي نلاحظ نماذج منها لدى الكثير من الفتيات تتعرّض الفتيات الصغيرات في سن التكليف أحياناً لنوبات من الضحك ترافقها تشنجات وانفعالات عصبية حادة. وعند بروز هذه الحالة تنعكس أثار التوترات الناجمة عنها ـ فضلاً عما تسببه من اختلالات في الأعمال والحركات ـ على النشاطات الفكرية والثقافية فتشلها وتعطلها. وهذه الحالة تكثر عادة عند اولئك اللاتي

يعانين من الضعف.

وفي سن البلوغ تشتد العواطف لدى المراهقين إلى درجة يمكن وصفها بالالتهاب، ويزداد لديهم الميل إلى الحياة الأسرية الخاصة على أثر التغيرات الجسمية والنفسية التي تطرء عليهم. والجدير بالذكر هنا هو انّ الفتيات يطلع في وجوههن بقع كثيرة مما نسميها بحب الشباب قبل حلول موعد العادة الشهرية، ومن شان حالات القلق والاجهاد المفرط، خصوصاً على أعتاب الامتحانات، أن تساهم في زيادة هذه البقع لدى أعضاء الجنسين.

الاضطرابات

من الحالات التي تلفت النظر لدى الفتيات، منذ مطالع سني المراهقة وحتى سن ١٥ عاماً، حالة القلق والاضطراب وفقدان التوازن النفسي، ومن مظاهرها الضحك الشديد دون ما سبب ظاهر والغضب الشديد لأتفه الأسباب، الشعور باليأس والاحباط ومن ثم العودة إلى الوضع السابق. وقدتظهر هذه الحالة قبل موعد حلول الحيض بأيام على شكل القلق والخوف من الالتهاب، والتشوش الذهني، والشعور بالغثيان وما شابه. وفي هذه الحالة يجب استشارة الطبيب.

وفيما يخص بواعث الاضطراب لدى الفتيات هناك عوامل عديدة لها مدخلية في ذلك. فأحياناً نفس الأمهات يتسببن في تعرضهن للاضطراب، فيؤدي مثلاً، خوفهن وقلقهن من احتمال تأخر الحيض لدى بناتهن عن موعده المعتاد إلى أن تنتقل هذه الهواجس إلى البنات على شكل قلق وخوف واضطراب. وتارة ينتج الاضطراب لدى الفتاة لشعورها بفقدان موقع الأثرة والمحبوبية عند الوالدين والمربين والصديقات.

كما وقد تتعرض الفتاة إلى الاصابة بأمراض معقدة، على أثر فقدها لصديقة

أثيرة لديها، حتى لقد تصاب بحالة من السوداوية وسوء الظن نتيجة جفاء الصديقة وعدم اخلاصها في علاقتها معها، الأمر الذي يولد لديها القلق والاضطراب. وفي أحايين اخرى قد تساهم الميول والهواجس الجنسية المفاجئة في تعرضها لاضطرابات نفسية عديدة.

مسألة الحب لدى الفتيات

من شأن البلوغ الجنسي أن يولد لدى الأشخاص أرضية الحب الخالص والانشداد العميق نحو الآخرين. وبالطبع فان الاسلام لا ينظر إلى هذه الحالة باعتبارها شيئاً سلبياً، وانما يعتبرها مسألة عادية ناتجة عن طبيعة التكوين الغريزي للانسان.

تنجذب الفتيات إلى القضايا الجنسية في سن ١٤ ـ ١٦ عاماً، ويظهر ذلك من خلال ميلهن واهتمامهن بالجنس الآخر. الا إنّ هذا الاهتمام أو الحب يتجه في بداياته نحو اجسامهن بشكل مفرط والاستمتاع بتأمله، ومن ثم يتطور هذا الشعور في مراحل لاحقة إلى الرغبة في الاتصال بالجنس الآخر ويجب على أولياء الأمور في هذه الحالة تلبية هذه الرغبة في بناتهم بالمبادرة إلى تزويجهن.

وبشكل عام ينقسم الحب إلى قسمين. قسم يقوم على الحب والتفاهم والانسجام الخالص أو ما يعبّر عنه بالحب العذري الناتج عن الانشداد إلى الجمال، وقسم آخر يتجه الاهتمام فيه إلى الجنس ويمتزج مع الأمور ويؤدي بالنتيجة إلى الرغبة في الزواج وبتشكيل الأسرة. إنّ الحب المستمر والحقيقي للجنس الآخر يحصل في سني ما بعد البلوغ. يقول هاوفيلد بهذا الشأن: إنّ الميل الحقيقي والجاد نحو الجنس الآخر يحصل في مرحلة النضوج الجنسي وفي حدود سن ١٦ ـ ١٨ عاماً.

الفصل الثالث والثلاثون

التحولات الاجتماعية

مقدّمة

إنّ مرحلة البلوغ هي مرحلة التحول الشامل في حياة الأشخاص. ورأينا فيما مر كيف انّ الانفعالات والتقلبات العاصفة تستولي على كيان أعضاء فئة المراهقين وتشمل جميع أبعاد حياتهم. ومن شأن دراسة كيفية النمو لدى هؤلاء، خصوصاً في البعدين العاطفي والنفسي، ان تفتح بوجه الباحث نوافذ يطل من خلالها على عالمهم.

ومن هذه التحولات هو ما يحصل في الأبعاد الاجتماعية في حياة المراهقين، حيث تتغير طبيعة الصداقات، والألفة والانسجام مع الآخرين، والعلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة. كما وتكون الأرضية خصبة في هذه المرحلة من العمر لبروز المفاسد والمشاكل، وتزداد احتمالات الانزلاق إلى مختلف الانحرافات الخلقية والسلوكية ذات العواقب الوخيمة على مستقبل الأشخاص.

البلوغ الاجتماعي

تعتبر مرحلة البلوغ الجنسي لدى الفتيات، خصوصاً في سني ١٣ و ١٤، مرحلة البلوغ الاجتماعي لديهن أيضاً، حيث ينخرطن في عالم الروابط والعلاقات الاجتماعية بشكل فاعل، ويبلغ اهتمامهن بكسب الصداقات والزمالات درجة يندفعن إلى تقليد الجماعة (الشلة) في الملبس والمأكل وفي طريقة الكلام والسلوك.

فالفتاة في هذه المرحلة، ترغب في العيش وسط الجماعة، وفي الانسجام

والتآلف مع الآخرين .وبالطبع فان هذه العلاقات تكون واسعة في مستواها العامة ، لكنها تكون محدودة إلى حد ما في مجال العلاقات والصداقات الخاصة التي تتميز بالخلوص والصدق والانشداد العاطفي . وليست الصداقات في هذه السن من النوع الطفولي الذي يهدف إلى قضاء الأوقات باللهو واللعب الصبياني وحسب ، وانما تقوم على اساس الادراك المتبادل والمصالح المشتركة .

ذروة العلاقات

إنّ مرحلة البلوغ هي مرحلة ذروة الميل إلى الحياة الاجتماعية التي تمتاز عن دور الطفولة في إنّ الشخص يكون فيها مهيئاً وراغباً نفسياً في الانخراط في حياة الجماعة والانسجام والتآلف الفكري والذوقي مع الآخر فيما يتصل بعلاقات الصداقة الخاصة، واحترام آراء ووجهات نظر الآخرين في العلاقات العامة والالتزام بالأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع .

ففي الجانب الاجتماعي ، يتدرب اعضاء هذه الفئة بالتدريج على كيفية جذب بعضهم إلى بعض ، وعلى كيفية العمل معاً من أجل الصالح العام وغض النظر عن الخلافات الشخصية في سبيل تحقيق الأهداف المشتركة.

ويتميز الفضول الاجتماعي لدى الفتاة في هذه السن في أنها ترغب في الذهاب إلى كل الأماكن ، والاتصال بمختلف الأشخاص والمجاميع ، وأن تنال رضى الجميع . وبالطبع فانها تميل بالأساس إلى الاتصال بقريناتها في السن واقامة علاقات الصداقة معهن دون غيرهن ، لكنها ، في بعض الحالات ، تقيم علاقات مع اللاتي يكبرنها في السن أيضاً وحتى مع العجائز ، وذلك من أجل تلقي التوجيهات منهن والاستفادة من خبراتهن في الحياة .

الاهتمام بالحياة الأسريه

تعد بدايات الدخول إلى مرحلة البلوغ الجنسي بالنسبة للفتيات جرس انذار يُشير إلى اخطار محتملة، حيث تراودهن في هذه الأثناء أفكار وهواجس توحي لهن بوجوب الزواج والبدء بتشكيل الحياة الأسرية. ويزيد في الحاح هذه الهواجس والأفكار لدى الفتاة، ما تلاحظه في أوضاع قريناتها في السن، وما يتناهى إلى سمعها من أحاديث عن الحياة الخاصة للنساء المتزوجات، وكذلك ما قد تواجهه من ملاعبات وتحرشات من قبل الآخرين.

ففي حوالي سن الخامسة عشر، ينصب اهتمام الكثير من الفتيات على الحياة الأسريةالخاصة وعلى الأعراف والقيم السائدة فيها، وتنشغل اذهانهن بمحاولات تقييمها وتكوين رؤىً بشأنها. ويمكن تزويدهن بالمعلومات المفيدة في هذا المجال من خلال عمليات التوجيه والارشاد المباشرة أو غير المباشرة، وخلق ثقافة صحيحة وايجابية لديهن حول جماليات واخلاقيات الحياة الزوجية.

وبعبارة اخرى، فلأن طبيعة تفكير الفتيات حول الحياة الأسرية والزوجية يمتاز بالمثالية المفرطة التي تصل في بعض الحالات إلى درجة الانطباعات الخيالية البعيدة عن الواقع، لذا يتوجب على أولياء الأمور والأمهات بشكل خاص، المبادرة إلى الانفتاح عليهن وتزويدهن بالمعلومات الصحيحة التي تنسجم مع واقع الحياة الزوجية، وذلك من أجل الحؤول دون ما يمكن أن يتعرضن له من صدمات واحباطات نفسية في المستقبل من حياتهن الأسرية.

الميل إلى الزواج

وإلى جانب بعض الميول والرغبات الغامضة التي تتولد لدى الفتيات في هذه السن، يلاحظ لديهن ميل واضح نحو الزواج والجنس الآخر. ويبلغ هذا

الميل لديهن في بعض الأحيان من الشدة درجة يكنّ على استعداد للتضحية بكل شيء من أجل بلوغ ما يرمين اليه حتى لوكلفهن ذلك ترك الأسرة والانقطاع عن الدراسة ، والحالة الأخيرة تحصل في الغالب لدى اولئك اللاتي يعانين من مشاكل في داخل أسرهن .

أجل ، فانّ الميل إلى الجنس الأخر (الذي يجب أن ينحصر في اطار الزواج) يتغلب على جميع الميول الأخرى لدى الفتاة في هذه السن .ولا تعير الفتاة أهمية لأي نوع من التذكير أو الانتقاد في هذا المجال ، ويزعجها كثيراً مزاح الآخرين واشاراتهم حول علاقاتها الخاصة. الّا أنه مع ما تمتاز به هذه الفتيات من ميل شديد نحو الجنس الآخر ، فانهن يخشين الاتصال به ، وهذه الحالة هي من العوامل التي تحد من الاندفاع بهذا الاتجاه وتعد من خصوصيات مرحلة البلوغ لديهن.

من الضروري التعامل مع هذا النوع من الميل باعتباره حالة طبيعية ، والعمل في الوقت ذاته من أجل توجيهه الوجهة التي تصب في صالح سعادة الفتاة في حياتها المستقبلية ، وذلك من خلال تنمية قابلياتها الفكرية والثقافية ومهاراتها العملية بحسب التغيرات الفكرية والنفسية التي تمر بها في هذه السن .

التقليد والتأثر بالآخرين

تميل الفتاة في بدايات سن البلوغ الجنسي إلى ملاءمة نفسها مع اسلوب حياة صديقاتها وزميلاتها ، وإلى الأخذ بالمعايير السائدة في اوساطهن وإلى تقليدهن في المأكل والملبس وفي طريقة الكلام والسلوك والخ ، الّا أن هذا الميل يأخذ في الانحسار لديها بعد فترة من الزمن ، فتتجه للبحث عن نماذج أفضل في الحياة من أجل الاقتداء بها .

وتتوقف نظرة الفتاة إلى النموذج الأفضل أو الأسوة في الحياة على طبيعة الثقافة أو الدعاية التي تقع تحت تأثيرها في هذه السن ، فالفتاة في سن الثانية عشر تقع تحت تأثير شخصيات الآخرين بحسب معايير مرحلة البلوغ ، لكنها ما ان تبلغ سن الخامسة عشر حتى يتولد لديها شعور بأنها قد نضجت تماماً ، فتسعى ما أمكنها أن تكون جذابة ومؤثرة في الآخرين .

يقول ويل ديورانت : في مرحلة البلوغ ... تعمل الفتيات على تزيين انفسهن بشكل مبالغ فيه ، ويجتهدن كثيراً في تنقيش شعورهن . ويفكرن حول الملابس عشر ساعات في اليوم . ويتأملن ثيابهن بحرص شديد عدة مرات في اليوم.

ومن أجل أن تكون جذّابة وجميلة بما تستخدمه من زينة وما ترتديه من أزياء ، تندفع الفتاة برغبة وشوق إلى الاستماع لآراء صديقاتها وزميلاتها في هذا المجال وإلى التحاور معهن حول مختلف النماذج والمودات الشائعة . وترغب الفتاة في سن ١٤ و ١٥ ، بحسب جيزل ، في تقليد الممثلات ونجمات السينما في حركاتها وتصرفاتها.

دنيا ال(أنا)

إن دنيا البلوغ هي دنيا ال(أنا) وحب الذات ، واعجاب الشخص بجسمه وأعضائه . وتتفاقم هذه الحالة في بعض الحالات ، إلى حد النرجسية والأنانية المفرطة التي يرى فيها الشخص رغباته فوق كل اعتبار ولا يكترث ان تتحقق ميوله ورغباته على حساب الآخرين وايذائهم .

وهذه الحالة من الأنانية المفرطة والهيام بالذات ، التي تعد نوعاً من الانحراف بحسب علماء الأخلاق ، هي من الشدة بحيث اعتبرها بعض علماء النفس جزءاً من مرحلة نمو الشخصية وسعوا إلى الايحاء بأنها حالة طبيعية وليس

فيها ما هو غير عادي. وبالطبع فانّ المصاب بهذه الحالة لا يهدأ حتى بعد الاستجابة لرغباته، وقد يفكر أو يندفع إلى الاقدام على الانتحار لنفس السبب، اي انانيته وحبه لذاته، وقد أشار إلى هذه المسألة بعض العلماء كـ(دوركيم) الذي وصفها بالانتحار الأناني أو النرجسي[1].

انّ من شأن الاختلالات العصبية التي تحصل لدى المصابين بهذه الحالة، أن تجلب لهم ولأسرهم في كل يوم وكل أسبوع مشاكل ومتاعب كثيرة، ولا يستبعد ان تبقى ترافقهم مدى الحياة ما لم يتم اخضاعهم للعلاج. ومن السلبيات التي ينطوي عليها هذه الحالة، من وجهة النظر الاجتماعية، يمكن الاشارة إلى خطر الانتحار النرجسي من جهة، وإلى ما يمكن ان يترتب على النظرة الأنانية المفرطة تجاه الآخرين، واستصغار شأنهم وعدم الاكتراث بحقوقهم من قبل المصاب من جهة اخرى.

تقلّبات العلاقات

انّ علاقات الفتيات في هذه السن، تتسم بالتقلب وعدم الاستمرارية الّا في حالات نادرة، وإن كانت هذه العلاقات اثبت نسبياً من علاقات دور الطفولة.

وبطبيعة الحال لابد من اعمال الرقابة على علاقات وصداقات الفتيات في هذه المرحلة أكثر من غيرها، لأنها قد تؤدي، في بعض الحالات، إلى السقوط في مزالق الانحراف والرذيلة.

وفيما يتعلق بعلاقتهن بأولياء أمورهن، فانهن لا يشكن في حب واخلاص الاخرين لهن، لكنهن يتصورن في بعض الأحيان إن حب وحرص الوالدين عليهن يقيّد حرياتهن ولا يسمح لهن بالتصرف في شؤونهن كما يرغبن، فيلجأن

---

(١) الانتحار، دوركيم.

إلى التمرد عليهم وعدم الاكتراث لأوامرهم ونواهيهم أوتوجيهاتهم واراشداتهم، وتتضح هذه الحالة في علاقاتهن بأمهاتهن بشكل أوضح.

الفصل الرابع والثلاثون

التحولات السلوكية

مقدّمة

انّ مرحلة البلوغ الجنسي هي مرحلة التحولات السلوكية في حياة الشخص التي تحصل على التفاعلات والتغيرات النفسية المختلفة. وقد ذهب بعض العلماء إلى وصف هذه الفترة بمرحلة الصراع الحاد بين الغرائز الجنسية والقيم والمعايير الأخلاقية التي تتقاطع مع بعضها. وهو ما يعد عاملاً هاماً من عوامل تحول وتغير سلوك الشخصية واكتسابه منحىً جديداً ويختلف بطبيعته عن مرحلة الطفولة.

انّ موافف أعضاء فئة المراهقين من حالة البلوغ وردود افعالهم تجاهها تختلف من شخص إلى آخر ويمكن اجمالها بالعبارات الآتية :

ـ البعض منهم يضطرب وتستولي عليه الحيرة ولا يدري ما يفعل عندما يلتفت إلى هذه الحالة.

ـ البعض الآخر يتستر عليها ويحاول اخفاء معالمها والايحاء بعدم حدوث ما هو متغير في شخصه وفي أعضائه.

ـ فريق من هؤلاء ينتظر حصول متغيرات جديدة بعد ملاحظته لمعالم وظواهر الحالة، ويستقبل كل متغير في هذا المجال بحساسية مفرطة هي مزيج من القلق والخوف والحزن.

ـ كما وتوجد جماعة من هؤلاء الفئة تختلف نظرتها للبلوغ عن المجموعات السابقة، حيث تستقبله بشيء من الفخر والغرور والاعتزاز[1].

(١) علم نفس اسبرلينج، ص ١٧٥.

اثبات الذات

ان البلوغ الجنسي في حياة المراهق أو المراهـقة بـعد مـرحـلة الشـعور بأهمية الذات والاندفاع والسعي من أجل تـحقيق الارادة واثـبات الذات أمـام الآخرين، ويأخذ الاندفاع المفرط بهذا الاتجاه في بعض الحالات، شكلاً مرضياً عند الشخص يتجلى في سلوكه وتصرفاته. وبعبارة يسعى المراهق إلى استغلال كل فرصة متاحة في سبيل ابراز شخصيته والفات الأنظار اليه.

وبحسب قول أحد العلماء، يـبلغ التـوجه إلى الذات والأهـتمام بـه لدى الشخص ذروته في سن البلوغ، وتعد هذه الحالة نقطة عطف في حياته. ونتيجة لهذا الدافع، يلاحظ في أحايين كثيرة صدور تصرفات ساذجة من الشخص تنم عن صبيانيته ومشاكسته للآخرين في سلوكه وحركاته بما يزعج اولياء الأمور ويقلقهم.

طبيعة السلوك

يتسم سلوك المراهق أو المراهقة في هذه المرحـلة بـالتقلب والتـناقض، وينطبع في معظم الأحيان بطابع الانفعال والتسرع في اتخاذ المواقف والقرارات بشأن مختلف الأمور. ويمكن تشبيه حاله بحال الذي تضطرم فيه النار ويبحث عن سبيل يطفىء من خلاله النار، التي تلهبه وتعذبه بحروقاتها، دون جدوى.

ففي بعض الحالات يسعى المراهق إلى أن تكون افعاله وسلوكياته منطلقة من رؤاه وافكاره المستقلة بعيداً عن تأثيرات الآخـرين، ويـصر عـلى ذلك إلى درجة التمرد على توجيهات الوالدين وتجاهل آرائهم بشكل فج، وفي حالات اخرى، نجده يميل في سلوكه إلى التبعية والتقليد للآخرين في الكلام والملبس والتصرف. وبالطبع فان هذا السلوك التقليدي لا يستمر طويلاً، ويتجه بالتدريج،

بعد اجتيازمرحلة المراهقة والدخول في مرحلة الشباب إلى الاستقلال في السلوك والنفور من التقليد والتبعية.

العداء والمغامرة

يتولد لدى الفتيات في سن البلوغ أحياناً شعور يدفعهن إلى الاعتقاد بأنّ الآخرين يقفون حجر عثرة امام رغباتهن بالاستمتاع بالحياة. وقد يعتبرن تحت تأثير مثل هذا الايحاء، أولياء امورهن، خصوصاً الأمهات، أعداء لهن ويضمرن الحقد والكراهية تجاههم. وتعود بواعث حالات التمرد والعصيان والعدوان، التي نلاحظها لدى افراد هذه الفئة أحياناً داخل الأسرة، إلى هذا النوع من التصورات والايحاءات الخاطئة.

فكما تزداد شدة الانفعالات في هذه السن، تتسع وتزداد، إلى جانب ذلك حالات ونوع التأثرات أيضاً. فالغضب الطفولي يخلي مكانه للحقد والكراهية، وتحتل الرأفة والشفقة مكان رقة وحساسية مرحلة الطفولة، حتى لقد يتجمع في نفس الفتاة، في بعض الحالات، مزيج متناقض من مشاعر الفرح والحزن في آن واحد.

وتتولد لدى الفتاة في هذه السن ميول واندفاعات نحو المغامرة والرغبة بخلق اجواء الاثارة في الوسط الذي تعيش فيه. ومن هنا نجدها تساهم تارة في خلق مثل هذه الأجواء لاثارة الآخرين من أجل الفرحة والاستمتاع، وتارة اخرى تتسبب هي بشكل مباشر في خلق مثل هذه الأجواء.

ومن مظاهر حب المغامرة لدى أفراد هذه الفئة، يمكن الاشارة إلى حالات التهور، وتمثل الأبطال في السلوك والتصرفات، والتوسل بالقوة والعنف في تحقيق الرغبات، والتمرد وعلى الأعراف الاجتماعية، والاندفاع نحو المساهمة

في اثارة القلاقل والمشكلات .

ان سن البلوغ هي سن حب الظهور وابراز الذات ، حيث يسعى المراهق أو المراهقة فيها إلى الفات نظر الآخرين إلى أهمية شخصية بواسطة مختلف الحركات والتصرفات التي يتغلب عليها طابع التمثيل والتكلف ، ومن خلال ما يحرص على ارتدائه من أزياء زاهية ذات مودات والوان صارخة .

ويعمل المراهق على تحقيق هذه الرغبة تارة بالتظاهر بالصرامة والعنف ، وتارة اخرى بالهدوء والطاعة والتسليم ، وقد يكون متمرداً عاصياً حيناً ، ومطيعاً مهذباً حيناً آخر .

ومن الحالات التي نلاحظها عند الفتيات في هذه السن ، والتي تنم عن السذاجة وسوء التقدير ، محاولاتهن ، في بعض الأحيان ، الظهور بمظهر الذكور ، فيما يجرينه على أشكالهن من تغيرات ظاهرية ، كما وقد يبادرن في بعض الموارد إلى التظاهر بالأقدام على الانتحار بهدف أرعاب الآخرين ، خصوصاً الأُمهات ، واخضاعهم لأرادتهن ومن الحالات الأخرى التي يمكن الاشارة اليها في هذا المجال ، تمثيل الفتاة لسلوك وتصرفات نجمات الفن والسينما ، ومحاولاتها تقليدهن في نوع الملبس والزينة ، وفي طريقة الكلام والضحك و ... ويعود السبب في جانب من ذلك إلى جهل الفتاة بمواصفات الشخصية ـ الأسوة التي ينبغي الاقتداء بها ، وعدم مبادرة أولياء الأمور إلى تعريفها بالشخصيات الايجابية الجديرة بالاقتداء في الحياة .

النشاط والفعالية

تتميز الفتاة في سن البلوغ بكونها تتمتع بكم كبير من الطاقة والحيوية الذي يبحث له عن متنفس بنحو وأُخر ، وينبغي على أولياء الأمور والمربين المبادرة إلى

توجيه هذه الطاقة وتسخيرها بالاتجاه الصحيح من خلال توفير أرضية لممارسة النشاطات والفعاليات المفيدة للفتاة، وبخلاف ذلك، فانّ هناك احتمال ان تتسرب هذه الطاقة باتجاهات مخربة ذات عواقب وخيمة، أو أن تفقد الفتاة حيويتها بالتدريج ـ وتعتاد على الترهل والكسل والخمول.

وبخصوص الأسباب والعوامل التي تولد في الشخص مثل هذه الطاقة والحيوية في هذه السن، فقد ورد ما يلي:

عند حلول سن البلوغ، تشرع الكثير من الطاقات الغريزية، الساكنة في ضمير الشخص بالفعالية والنشاط، الأمر الذي يولّد في الشخص البالغ حديثاً طاقة حيوية جديدة. ويؤدي تصريف هذه الطاقة إلى مجموعة من النشاطات والفعاليات العضلية والسلوكية التي تدخل ضمن الأفعال والسلوكيات المرضية في ظاهر الحال، بينما هي من افرازات مرحلةالبلوغ الجنسي في واقع الحال.

ففي سن البلوغ يزداد وزن وقوة الفتاة وتتولد لديها الطاقة والحيوية على أثر الحركة والنشاط. المتزايدين. ومن الحكمة أن تبادر الأمهات إلى تكليف فتياتهن، في هذه السن، ببعض الأعمال الجانبية في البيت، إلى جانب نشاطاتهن المدرسية، من أجل أن يصرفن قسماً من طاقاتهن عن هذا الطريق.

جنسية السلوك

تكتسب علاقات الفتيات بالآخرين في سن البلوغ ايحاءً ومفهوماً جنسياً، وتصدق هذه الحالة حتى على علاقات أعضاء الجنس الواحد ببعضهم في بعض الموارد. ولا يعود شعور الفتاة في تعاملها مع الذكور من الأرحام والأقارب ذلك الشعور الطفولي البرىء. فبالأمس قبل البلوغ الجنسي، كانت تلاعب هؤلاء وتلهو معهم بممارسة الجري والقفز والضحك و... دون أن تشوب ارتباطها بهم أي شائبة.

أما اليوم، فيختلف الأمر اختلافاً بيناً، حيث تخجل من أبناء الجنس الآخر بشدة، ويعظم عليها حتى طلب العون من أحد الفتيان المقربين اليها بالنسب من أجل قضاء حاجة ضرورية لديها. وأكثر من هذا فانها تشك حتى في الظروف العادية، من احتمال أن يفسر الآخرون كلامها تفسيراً جنسياً.

ويلاحظ لدى بعض أعضاء هذه الفئة من الفتيات نوع من الحماس والاندفاع الكبير نحو التقرّب إلى بعض الزميلات والمعلمات واقامة علاقات حميمة معهن. وهذه العلاقات، التي يدعين صفائها وصدقها، ليست بريئة في الكثير من الحالات وليس من سوء الظن النظر إلى طرائق تقبيلهن وعناقهن لبعضهن بشيء من الحذر والريبة.

الّا انه في الوقت ذاته، تعد مرحلة البلوغ الجنسي بالنسبة للفتيات، مرحلة نضوج الشخصية نسبياً، ولكن ينبغي على أولياء الأمور والمربين معرفة حقيقة انّ الفتيات خلال ذلك السن في وضع يمكن تركهن تماماً يتصرفن في شؤونهن وفق رغباتهن وأوهائهن. فقد يبادرن إلى استخدام وسائل الزينة من أجل تجميل انفسهن، ولأنهن يتعلقن في هذه الأثناء بالمجوهرات والألبسة الفاخرة، فقد ينزلقن من أجل الحصول على هذه الأشياء في مسالك الانحرافات الخلقية والاجتماعية.

الاختلال في السلوك

تتعرض الفتيات المتسيبات، المتحررات من رقابة واشراف أولياء الأمور، في هذه السن، في بعض الحالات إلى اختلالات سلوكية عديدة، تتجلى على شكل انحرافات خلقية، وغريزية، واقتصادية، واجتماعية، وحتى سياسية. الأمر الذي يوجب ايلائه مزيداً من الاهتمام والتعامل معه بحساسية

وقد يؤدي النمو الجسمي، خصوصاً في بدايات سن المراهقة، إلى شعور الفتاة بالخمول والكسل، وكذلك فقد يتنازل خلال هذه الفترة مستواها الدراسي وتعود بواعث ذلك إلى عوامل التعب والاجهاد الزائد أو للانشغالات العاطفية الخاصة بسن البلوغ ومن الضروري استشارة الطبيب النفساني بشأنها.

الباب العاشر

تمهيد

تعد مرحلة المراهقة والبلوغ مرحلة حساسة للغاية ، وتنطوي ،كما لاحظنا فيما مرّ على صعوبات ومشاكل عديدة للشخص ولأولياء الأمور والمربين في آن واحد. وهناك مشاكل أخرى تنضاف إلى المشاكل المذكورة سنتناولها في هذا الباب على فصول .

ففي الفصل الأول ، نتحدث حول البلوغ المبكر لدى الفتيات ، ونتناول ، بعد ذكر مقدمة في هذا المجال ، العوامل الموجبة لذلك ، ونشير إلى الأعراض التي يمكن أن تخلفها هذه الحالة ، ونحاول تقديم بعض الأفكار فيما يخص كيفية التعامل معها وضبطها .

كما ونتناول في الفصل الثاني مسألة تأخر البلوغ وأعراضه والعوامل المسببة له ، ونشير إلى ما نراه مناسباً من تدابير في التعامل مع هذه الحالة .

وبالتالي نبحث في الفصل الثالث والأخير من هذا الباب حول المشكلات التي تنتج عن حالات الانحراف الديني وأنواعها ، ونشير إلى ما يمكن أن يترتب عليها من متاعب وأخطار بالنسبة لأعضاء فئة المراهقين .ونسعى في جميع موارد البحث أن نراعي جانب الايجاز والاختصار .

الفصل الخامس والثلاثون

البلوغ المبكر

مقدّمة

هناك الكثير من المشاكل والصعوبات يتعرض لها الأشخاص، في مراحل النمو العضوي والنفسي، وتسبب متاعب كبيرة لأولياء الأمور والمربين، وأحد هذه المشاكل مسألة البلوغ المبكر. وبعبارة أوضح، يحصل في بعض الحالات أن يتقدم البلوغ الجنسي لدى ابنائنا عن موعده المعتاد مما ينتج عنه انفعالات عصبية وفقدان التوازن النفسي، وضعف الارادة، والادبار عن الدراسة، وحتى الجنوح والانحراف أحياناً.

إنّ البلوغ المبكر هو عبارة عن شروع الغدد الجنسية بافراز الهرمونات الخاصة في الجسم وبلوغ الطفل جنسياً قبل أن يكون قد طوى المراحل الطبيعية للنمو واستعد لذلك. وهذه الحالة غير قليلة في عصرنا الحاضر، وذات أسباب مرضية في غالب الأحوال.

السنّ الطبيعي للبلوغ

فمع الأخذ بنظر الاعتبار حقيقة إنّ سن البلوغ قد تقدم منذ مطالع القرن الحالي وإلى الآن بمقدار ١ ـ ٣ اعوام ومع حساب تقدمه من ٤ ـ ٦ اشهر أيضاً خلال الخمسة والعشرين عاماً الأخيرة، فأن البلوغ الطبيعي بالنسبة للفتيات يفترض ان يكون في حدود سن الرابعة عشر، وللفتيان فيّ حدود سن السادسة عشر. فطبقاً لأحد البحوث التحقيقية في هذا المجال، فانّ متوسط سن البلوغ الجنسي لدى الذكور والأناث في عام ١٩٥٠، كان حوالي ١٤/٣، وفي عام ١٩٦٢ كان في حدود ١٢/١. وكذلك فقد تنازل سن الحيض، في السنوات

الفاصلة بين عام ١٨٥٠ إلى ١٩٥٠، من ستة عشر عاماً إلى ثلاثة عشر عاماً.

ورغم أنه من الصعب جداً تشخيص عمر دقيق للبلوغ، لكننا نشير إلى أنّ الفتيات، إلى ما قبل حوالي ٢٥ عاماً مضت، كان ينزل عليهن دم الحيض لأول مرة في سن ١٣ عاماً. في حين تختلف هذه الحالة في الوقت الحاضر، حيث يتراوح سن البلوغ لدى معظم الفتيات بين ٩ ـ ١٨ عاماً، تصل نسبة اللاتي يدخلن مرحلة البلوغ في سن ٩ أعوام ١٪ من مجموع قريناتهن في السن، وتزداد هذه النسبة إلى ١٠٪ في سن ١١ عاماً، فيما تصل إلى ٣٨٪ في سن ١٢ عاماً[١].

قرن الشباب

لقد أطلق البعض على هذا القرن، نتيجة هذه الطفرة في سن البلوغ، تسمية قرن الشباب. فان تصل ٣٨٪ من الفتيات البلوغ الجنسي في سن ١٢ عاماً، يعني إنّ أعداداً هائلة من الفتيات في العالم تراودهن أحلام وتمنيات الشباب. كما أنه غير قليلات اولئك اللاتي يصلن البلوغ الجنسي في السنوات الأدنى كسن ٧ و ٨ أعوام وحتى أبكر من ذلك.

ففي المدن الكبيرة يتقدم سن البلوغ من ١ ـ ٣ أعوام عن موعده المعتاد، وبعبارة اخرى يمكن القول انه تحصل طفرة جنسية في هذا المجال، ويعود السبب في ذلك إلى جودة التغذية، وكثرة المؤسسات الاجتماعية، وطبيعة حياة المدن الكبيرة التي تتسم بالاختلاط وبالعلاقات الاجتماعية الواسعة.

وفي دراسة اخرى، تبين إنّ سن البلوغ في النرويج تنازل خلال الفترة الفاصلة بين ١٨٤٠ ـ ١٩٥٠ من سن ١٧ عاماً إلى سن ١٣/٥ عاماً، وفي أمريكا من ١٤ عاماً وشهران إلى ١٢ عاماً وتسعة اشهر خلال الفترة الفاصلة بين ١٩٠٥

---

(١) علم نفس اسبرلينج، ص ١٧٥.

إلى ١٩٥٥م. وطبقاً لتحقيق أجرته كلية الطب في جامعة الشهيد بهشتي ، تبين إن البلوغ لدى فتيات شرق طهران أبكر من الفتيات البريطانيات بسنة في أقل التقادير.

أسباب البلوغ المبكر

فيما يخص أسباب وبواعث البلوغ المبكر ، فقد طرحت آراء كثيرة ومختلفة في هذا المجال. ومن الصعب تحديد السبب أو الأسباب الكامنة وراء ذلك بشكل دقيق ، حيث إنّ هناك عوامل عديدة تساهم في تسريع بروز الميول الجنسية . ومن المناسب الاشارة مسبقاً إلى انّ هناك فرق بين البلوغ الجنسي المبكر والميل الجنسي المبكر .فالثاني ينتج عن الخبرات والايحاءات البيئية والاجتماعية الخاطئة ، في حين يكون الأول نتاج التغيرات النفسية والافرازات الهرمونية من الغدد الجنسية .

ومن بين الآراء الكثيرة المطروحة حول بواعث البلوغ المبكر ، يمكن الاشارة إلى بعض أهم العوامل المعقولة وهي كما يلي :

١ ـ **عامل الجنسي** : والتي هي قضية مسلمة في هذا الاتجاه ، حيث شاء الباريء تعالى ان يخلق الأنثى بالشكل الذي تبلغ فيه سن النضوج الجنسي بوقت أبكر من الذكر . وعادة تتقدم الاناث على الذكور في البلوغ بسنتين تقريباً .

٢ ـ **عامل المرض** : هناك مجموعة من الأمراض تتسبب في تسريع البلوغ ، فمثلاً طبقاً لأحد البحوث فان العمى يسرّع بروز علائم البلوغ. ويمكن الاشارة في هذا المجال أيضاً إلى الاختلال في القسم القشري للغدد فوق الكليوية ، والاختلال في الجهاز التناسلي ، والاختلال في عمل الغدد التناسلية ...

٣ ـ **عامل البيئة** : أعني البيئة الاجتماعية والثقافية فمثلاً الشخص القروي

أسرع في البلوغ من ابن المدينة. ومن المسائل المؤثرة في هذا المجال: طبيعة العلاقات الاجتماعية والاثارات المباشرة وغير المباشرة، والتعرف على القضايا الجنسية قبل أوانها، ومتابعة برامج وسائل الاتصال الجمعي، ومطالعة الكتب والمجلات التي تحتوي على صور وايحاءات جنسية مهيجة.

٤ ـ **عامل الاقتصاد**: وخصوصاً عامل جودة نوعية التغذية الذي يعد من الأسباب الموجبة للبلوغ المبكر. ومن المسائل الاخرى المؤثرة في هذا الاتجاه يمكن الاشارة إلى تناول المواد التي تحتوي على كميات كبيرة من البروتينات، وبعض الأكلات التي تحتوي على نسب عالية من الدسومة والحلاء أو الحموضة. وبشكل عام فانّ الفتيات المرفهات الغنيات أسرع في البلوغ من الفتيات المعدمات الفقيرات.

٥ ـ **عامل الجغرافيا**: إنّ للموقع الجغرافي ولطبيعة المناخ دور جد مؤثر في سرعة أو بطء البلوغ فالفتيات اللاتي يعشن في المناطق الحارة ينضجن من الناحية الجنسية مبكراً. وكذلك هو الحال في المناطق ذات المناخ المعتدل أيضاً. ولابد من الاشارة هنا إلى انّ بعض العلماء يخالفون هذا الرأي ولا يعتبرون حرارة الجو عاملاً مؤثراً في هذا المجال، ويذهبون إلى القول بان مبعث مثل هذا التصور يعود إلى ضعف المقاومة أمام الطاقة الجنسية في الأجواء الحارة.

العوامل الاخرى

لقد أشار العلماء إلى مسائل أخرى أيضاً في هذا المجال بوصفها عوامل مساعدة في اثارة الغريزة الجنسية، لم نر بدأً من أخذها بنظر الاعتبار. ومن أهمها يمكن الاشارة إلى ما يلي:

ـ العوامل النفسية الناتجة عن قراءة الكتب ومشاهدة الصور واللقطات

الجنسية المثيرة التي تُساهم في تسريع البلوغ قبل آوانه الطبيعي[١].

ـ حالات المعانقة وتبادل القبلات والاحتكاكات الجسمية.

ـ العوامل الوراثية بحسب الاوضاع العائلية حيث ذهب بعض العلماء إلى اعتبار العامل الجيني مؤثراً في هذا المجال[٢].

ـ الشكل الطبيعي للجسم، بمعنى إن الأشخاص قصيرو القامة يبلغون من الناحيةالجنسية بوقت أبكر نسبة إلى طوال القامة.

ـ تأثير عامل العرق في هذا المجال. فمثلاً أبناء العرق الأحمر (الهنود الحمر) في أمريكا ينضجون من الناحية الجنسية أبكر من أبناء العرق الأبيض[٣].

مضاعفات البلوغ المبكر

للعلماء آراء عديدة حول البلوغ المبكر، وبعضها يتقاطع مع البعض الآخر إلى حد التناقض. وأكثر العلماء ينظرون إلى هذه المسألة باعتبارها حالة سلبية وغير طبيعية، فيما يعتبرها آخرون، وهم قليلون، حالة ايجابية وليس فيها ما هو غير طبيعي. ويمكن تقسيم مضاعفات هذه الحالة على النحو الآتي:

ـ المضاعفات البيولوجية: مثل توقف نمو العظام الذي ينتج عنه قصر القامة، واضطراب معامل الأعضاء التناسلية الداخلية والخارجية، وزيادة الوزن.

ـ المضاعفات العقلية: مثل السفاهة، وتأخر نمو القدرات العقلية بحسب علماء النفس.

ـ المضاعفات الأخلاقية: التي تظهر على شكل الخضوع للجنوح والانحراف سواء بفعل طلب الآخرين أو السعي الذاتي بهذا الاتجاه.

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص ٣٠.

(٢) البلوغ، ص٣٧.

(٣) البلوغ، ص ٣٠.

ـ المضاعفات السلوكية : التي تبرز على شكل الفوضى في التصرفات والحركات ، وفي العلاقات مع الغير ، وفي حالات الفضول المرضي .

ـ المضاعفات النفسية : التي تتجلى عند بعض الفتيات على شكل الانطواء على النفس والابتعاد عن قريناتهن في السن ، لشعورها أنها الوحيدة الناضجة جنسياً من بينهن ، واستصعابها ملاءمة نفسها مع أجوائهن ، والتفكير بضرورة تركهن ومعاشرة الفئات الأكبر سناً .

لعل من أخطر أنواع مضاعفات البلوغ المبكر هو ما يتصل بالجانب الأخلاقي والسلوكي الذي قد تحمل نتائجه متاعب كثيرة للفتاة ولأسرتها في آن واحد .

فالفتاة في حالة البلوغ المبكر تنفصل عن مرحلة الطفولة بشكل مفاجىء الأمر الذي يترك في نفسها آثاراً سلبية ومضرة ، اللهم الّا اذا بادر أولياء الأمور والمربين إلى تطويق مثل هذه الأثار من خلال الرعاية والارشاد اللازمين .

يمكن ضبط ومعالجة البلوغ المبكر بطريقين ؛ الأول بواسطة الحقن والعقاقير الطبية ، والثاني من خلال العلاج النفسي والسعي إلى ابعاد الفتاة عن الاثارات الجنسية بأشغالها في الفعاليات الفكرية والنشاطات الرياضية المختلفة .

الفصل السادس والثلاثون

تأخر البلوغ

مقدّمة

أقصى ما يمكن أن يتأخر البلوغ لدى الفتيات في الحالة الطبيعية هو لحين سن الخامسة عشر حيث ينبغي أن تظهر معالمه في هذه السن. واذا انقضت هذه السن دون أن تبرز معالم الحيض، فحينذاك يقال إنّ الفتاة تعاني من تأخر البلوغ. وبالطبع فان الآراء مختلفة في هذا المجال إلى درجة ذهب البعض إلى اعتبار تأخر الطمث حتى إلى سن الثامنة عشر حالة طبيعية.

يقول أحد العلماء إنّ الطمث لدى الفتيات يبدأ في سن ١٠ ـ ١٧ عاماً والمعدل المتوسط له سن ١٣ عاماً.

والحيض قبل سن ٩ أعوام وبعد سن ١٨ عاماً نادر الحصول لدى الفتيات باستثناء اولئك اللاتي يعانين من بعض الاعتلالات في معامل الغدد. وينزل دم الحيض الأول لدى ثلاثة اربعاع الفتيات بين سني ١٢ و ١٣ و ١٤ عاماً.

وذهب كوتشكوف إلى الاعتقاد بأنّ الطمث يحصل بين سني ١٢ و ١٣ عاماً. وليس هناك ما يدعو إلى القلق حتى في حال تأخره إلى سن ١٥ عاماً حيث يكون مبعث ذلك في هذه الحالة عائداً إلى اختلال في معامل المبيضين. وفي حال تأخره إلى سن ١٦ و ١٧ عاماً أو مصاحبة الحيض في هذه السن صداع وآلام مبرحة ونزيف دموي؛ يجب مراجعة الطبيب.

أسباب التأخر

عند الحديث عن الأسباب والعوامل الكامنة وراء تأخر البلوغ، في الواقع لابد من تكرار جميع العوامل المذكورة في الفصل السابق، والنظر اليها هذه المرة

من زاوية معكوسة، أي باعتبارها غير فاعلة أو معتلة. ونحن هنا نشير باختصار إلى المسائل المذكورة بما يلي:

١ ـ **العامل الفيسيولوجي**: وفي ذلك لابد من ذكر أبعاد من قبيل الاعتلال في معامل الغدد، مثل ضعف اداء الغدّة التناسلية وضعف عمل الغدد الداخلية كغدة التيروئيد، والغدد الصماء و... والاختلال في الوضع الهرموني ونقص افرازه. وذهب أحد العلماء إلى الاعتقاد بأنّ تقدّم بلوغ الفتاة أو تأخره ليس مبعثة اختلال معامل الغدد الداخلية، بل أنه نتيجة لتقدّم أو تأخر بدء فعالية ونشاط الغدد الداخلية[1].

٢ ـ **العامل الاجتماعي والثقافي**: سر الدراسات الجارية في هذا المجال تشير إلى انّ الاشخاص المنزوين الذين يعيشون بعيداً عن الأجواء الاجتماعية لا يتخلفون في مجال النضج العقلي والذهني وحسب، وانما يتخلفون من ناحية النمو العضوي والجنسي أيضاً. وعلى العكس من ذلك، فانّ الاشخاص الذين يعيشون وسط المجتمع ولهم علاقات اجتماعية واسعة، يصلون البلوغ الجنسي بشكل طبيعي وحتى أبكر من الوقت المعتاد.

٣ ـ **العامل الغذائي والاقتصادي**: إنّ الفقر الاقتصادي والنقص الغذائي لا يؤدي إلى تأخر البلوغ وحسب، بل ويتسبب في بعض الحالات، في انقطاع الحيض أيضاً. وقد ذكرنا في الفصول السابقة إنّ بعض الفتيات يتعرضن إلى اعتلالات عضوية عديدة، أهمها انقطاع الحيض، وذلك نتيجة التزامهن بنظام غذائي خاص وتقليلهن من تناول الطعام إلى مستوى غير طبيعي.

٤ ـ **العامل المرضي**: طبقاً لبعض البحوث، فان من شأن الأمراض المزمنة،

---

(١) البلوغ، ص٦٦.

التي تتمكن من اعاقة نمو القامة ونضوج العظام، أن تؤثر في ايقاع البلوغ وتأخره أيضاً. وتساهم الأمراض الحادة في زيادة تأخير البلوغ.

٥ ـ العامل الجغرافي: وهناك اختلاف كبير في الآراء بهذا الشأن. ولطبيعة المناخ الجغرافي أثر واضح في هذا المجال. فالمناطق الباردة أكثر تأثيراً في البلوغ من المناطق الحارة.

المضاعفات

هناك عوامل اخرى أيضاً تنضاف إلى العوالم المذكورة. فتضاعف حالة تأخر البلوغ، منها الوضع الصحي غير المناسب، وحالات التسمم العضوي، خصوصاً التسمم التدريجي، والأخطر منها التسمم الدماغي الناتج عن تناول الكحول. وكذلك الظروف الحياتية الصعبة، والصدمات النفسية، والنقص الغذائي في مرحلة البلوغ، الذي يؤدي إلى تأخير البلوغ الجنسي والعادة الشهرية واضطراب الأخيرة وتوقف نمو الأعضاء التناسلية. وكما وقد دلت بعض الدراسات على انّ هناك عوامل أخرى تساهم أحياناً في زيادة سن البلوغ من قبيل فقدان التوازن النفسي، وحالات الاجهاد الجسمي والنفسي المفرطة والمتواصلة، والمشاكل الأسرية، والهجاس والخوف بمختلف انواعهما، و....

ليس لتأخر البلوغ علاقة بنوع العرق الأنساني. الّا انّ بعض الدراسات تشير إلى تأثير عامل الوراثة في هذا المجال، وتذهب إلى القول بانّ الآباء الذين كانوا قد تأخروا في البلوغ الجنسي، هناك احتمال كبير أن يتأخر البلوغ لدى أبنائهم أيضاً. والعكس أيضاً صحيح في هذه المسألة[١].

---

(١) البلوغ، ص٨.

الأعراض

من الممكن أن يصاحب التأخر في البلوغ السمنة، وسبب ذلك يعود إلى الافراط في الأكل، الأمر الذي يؤدي بالنتيجة إلى اعاقة أو تعطيل نمو الجهاز التناسلي. ويقترن التأخر في البلوغ الجنسي دائماً مع التأخر في نمو العظام.

ومن شأن تأخر البلوغ أن يتسبب في بقاء النهدين صغيرين، وفي البدانة إلى حد ما، وكذلك فقد يؤدي في بعض الحالات إلى تغيّر شكل الأنف وطبلتي الأُذنين، وإلى اعتلالات عامة في نمو الأعضاء تثير قلق الفتاة والأسرة معاً.

أهم ما يقلق في تأخر البلوغ

إنّ أهم ما يدعو إلى القلق في تأخر البلوغ هو ما يمكن أن يتركه من آثار سلبية على نفسية وشخصية الفتاة، ويدفعها إلى الشعور بالاضطراب، والنقص، والحقارة. فالفتاة التي تعاني من تأخر البلوغ، يتولد لديها شعور بأنها انسانة متخلفة وغير طبيعية بالقياس إلى قريناتها في السن. ولقد تتضاعف لديها مشاعر القلق والاضطراب بشكل حاد نتيجة تعرضها لحالات التقريع والتوبيخ أو الحاح الآخرين بالسؤال والاستفهام عن وضعها الخاص.

وكذلك فانّ الفتاة التي تشعر بأنها متخلفة عن زميلاتها من ناحية النمو الجنسي، تسعى بنحو وآخر إلى الدفاع عن شخصيتها وجبران نقصها باللجوء إلى بعض التصرفات والسلوكيات التي قد ينتج عنها مفاسد وشرور غير قليلة. ومن هنا، ينبغي عدم اغفال ما يمكن ان يترتب على حالة الشعور بالنقص لدى اللاتي يعانين من تأخر البلوغ، من اضرار ومضاعفات كثيرة.

كيفية التعامل مع الحالة

في حالة تأخر البلوغ، يجب على أولياء الأمور والمربين التعامل معها

بشكل هادىء، وطمأنة الفتاة بأن ما تمر به هي حالة عادية تحصل لدى الكثير من الفتيات وليس فيها ما يدعو إلى القلق. والسعي في الوقت ذاته في سبيل معالجة الحالة وازالة اسباب الخلل في هذا المجال من خلال الاستعانة بالطبيب المختص، وتشجيع الفتاة على استعمال الأدوية والعقاقير التي يجيزها الطبيب.

الفصل السابع والثلاثون

المشكلات والانحرافات

مقدّمة

مع بروز الغريزة الجنسية، تتولّد لدى الشخص ميول ودوافع جديدة تسبب له مشاكل وصعوبات عديدة في التكيّف معها في ظل الأعراف والقيم الاجتماعية والأخلاقية التي تحول دون أشباع رغباته الطافحة كيف ما شاء.

وبعبارة اخرى، تنطوي هذه المرحلة من العمر على صعوبات ومتاعب عديدة للفتيات ولأولياء الأمور معاً، وذلك لأنّ الفتيات يجدن صعوبة في ملاءمة أنفسهن مع الحالة الجديدة من جهة، ويعيش أولياء الأمور قلقاً دائماً ومشروعاً على فتياتهم ويتوجّب عليهم التعامل مع الحالة بحساسية متزايدة لئلّا تلحق ضرراً ببناتهم من جهة اخرى.

مرحلة متأزّمة

إنّ مرحلة البلوغ الجنسي هي مرحلة متأزّمة في حياة الفتاة حيث تبرز فيها مختلف الميول والرغبات والانفعالات العاطفية والنفسية الحادة التي تبحث لها عن متنفّسٍ الأمر الذي قد يدفعها إلى الجنوح والانحراف عن جادة الصواب، والتسبّب بالتالي بمشاكل عويصة لها ولأسرتها.

وقد لاحظنا فيما مرّ من البحث، كيف تتغير أحوال الفتاة في مرحلة البلوغ الجنسي، وتستولي على كيانها مختلف الأفكار الخيالية والدوافع العاطفية التي تفقدها توازنها النفسي، وتنعكس أثارها بوضوح على مزاجها وسلوكها في الأسرة والمجتمع. ونعود ونؤكّد هنا أيضاً ضرورة أن يهتم أولياء الأمور والمربين برعاية وإرشاد ومساعدة الفتاة خلال هذه الفترة بشكل خاص، وذلك من أجل أن تتمكن من اجتياز الحالة بنجاح وبأقل ما يمكن من الأضرار.

أزمة الغريزة

قلنا إن الدوافع الغريزية تتجلى في مرحلة البلوغ الجنسي بشكل أوضح، فقد تبلغ من الشدّة حدّاً تؤزّم أحوال الفتاة وتقع فريسة لمشاعر عاطفية حادّة لا تدري كيف تُرضيها. وإنّ أخطر ما يواجه الفتاة في هذا المجال هو ما يتّصل بكيفية إرضاء الدوافع الجنسية الطافحة لديها، فهي تميل ميلاً شديداً للزواج والاتصال بالجنس الآخر، لكنها لا تجد سبيلاً لذلك، وتراودها أفكار في الاستجابة لميولها بالطرق غير الشرعية لكن حياؤها وعفافها يحولان بينها وبين الاندفاع بهذا الاتجاه. ولعلّ من اسباب حثّ الامام الباقر عليه السلام على ضرورة تزويج الفتاة مبكراً بقوله «من سعادة المرء أن لا تطمث أبنته في بيته»[1] هو الوقاية من أضرار فوران الغريزة الجنسية.

الانحراف الغريزي

من الممكن أن تُساهم الدوافع الشهوية لدى الفتيات في سني البلوغ على إعداد الأرضية لبعض الانحرافات الجنسية. وقد يلجأ أعضاء هذه الفئة أو بعضهم إلى ممارسة العادة السرية مں أجل التخفيف من حدّة انفعالات الغريزة.

وبطبيعة الحال، فأن نسبة هذه الحالة لدى الأُناث أقل بكثير قياساً مع الذكور. وبحسب التحقيقات التي أ جراها كينز، يبلغ هذا النوع من الانحراف أعلى درجاته في سن ١٣ ـ ١٥، ويخفّ أو يزول في السنوات اللاحقة في حال العمل على ضبطه ومكافحته.

وتعود أسباب هذا النوع من الانحراف إلى عوامل نفسية تنعكس أثارها على الجسم في المراحل اللاحقة، وتنطوي على اضرار واخطاء كثيرة على

---

(١) مكارم الأخلاق، الجزء الثاني.

سلوك وشخصية الفرد. وقد لوحظ في بعض الحالات أن الفتاة تركت هذه الحالة وانصرفت عن تكرارها لمدة طويلة بعد أول تجربة لهـا مـعها. وذلك لشـعورها بالذنب وخوفها مما قد يترتب عليها من عواقب وخيمة.

ومن حسن الطالع، فإنّ الكثير من الفتيات، ولعـوامـل عـديدة يـتجنبن الانجراف وراء هذا النوع من الانحراف، وإنّ الرقـم النسـبي لهـذه الحـالة فـي أوساط فئة الأناث هو واحد من سبعة قياساً مع الذكور. وتزداد هذه الحالة فـي أوساط الاناث لدى أُولئك اللاتي يعانين من الاضطراب ويتّسمن بـالانطوائـية والخجل والانزوائية في المجتمع.

لقد جاء في بعض الروايات الاسلامية إنّ الشهوة الجنسية لدى النساء أشدّ مما لدى الرجال بأضعاف مضاعفة، ومنها ما ورد عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل الشهوة عشرة أجزاء تسـعة مـنها فـي النسـاء وواحدة في الرجال ولولا ما جعل الله عز وجل فيهنّ من الحياء على قدر أجزاء الشهوة لكان لكل رجل تسع نسوة متعلّقات به»[1]. ويعود سبب قلة ظهور هذه الحالة لدى النساء، كما تشير الرواية المذكورة، نسبتاً إلى الرجال لعامل الخجل والحياء المضاعف لديهن.

الميل إلى الجنس المماثل

من الممكن أن تصطبغ علاقات الفتيات العاطفية بزميلاتهن وقريناتهن في السن بصبغة جنسية في مرحلة البلوغ الجنسي، بمعنى أن يبدين ميلاً من نـوع آخر تجاه الجنس المماثل لهن ويحاولن بناء علاقات عاطفية مشوبة بـدوافـع جنسية مع أعضائه خصوصاً تجاه أُولئك اللاتي يـتميزن بـنوع مـن الجـذابـية

---

(١) كتاب الخصال، ج ٢، ص ٤٣٨.

والجمال العضوي أو يتّسمن من الناحية العاطفية والاخلاقية، بالتفاعل الايجابي مع مثل هذه المشاعر العاطفية تجاههن.

وبطبيعة الحال، فإنّ مثل هذا الميل العاطفي لدى الفتاة في هـذه السـن، ينطلق في بداية الأمر من دوافع بريئة خالية مـن أي شـائبة أو اثـارة جـنسية، ويتّسم بالرومانسية والخلوص والمثالية العالية، لكنه في مراحل لاحقة يكتسب صبغة جنسية بشكل لا ارادي وفي غفلة عن الفتاة.

خطر العلاقات المنحرفة

من شأن حدّة وشدّة الغريزة الجنسية في مرحلة البلوغ أن تدفع الفتيات، في بعض الحالات، إلى الانجرار وراء رغباتهن وميولهن العاطفية في علاقاتهن بشكل متطرّف ودون التفكير بعواقب الأُمور، وبالتالي تعريض أنفسهن لمخاطر ومتاعب غير قليلة، الأمر الذي يتطلّب من أولياء الأُمور التعامل معه بحساسية متزايدة من أجل الحؤول دون ما يمكن أن يترتب عليه من علاقات منحرفة ذات عواقب غير سارة.

إنّ الغريزة الجنسية لدى الفتاة هي كـالنار تـحت الرمـاد؛ يـزول الرمـاد المتراكم فوقها في مرحلة البلوغ الجنسي، فتتقد ويتصاعد مـنها اللـهب وتـمتدّ السنته بكل الاتجاهات. وعندما تهيج حـرارتـها المشـاعر والمـيول الغـريزية الجنسية؛ تضعف معامل العقل والمنطق أمام طغيانها، وتتراجع طـاقة المـقاومة أمام نوازعها العاصفة.

ومن هنا، فإنّ السبيل الأمثل لضبط نوازع العواطف الجـنسية والحـؤول دون انفلاتها من عقال السيطرة والمنطق هو الابتعاد وقدر الامكان عـن أجـواء الاثارة والايحاءات المهيجة، ومبادرة أولياء الامور إلى مسـاعدة الفـتاة عـلى

تجاوز أخطارها ومضارها من خلال توجيهها واشغالها بمختلف الفعاليات الفكرية والنشاطات المهنية والرياضية.

مشكلات *الفتيات*

تواجه الفتيات في هذه السن مشكلات وصعوبات عديدة، يتطلّب التعامل مع كل منها وعلاجها ابداء المزيد من الاهتمام والتأمل الفكري تجاهها. ولما كان المجال لا يتّسع هنا لتناول كل هذه المسائل بالتفصيل، فاننا سنكتفي باشارات مختصرة لأهمها كما يلي:

١ ـ المشكلات العضوية، كحَب الشباب، ونشاز الهيئة، وقصر القامة أو طولها كثيراً، وتأخر البلوغ أو تقدّمه عن موعده المعتاد، والأرق والسهاد أو الاضطراب في النوم، والشعور بقباحة الشكل، والشعور بالتعب والاجهاد دون ما سبب، والأمراض الخاصة بهذه السن و...

٢ ـ المشكلات العاطفية، كالخجل، والتعلّق بشخص ما والعجز عن التصريح بذلك، والخوف والاضطراب، والهيجانات الحادة، والاختلالات العاطفية، والنرجسية، والغضب المفرط، والحب الغامض و...

٣ ـ المشكلات النفسية، كالشعور بالحقارة، والشعور بالتفاهة وفقدان الكفاءة، والحقد والضيق بظروف الحياة السائدة، والاختلالات النفسية، والأمراض النفسية في بعض الحالات، وتضارب الميل والرغبة بين حياة الطفولة أو الكبار و...

٤ ـ المشكلات الاجتماعية، كالبطالة، وصعوبة التعامل مع المتطلبات الاجتماعية، وعدم الانسجام مع الاسرة، والعجز عن انتخاب الصداقات والزمالات، وتصعّب الانسجام والتآلف مع الآخرين و...

٥ ـ المشكلات السلوكية، كالتصرفات الساذجة، وعدم الانسجام مع

الوسط المحيط، والميل إلى استعراض الذات والخجل من ذلك والعجز عن ضبط السلوك والتصرفات، والاندفاع إلى التجرء على الكبار في بعض الحالات والشعور بالندم وتأنيب الضمير فيما بعد.

٦ ـ المشكلات الشخصية، كالميل إلى الاستقلال والحرية، والرغبة بالاختلاء بالنفس وتعذر ذلك، والشعور بالضياع وبتفاهة الحياة، وحتى شعور الفتاة بالنقمة والانزعاج من كونها انثى في بعض الحالات.

٧ ـ المشكلات الدينية، كالشك والشبهة حول المسائل الاعتقادية والعجز عن فهم قضايا من قبيل الجبر والتفويض، والقضاء والقدر، والمعاد، والعقاب والثواب، والخوف من الموت و...

٨ ـ وأخيراً المشكلات الاقتصادية، والثقافية، والسياسية، والتفكير بالمستقبل الشخصي، وبمستقبل الأهل والأقارب والأعزاء و...

إنّ أغلب المشاكل التي تتعرّض لها الفتيات في هذه السن تنشأ عن تأثيرات القاءات البيئة الاجتماعية التي يعشن فيها ولطبيعة الأجواء السائدة في الأسرة دور هام في هذا المجال. ويمكن الاشارة إلى حالات التساهل أو التشدّد المفرط مع الفتيات في المسائل التربوية باعتبارها أساليب خاطئة تساهم في خلق مختلف انواع المشاكل لأعضاء هذه الفئة.

فمثلما يمكن أن يكون رد فعل الفتاة على أساليب القهر والتشدد من قبل أولياء الأُمور هو العمل بأوامرهم بشكل آلي وفقدان الاعتماد على الذات في تسيير شؤونها إلى الأبد أو التمرّد والعصيان والتصرّف كما يحلو لها وعدم الاكتراث لتوجيهات الأبوين، فإنّ من شأن التساهل معها وتدليلها بشكل مفرط أن يدفعها كذلك إلى التسيّب الكامل واستسهال كل أنواع الجنوح والانحراف، وبالتالي التسبّب في مشاكل ومتاعب ذات عواقب وخيمة لنفسها وللأسرة معاً.



الباب الحادي عشر

تمهيد

لقد قسّمنا البحث في هذا الباب إلى خمسة فصول.

تعرّضنا في الفصل الأول منه للخصائص العضوية لدى الفتيات، وسعينا إلى تسليط الأضواء على جوانب النمو لديهن في جهة العظام، واستكمال الجسم وعلى قدرة الفتاة على التحمل، وتحدثنا حول كيفية عمل الغدد، والحالة النسوية، والأمراض والآلام و...

كما وتناولنا في الفصل الثاني الخصائص الذهنية والنفسية للفتيات بالبحث والدراسة، وقمنا باعطاء صورة عن ظروف أعضاء هذه الفئة فيما هو الذكاء، والقدرةعلى التخيّل، والارادة والقرار، ونظرتهن إلى جنسهن و.. إلخ من المسائل في هذا المجال.

وأفردنا الفصل الثالث للحديث حول الخصائص العافية لدى الفتيات في مرحلة ما بعد البلوغ الجنسي، وتناولنا فيه ما يجيش في عالمهن من مشاعر وأحاسيس وانفعالات وميول ورغبات جنسية، وما يتّسمن به من حسد وحياء وخجل مفرطين، وركّزنا بشكل خاص على الأمراض العاطفية لديهن والتي يمكن أن تترك عواقب غير محمودة في بعض الحالات.

وكذلك فقد تناولنا في الفصل الرابع الخصائص الاجتماعية لدى الفتيات، وقدّمنا توضيحات حول طبيعة علاقاتهن الثنائية والجماعية، مع زميلاتهن ومع الآخرين، ومع أولياء أُمورهن فيما يتّصل بالجنس الآخر، ونظرتهن إلى الزواج

وتشكيل الأسرة.

وبالتالي فقد خصصنا الفصل الخامس والأخير من هذا الباب للحديث حول الخصائص السلوكية والأخلاقية عند أعضاء هذه الفئة من الفتيات، واستعرضنا ما يسود هذه المرحلة من نضوج نفسي واعتدال سلوكي، وميل ورغبة بالاقتداء بالكبار في اسلوب العيش والحياة.

الفصل الثامن والثلاثون

الخصائص العضوية

مقدّمة

إن فتياتنا هنّ الآن في وضع يمكن معه القول أنهن قد نضجن من الناحية الجنسية بشكل نسبي، واكتملت لديهن تقريباً جميع الصفات الانثوية واعتدن عليها، وأصبحن نساء ناضجات. وهذه حقيقة أشار اليها أحد علماء النفس بقوله: إنّ الفتيات يبلغن جنسياً في بداية المراهقة، ويبلغن جسمياً في نهايتها[1].

وتبدو الفتاة في هذه المرحلة إمرأة كاملة من حيث الشكل والهيئة والقامة، وكل شيء فيها ينم عن أنها انثى ناضجة شأنها شأن كل النساء البالغات الناضجات واذا جلست في مجلس ما، فلا أحد ينظر اليها باعتبارها صبية صغيرة تختلف عن الأخريات.

وضع النمو

يتواصل النمو العضوي لدى الفتاة، بعد البلوغ الجنسي، ولا يتوقّف إلّا بعد أن تكتمل بناءات الأعضاء وتستحكم، وتصل الفتاة إلى البلوغ الجسمي الكامل. وبحسب بعض علماء نفس النمو فانّ الفتاة البالغة تعتبر انثىً ناضجة وقد بلغت ما يمكن أن تبلغه من زيادة في الوزن وفي الطول، وانّ ايقاع نموها يتباطأ بشكل مفاجىء في مرحلة ما بعد البلوغ الجنسي[2].

وبالطبع فإنّ نمو الأعضاء والأطراف يتوقّف لدى الفتيات في حوالي سن ١٦ عاماً. ولابد من الاضافة هنا إنّ الأراء مختلفة حول الحدّ الأقصى لحالة

---

(١) علم نفس اسبرلينج ص١٧٧.

(٢) علم نفس الطفل ٢٣٠.

النمو، وقد ذهب بعض العلماء إلى الاعتقاد بأنها تستمر حتى إلى سن ٢٤ عاماً، إلّا أنّ الرأي الغالب هو أنها يمكن تتواصل لحين سن العشرين.

نمو العظام والأعضاء

يشمل النمو، بعد مرحلة البلوغ، جميع جهات وأبعاد الجسم، ولا يقتصر على الطول والوزن لوحدهما، بل أنه يتوزع بشكل طردي على الوجه، والأعضاء، والأطراف، وبقية جوانب الجسم. ويضيف علماء النمو قولهم: إن النمو والتكامل السريع لا يقتصر على العظام والعضلات فحسب، بل إنّه يشمل الأعضاء الداخلية، أيضاً، فتقوى عضلات القلب ويكبر حجمه بشكل ملحوظ، ويكبر كذلك ايضاً حجم القفص الصدري والرئتين بنفس الايقاع.

استحكام الجسم

ينمو الجسم بالتدريج مع بدايات البلوغ ويزداد استحكاماً. وتخرج العظام من حالتها الغضورفية لتصبح شيئاً فشيئاً قوية صلبة، وحتى ان بعض العظام الصغيرة تلتحم ببعضها لتشكّل معاً قطعة واحدة. وبذلك تتقوى الأطراف وتستحكم العضلات لدى الفتاة بالشكل الذي يمكنها من السيطرة على أعضائها خلال الحركة، والذهاب والاياب، وحمل الأشياء ونقلها من مكان إلى آخر.

قدرة التحمل

تزداد في هذه المرحلة قوة الفتاة، من الناحية الجسمية والعضلية، وتكتسب القابلية على القيام بأعمال شاقة نسبياً وعلى تحمّل الاجهاد والتعب. وتأخذ القوة العضلية بعد النضوج الجنسي والجسمي واكتمال الشخصية، منحىً معتدلاً وطبيعياً، فتسعى الفتاة إلى استخدامها بشكل منطقي وفي المجالات المفيدة في حياتها. ولابدّ من الاشارة هنا إلى انّ الفتيات، في مثل هذه السن،

أضعف من الفتيان من الناحية العضلية وأقل قدرة على تحمّل المشاق والاجهاد العضلي، وإنّ متوسط القوة العضلية لدى الذكور في سن ١٨ عاماً يعادل تقريباً ضعف القوة العضلية لدى الاناث.

الحالة النسوية

عادة يفترض ان يتكرر الطمث لدى اغلب الفتيات، بعد مرور عام على البلوغ، في كل ٢٨ يوماً. ويعد نزول دم الحيض طبيعياً حتى في حال تكراره مرة في كل ٢١ إلى ٣٥ يوماً. وفي هذه الأثناء، تنتظم معامل الافراز الهرموني بنظام وايقاع معينين في الحالات الطبيعية. وفي الحالات غير الطبيعية، التي يختل فيها وضع الافراز الهرموني ويضطرب على أثره الحيض، نتيجة لعوامل نفسية أومرضية، فإنّ الواجب يحتّم على أولياء الأُمور، خصوصاً الأمهات، المبادرة إلى مساعدة الفتاة على تجاوز الحالة وإزالة العوامل المسببة اما عن طريق طمأنتها وارشادها وتوجيهها أو عن طريق عرضها على طبيبة متخصصة.

الأمراض والأصابات

ذكرنا فيما مر من البحث إنّ الفتيات يتعرضن أثناء فترة المراهقة لمجموعة من الأمراض والاصابات يؤثر كل منها بنحو وآخر على حياتهن وشخصياتهن، وهذه الاصابات تشمل الجوانب الجنسية والنفسية والعاطفية، وتعيق الكثير منها نموهن وتقلق احوالهن بشدّة في بعض الحالات.

فآلام المعدة التي كان يعاني منها أعضاء هذه الفئة في المراحل السابقة من حياتهم، تتحسن في هذه المرحلة وتزول لوحدها وليس من شك في أثر الاضطرابات النفسية والفكرية وحالات القلق في تفاقم مختلف الاصابات العضوية والنفسية قبل وأثناء وبعد سن البلوغ.

إنّ نسبة الوفيات بعد سن البلوغ أقل بكثير قياساً مع مرحلة الطفولة، وإنّ ابناءنا في هذه السن يكونون في الواقع قد أمِنوا خطر الموت إلى حدود كبيرة. إلّا انه وفي الوقت ذاته، فإنّ خطر الموت في أوساط هذه الفئة يزيد في سن ١٣ ـ ١٨ عاماً أكثر بكثير من سن ٩ ـ ١٣ عاماً. ومن هنا فإنّ من الحكمة احاطتهم بنوع من الرعاية الخاصة في هذه السنين من أجل الحفاظ على سلامتهم النفسية الجسمية.

الحمل والأنجاب

ليس هناك ما يحول دون زواج الفتاة في سني المراهقة من الناحية العضوية والنفسية. الّا أنها لا تكون مهيّئة من الناحية البيولوجية للحمل والانجاب دائماً، وحتى الطمث لا يمكن أن يكون دليلاً على استعداد الفتاة لمثل هذا الشيء. فما أكثر الفتيات اللاتي يحضن في سن ٩ و ١٠ أعوام دون أن يكنّ قادرات على الحمل والانجاب.

إنّ الجهاز التناسلي لدى الفتيات ينمو في سني ما بعد البلوغ ويصبح حينذاك قادراً على إداء وظائفه في استقبال وحفظ الخلايا الجنينية.

فكلّما زاد عمر المراهقة زاد معه باطراد استعدادها على الحمل والانجاب. وطبقاً لتحقيقات. قام بها (سى، اس فورد) و(فران ليتش) فإنّ عدداً قليلاً جداً من الفتيات يكنّ قادرات على الحمل قبل سن الخامسة عشر.

الفصل التاسع والثلاثون

الخصائص الذهنية والنفسية

مقدّمة

تحصل لدى الفتيات في مرحلة ما بعد البلوغ تغييرات عامة يشمل قسم منها الأبعاد الذهنية والنفسية، وهي مسألة تواجهها جميع المراهقات بدرجات متفاوتة من الشدّة والضعف. يقول موريس دبس: إنّ التغييرات العميقة واعتلالات النمو العابرة التي تصاحبها عادة، تترك بمجموعها آثارها على نفسية الشخص وتتسبب في اختلالات عصبية ذات ابعاد مختلفة[1].

إنّ التغيرات تظل تتواصل في سني المراهقة. وبحسب أحد علماء النفس، فإنّ مرحلة المراهقة لا تنتهي دفعة واحدة بل انها تزول بالتدريج شيئاً فشيئاً. وبالطبع يوجد بعض الأشخاص ممن تظل ترافقهم بعض خصائص المراهقة مدى الحياة.

وهي مسألة يجب على أولياء الأُمور والمربّين أخذها بنظر الاعتبار.

ونحن هنا في هذا الفصل والفصول الآتية سنتناول هذه الحالة ونشير إلى بعض أبعادها.

الوضع النفسي

في هذه المرحلة من العمر، تميل الفتاة من الناحية النفسية إلى الاحتفاظ بهمومها وقضاياها في داخلها وعدم البوح بها أو التحدّث عنها أمام الآخرين. كما وتشعر أنها في وضع يتيح لها التمييز والفرز بين ما هو صالح وطالح في

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص ١٥٠.

الحياة، ولذا فانها تسلك سلوكاً مستقلاً في حياتها ولا تسمح للآخرين التدخّل في شؤونها، وهذه الحالة هي أحد اسباب شجارها واختلافها مع والديها في بعض الحالات.

إنّ الوعي الديني والأخلاقي يبدأ لدى الفتاة منذ مطلع سن المراهقة، لكنه فيما يتّصل بادراك قضايا الثواب والعقاب، والشعور الانساني تجاه الآخرين، فإنّه يكتمل ويكتسب ايقاعه الطبيعي في نهاية هذه السن أو بعدها.

وضع العقل والذاكرة

في هذه السن تتّجه معامل الذاكرة لدى الفتيات نحو النمو والتكامل، ويبلغن أعلى مراتب التوقّد الذهني مع نهايات سن البلوغ. وكما أشرنا فيما سبق، فإنّ أغلب علماء النفس يتّفقون على أنّ الذكاء يبلغ ذروة توقّده في سن ١٤ ـ ١٦ عاماً.

وعلى هذا فإن الفتيات يتمتعن بأعلى مستويات الاستيعاب والفهم والتقدّم العلمي في هذه السن شريطة أن يكنّ راغبات بتحصيل العلوم.

أما فيما يتّصل بالعقل، فلابدّ من القول أن ما زال، في هذه السن، لم يكتمل نضوجه كما ينبغي، ويجب انتظار وقت طويل حتى يكتمل وينضج تماماً، ذلك لأن العقول تنمو وتنضج في ظل التجارب، واكتساب التجارب يحتاج إلى وقت وزمن طويلين.

وبالطبع، فإنّ الفتيات في هذه السن يلتفتن إلى أنفسهن ويكتسبن بالتدريج مستوىً معقولاً من الوعي تجاه شخصياتهن. وينبغي استثمار هذه الأرضية لصالح نموهن وتقدّمهن في المجالات كافّة.

الفتيات في هذه السن في وضع تكون فيه آفاق الفكر والوعي مفتوحة أمامهن، وبامكانهن التفكير حول مختلف القضايا والمسائل واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها. وقد يكون الوقت في هذه الأثناء مناسباً، بالنسبة لمجتمعاتنا، للمبادرة إلى مفاتحة أعضاء هذه الفئة وأخذ رأيهن بشأن تزويجهن.

فبعد أن تكون قد قطعت شوطاً لا بأس به من النمو، والنضوج الفكري ومرّت بتجارب عمليّة فتحت عيناها على الكثير من واقعيات وملابسات الحياة يمكن القول إن الفتاة في سنوات ما بعد البلوغ، وبعد تجاوزها لسن السادسة عشر عاماً بالذات، هي في مستوى فكري وعقلي تتمتع فيه بقدرات جيدة على الفهم والاستيعاب والفرز المنطقي بين الأشياء، وتشخيص ما ينفعها مما لا ينفعها. الا أنه في الوقت ذاته يجب أن لا تغيب عن بالنا حقيقة أنها شخصية تميل إلى الاستشكال والمؤاخذة، وإلى نقد الأصول والضوابط التربوية التي كانت قد تلقتها من والديها أو مربيتها.

قد لا توجد مرحلة من مراحل حياة الفتيات يزداد فيها الخيال شدّة كما في مرحلة المراهقة والبلوغ. فكلّما اقتربنا من نهايات هذه المرحلة كلّما تطوّرت واتّسعت مديات الخيال لدى هؤلاء، خصوصاً في سني ١٧ ـ ٢٠ عاماً، حيث يُلاحظ أحياناً إنهن يندفعن إلى سرد ما يدور في خيالهن من صور وحالات للآخرين على أنها أشياء حقيقية، ويحاولن من خلال تسطير الاكاذيب تسكين اضطراباتهن النفسية، وارضاء شخصياتهن أو ميولهن الجنسية.

انّ أعضاء هذه الفئة يستغرقن أحياناً بمداعبة الأفكار والخيالات الواهية، التي لا وجود لها في الواقع الخارجي، إلى درجة يلفهن الوسن يستسلمن للنوم على حين غرّة. ورغم إنّ مثل هذه الأفكار والخيالات ليست دائمية، الّا أنها

تؤدي بهن في بعض الحالات، إلى الأدبار عن النشاط والفعالية وعن الاهتمام بالدراسة والمذاكرة، يتعرضن في حالات اخرى إلى اصابات عضوية من قبيل الصداع والغثيان وآلام في الرقبة و...

ومن صور هذه الحالة لدى الفتيات، انهن يندفعن أحياناً، في خضم عالم الخيال، إلى تصور انفهسن متزوجات يعشن إلى جانب رجل مستبد وعطوف جداً رجلٌ يتشاجر معهن ويضربهن، ومن ثم يعود إلى البيت بعد فترة من الوقت حاملاً معه باقة من الزهور يقدمها لهن دلالة على الحب والاعتذار، أو يتخيلن أنفسهن إنّ لهن زوجاً قد خان عهد الوفاء معهن واختار له إمرأة اخرى ويريد الزواج بها رغماً عنها، ويتألمن بشدة، وكأنها حقيقة واقعة، إلى درجة قد ينخرطن في البكاء ويذرفن الدموع الغزيرة من أجل ذلك.

فالفتيات المغامرات أيضاً يحققن، شأنهن شأن الفتيات الخياليات، رغباتهن من خلال اختلاق الاكاذيب، ويتمثلن انفسهن دائماً في واقع القصة التي ينسجنها. ففي بداية الأمر يدركن تماماً إنّ ما يتحدثن عنه هو شيء لا وجود له في الواقع الخارجي، لكنهن بعد ترديد هذه الأكاذيب لعدّة مرات يتخيلن إنّ ما يتحدثن عنه هو قصة حقيقية فيعتقدن بها بشدة.

الإرادة والثقة بالنفس

تتمتّع الفتيات في هذه المرحلة من العمر بإرادة وثقة بالنفس أقوى قياساً بالسنوات السابقة، ومن هنا فانهن يكتسبن بالتدريج مزيداً من القوّة والقدرة على ضبط أنفسهن أمام مختلف الإثارات، فتأتي سلوكياتهن وتصرفاتهن أكثر دقّةً وأنضباطاً.

فالفتاة فيهذه السن تعيش عالمها الخاص الذي تقرر فيه شؤونها عن

قناعة وثقة تامة بالنفس، واذا حصل وأن ضحكت منها أو سخرت من طريقة تفكيرها وعملها، فإنك ستواجه بالصدّ والاعتراض والدموع والمقاومة من قبلها. وإنّ نمو الارادة والثقة بالنفس لدى الفتاة في هذه السن، ويجعلها تبدي رأيها بشأن كل شيء، وتعلن رفضها واعتراضها لكل ما لا ينسجم مع آرائها وميولها في الحياة، وأن لا تكترث للقيود التي يضعها الآخرون إذا لم تكن مقنعة بالنسبة لها.

والجدير بالذكر هنا ايضاً هو إنّ الكثير من الفتيات يفقدن الثقة بأنفسهن على أثر ما يتعرضن له في سني الطفولة من تجارب فاشلة وحالات من القمع في حياتهن فيصعب عليهن الآن إصلاح انفسهن والعودة إلى أوضاعهن الطبيعية. وتتجلى أعراض هذه الحالة لدى بعض الفتيات حين الكلام على شكل التنفّس السريع، واشتداد ضربات القلب، وارتعاش اليدين، وارتجاف الصوت و...

أزمة شخصيّة

إنّ فتياتنا في هذه السن يعانين، بحسب رأي اركسون، أزمة شخصيّة ويردن أن يعرفن ماذا سيكنّ في المستقبل وعلى اي نحو ستستقر حياتهن. أي إنّ افكارهن تنصب في الغالب على التفكير بالمستقبل ومحاولة استكشاف ما يخبّئه لهن فيما يتّصل بطبيعة حياتهن القادمة. وبعد أنْ تكتشف الفتاة هويتها وطبيعة شخصيتها شيئاً فشيئاً، يستقر سلوكها على حال ولون معينين وواضحين في الحياة وفي علاقاتها بالآخرين.

فلسفة الحياة

في مرحلة ما بعد البلوغ، تبدأ أهداف الحياة بالتبلور لدى الفتاة، فيكتسب التخطيط للمستقبل اهتماماً متزايداً لديها، وتحاول أن تكوّن لها رؤية أو فلسفة

خاصة بها عن الحياة وعن كيفية التعامل معها. وغالباً ما تكون الأهـداف التـي تخطط لبلوغها في الحياة أهدافاً خيالية مفرطة في المثالية وصعبة المـنال إن لم تكن مستحيلة. ومن هنا فإنها تكون بحاجة ماسّة إلى الرعاية والتسـديد فـيما تفكّر به وتتطّلع اليه في مساعيها، من قبل أولياء الأمر والمرّبين، وذلك من أجل أن تكون نظرتها للحياة منطقية ومعقولة ومنسجمة مع الواقع.

الفصل الأربعون

الخصائص العاطفية

مقدّمة

إنّ دنيا النساء هي دنيا العاطفة والتغيّرات العاطفية التي نلاحظ أرهاصاتها الأُولى في مطالع سن المراهقة، ومتسوياتها العالية في مرحلة ما بعد البلوغ. والفتاة الناضجة تتّسم بنوعٍ من الحساسية والرغبة العاطفية الطافحة تسعى إلى الاستفادة منها في علاقاتها وروابطها مع الآخرين الذين يفهمونها ويتفاعلون مع مشاعرها على أساس الادراك المتقابل.

وبقدر ما تبتعد الفتاة من سن البلوغ وتتجاوزها، تقترب إلى التوازن النفسي وتتجاوز حالة الانفعال والاضطراب العاطفي بنفس المقدار. وتكتسب حالة من الاستقرار النفسي والعاطفي نسبياً. وهكذا تنتظم نظرتها إلى الحياة وتفاعلها مع حالاتها وفقاً لمعايير الفكر والعاطفة المنطقيين في الغالب.

مرحلة الحماس العاطفي

تعدّ هذه المرحلة من وجهة النظر العلمية مرحلة الحماس العاطفي التي تستمر من سن ١٦ إلى سن ٢٠ عاماً. وتبلغ فيها العاطفة ذروة نشاطها وحماسها، فتُهيم فيها الفتاة بالحياة وبالاتصال بالآخرين.

وبحسب قول جيزل، فإنّ الفتيات في سن ١٦ عاماً يكنَّ مسرورات ومتفائلات بشكل عام وإن كن يمررن بفترات حزن وهمّ في بعض الحالات [١]. وبواعث الحزن أو الاغتمام كثيرة في هذا المجال، وقد يكون أحد أهمها عجز

---

(١) علم نفس اسبرلينج.

بعض الفتيات عن ملاءمة أنفسهن مع أوضاعهن الجديدة، الأمر الذي يسبب لهن معاناة تُحزنهن.

مرحلة الحساسية

إنّ حالة الحساسية وسرعة الاستياء والانزعاج، التي تتولّد لدى الفتيات في مرحلة المراهقة، تتعزّز في هذه المرحلة وتشتدّ بشكل أوضح بمرور الوقت. وبشكل عام يمكن القول بشأن هذه الحالة أنها تتعزز وتتفاقم بايقاع طردي مع نمو قوة الشخصية ومنعتها.

قد لا توجد هذه الحالة عند جميع الناس بهذه الدرجة من الشدّة، إلّا أنه يجب أن لا تغيب عن بالنا حقيقة إنّ الانسان بطبعه كائن حسّاس وسريع التأثّر والانفعال ازاء القضايا المثيرة. وبحسب رأي أحد العلماء، فإننا كائنات حساسة جداً ازاء الانفعالات النفسية.

ان حالة الحساسية والانفعال التي تبرز على سلوك وردود افعال الفتيات أزاء الاشياء، انما يعود سببها في الواقع لطبائعهن النفسية الشفافة التي تتّسم بسرعة التأثّر والانفعال.

طبيعة المشاعر

تستولي على كيان الفتيات، في هذه السن، مشاعر طيبة وايجابية في غالب الأحوال، تُخلي عواطف مرحلة المراهقة الغامضة لديهن مكانها في هذه الفترة لنوع آخر من المشاعر يتّسم بالقوة وبوضوح الاتجاه والهدف. ومن خلال ملاحظة طبيعة تفاعلهن وتعاملهن مع القضايا يمكن الحكم عليهن بأنهن ناضجات من الناحية العاطفية وبإمكانهن مواجهة مختلف تعقيدات الحياة وتحمّلها بجدارة.

إن المشاعر العاطفية الجياشة بالنسبة للفتيات تعد بذاتها حالة ايجابية يمكن الاستفادة منها في سبيل ارشادهن وتوجيههن نحو مسالك الخير والصلاح، وتنمية قابلياتهن وقدراتهن المعنوية والماديّة في الحياة.

الاثارة والانفعال

النمو في هذه المرحلة نمو نسبي حيث تبلغ. حيث تبلغ فيها الانفعالات النفسية لدى الفتيات أعلى مراتبها، لكنهن يستطعن ضبطها والسيطرة عليها بفعل النضوج العقلي وحساب العواقب التي يمكن ان يترتب عليها في حال السماح لها أن تأخذ مدياتها غير المحسوبة.

وبتعبير آخر تختلف الانفعالات النفسية لدى أعضاء هذه الفئة في هذه المرحلة عن انفعالات سني المراهقة غير الهادفة وغير المنضبطة.

إنّ حالة الاثارة والانفعال لدى الفتيات في هذه السن تصبح أكثر غنىً وأوضح مقصداً وهدفاً، وتأخذ في الوقت ذاته منحىً غرامياً يتجلى أحياناً على هيئة الهيام والحساسية المفرطة تجاه بعض الأشخاص.

وبالطبع فإنّ هذه الحالة هي حالة عابرة ووقتية وتزول مع انتهاء مشهد الاثارة في غالب الأحيان، إلّا أنه وكما يقول الحكماء فإنَّ فراق العشاق أشبه ما يكون بشعلة النار أمام الريح تنطفىء سريعاً وتلتهب بقوة.

هاجس اللذّة

تلهث أعضاء هذه الفئة عادة وراء الجديد من اللذات والمتع، وتعدّ مثل هذه الرغبة الملحّة هاجساً مؤذياً لهن يؤدّي بالنتيجة إلى انطوائهن على انفسهن وشعورهن بالألم والمعاناة من شيء ما دائماً، ويتغير على أثره سلوكهن مع الناس ويصبح غير طبيعي، حتى يبدين وكأنهنّ قد تغيّرن تماماً، ومن أعراض

ذلك إصفرار الوجه وذبول العينين.

وتتّسم الفتيات في هذه السن بحساسية متزايدة تجاه انفسهن، ومن شأن ملاحظتهن لأي نقص في مظهرهنّ أن يقلقهن بشدّة، ولهذا فإنهن ينزعجن من وجود الاطفال بقربهن ويضقن ذرعاً بهم، ويملن بشدة إلى أن يكنَّ الأجمل وأن يستمتعن بجمالهن واناقتهن إلى أقصى حدود الامكان.

ولدواعي حب اللذّة والاستمتاع بالحياة، تبذل الفتيات جهوداً ومساعي مضنية في سبيل الحصول على مزيد من الحريات والتحرر من كل ما يمكن أن يعيق انطلاقهن في مسراتهن. ويقول بنيامين اسباك في هذا المجال: الفتيات بطبيعتهن يلحنَّ في الحصول على الحرية ويضغطن دائماً على والديهنّ من أجل ذلك.

الحب والغرام

إنّ مشاعر وعواطف مرحلة المراهقة تشكّل البناءات الأساسية لميول ورغبات الفتيات في المراحل البعدية من الحياة. ويعد الحب والغرام من اظهر ميول الفتيات في سن النضوج الجنسي الذي يسعين إلى بلوغ رغباتهن وإرضاء أنفسهن عن طريقه.

وعادة تعشق الفتاة في هذه المرحلة من العمر رجلاً ينصب اهتمامها عليه بشدّة، أو ترغب في أن يكون لها خطيب لحياتها المستقبلية، وبوجود الخطيب تشعر بالراحة والطمأنينة وبخلافه تشعر بالتعاسة والوحدة ويؤثر ذلك سلباً على دروسها ونشاطاتها. وأحياناً يكتسب ميلها إلى الحب طابعاً اسطورياً. فتحبُ شخصاً لم تكن قد رأته في حياتها ولا يمكن أن تراه يوماً، وتستغرق في نسج الخيالات والأوهام حول صفاته وكُمالاته.

انّ الحب والغرام لدى الفتاة، يتّجه في هذه السن، عادة نحو شخص واحد، لكنه لا يؤدّي بالضرورة دائماً إلى الزواج ولا حتى إلى الخطوبة، لأنّ الفتاة قد تغيّر رأيها بالشخص وتتبدّل مشاعرها تجاهه.

وقد تندفع بعض الفتيات، بفعل مشاعرهنّ الرومانسية، إلى كتابة رسائل غرامية ملتهبة لأنفسهن، وهذه الحالة شائعة في أوساط الفتيات قبل وبعد سن البلوغ.

عاطفة الأمومة

يقول موريس دبس: إنّ حصول الحُب لدى الشباب والشابات هو نتيجة للتطورات العاطفية والنفسية العميقة التي تحصل لدى هؤلاء وتتّجه بالتدريج نحو النضوج والتكامل، ويعد قفزة نوعية في حياتهم في هذا المجال[1]. ويتّجه الحب لدى الفتيات في بعض الحالات، نحو قرينات السن وزميلات الدراسة ونحو معلماتهن بشكل خاص.

إنّ طبيعة الحب لدى أعضاء هذه الفئة من الاناث هي أقرب ما تكون إلى عاطفة الأمومة، ولا غرابة في ذلك، فهناك تداخل ـ بالأساس ـ بين غريزة الأمومة والغريزة الجنسية لدى الفتيات الناضجات ويمكن ملاحظة بعض أثار وأعراض هذه الحالة لديهن بوضوح.

الاختلال العاطفي

من أهم الصفات والخصائص التي تتّسم بها الفتيات في هذه السن، يمكن الاشارة إلى حالة الخجل والحياء المفرط التي لا تطاق في بعض الحالات والمواقف. وقد يبلغ الخجل لدى بعض الفتيات، في نهاية هذه المرحلة، درجة

---

(١) البلوغ، موريس دبس، ص٤٢.

يرتجفن عند الحديث مع الآخرين ويتلكأن في الكلام، أو لا يجرؤن على البدء بالحديث مع الآخرين قد يصبن ببعض الاختلالات العاطفية. نتيجة عوامل عديدة منها التعرض للصدمات الفكرية والعضوية والنفسية، أو بسبب الاجهاد والعمل الزائد، وكذلك فقد تُسيء الظن بجنسها وتستاء من كونها انثى. وكل هذه الحالات بحاجة إلى النظر اليها بحساسية السعي الجاد في علاجها.

الفصل الحادي والأربعون

الخصائص الاجتماعية

مقدّمة

بعد البلوغ الجنسي تبدأ الحياة الاجتماعية، فيضغط الشخص بكل حماس، بحسب تعبير موريس دبس، على الأجيال التي تسبقه من أجل أن تفسح له مجالاً تحت اشعة الشمس.

ويكون سعيداً في حياته الجديدة وسط الكبار أو الأقران، ومستعداً من الناحية النفسية لتقبل الأعراف والضوابط الاجتماعية والتفاعل معها ايجابياً.

يقول أحد العلماء إنَّ الفتى أو الفتاة يستقل بحياته في المرحلة الثانية، من الحياة الجنسية، التي تبدأ في سن ١٦ ـ ٢٠ عاماً، وينخرط في الحياة الاجتماعية برغبة وشوق متزايدين، ويغيّر نمط سلوكه بحسب متطلبات المرحلة الجديدة. وكذلك يكون في هذه السن في وضع يُتيح له أن يبدي ملاحظاته بشأن طبيعة الحياة الاجتماعية، ونوع العلاقات التي يجب أن تسود من وجهة نظره وفي حال كانت له ملاحظات على سلوك الآخرين، فإنّه يندفع عملياً إلى نقدهم أو الابتعاد عنهم.

العلاقات الاجتماعية

ففي هذه المرحلة من العمر، كما نلاحظ وكما تشير التحقيقات التي أجراها علماء النفس والتربية، تتنوّع الاتصالات الاجتماعية، وتتّسع العلاقات وتزداد اكثر فأكثر، ويزداد الانسجام والتآلف مع الوسط الاجتماعي.

فالشخص في هذه الأثناء يكون مهيّئاً من الناحيتين الفكرية والنفسية لأن يتفاعل مع الآخرين ايجابياً ووفقاً للمصالح والمنافع المشتركة وعلى اساس الضوابط والأعراف الاجتماعية.

تبدي الفتيات في هذه السن مزيداً من الاهتمام بعلاقات الصداقة الحميمة، ويحرصن بشدّة على الاحتفاظ بصديقاتهن، ويلازمن صديقاتهن على طوال الدوام المدرسي، ويمضين معظم أوقات الفراغ في المدرسة بالحديث والتحاور فيما بينهن. وفي الطريق من المدرسة إلى البيت ينهمكنّ بتجاذب اطراف الحديث دون توقف. وحتى عندما يصلن إلى باب الدار لا ينصرفن عن بعضهن قبل أن يمضين ساعة من الوقت في الثرثرة. وبالتالي عندما يضطررن إلى الانفصال عن بعضهن وتذهب كل واحدة إلى بيتها، لا يلبثن أن يهاتفن بعضهن بعضاً لمعاودة الحديث والثرثرة حول مختلف الشؤون والقضايا.

إنّ صداقات أعضاء هذه الفئة تتّسم بحالة من التعصّب المفرط، حيث ينتخبن صديقاتهن بمزيد من الدقّة والحساسية وطبقاً لمواصفات خاصة، غير ان هذه الصداقات غالباً ما تكون غامضة وغير مفهومة، وتمازجها حالة شديدة من الحسد والغيرة تجاه بعضهن البعض، رغم ما يسودها من صفاء وانسجام وهي مسألة حتى هن قد لا يعرفن سبباً ظاهراً ومنطقياً لها.

وأغلب حالات الصداقة لدى الفتيات في هذه السن لا تدوم، وتنهار في مرحلة من مراحلها لكنهن ومع ذلك لا يتوقفن عن الاهتمام الزائد عن الحدّ بالصداقات.

صداقة شبيهة بالعشق

يمكن تشبيه الصداقة لدى أعضاء هذه الفئة، من جهات عدة، بالعشق. ويتّجه هذا العشق عادة نحو الاشخاص الأكبر سناً من الفتاة وأحياناً نحو المعلمات والمدرسات. ورغم أنه قد يوجد في الفصل الدراسي معلم أو مدرس، شاب وغير متزوج، الا أنها ومع ذلك تتّجه في حبها وعشقها نحو إحدى

المعلمات أو المدرسات.

يقول موريس دبس: إنّ صداقة الشباب تشبه العشق إلى حدود كبيرة، خصوصاً في مؤسسات البنات المسائية التي تقترن فيها علاقات الصداقة مع... الدلال والعناق.

وهذه مسألة خطيرة. نلاحظ نماذج منها في هذه السن في الكثير من المدارس الخاصة بالفتيات.

الحياة الجماعية والتقليد

في سني البلوغ ومرحلة الشباب تختل موازنة التقليد لدى الفتاة فتندفع إلى التمرّد على الأعراف والتقاليد السائدة في أوساط الكبار. ويُعد سن ١٥ ـ ١٧ عاماً مرحلة تقليد الذكور في حياة الفتاة، فتسعى إلى تقليد الفتيان المراهقين في السلوك والأفعال والتصرفات وفي طريقة الكلام.

وفي أواخر سني المراهقة، يعتدل سلوكها الاجتماعي وتُبدي استجابات اجتماعية ايجابية، فتتزن علاقاتها بالآخرين، وتصبح قائمة على اساس الادراك المتقابل. والوعي والذوق والاحترام المتبادل بين الطرفين وتتّسم الفتاة في سن ١٥ عاماً بحساسية استثنائية تجاه أزيائها ونوع الألبسة التي ترتديها وتحرص بشدة على أن تكون متطابقة مع (الموديل) الشائع في أوساط قريناتها في السن. وبعبارة واحدة تحرص الفتاة من جهة على أن تبدو أنيقة وجميلة وجذابة، وتسعى من جهة اخرى إلى أن يكون زيّها منسجماً مع (الموديل) السائد.

العلاقة بالوالدين

الفتاة في هذه السن تتّجه نحو الانفصال والاستقلال العاطفي عن الوالدين، إلّا أنّها تعمل من أجل التعويض عن وحدتها، على اقامة علاقات

صداقة صميمية مع قريناتها في السن، وتلعب هذه الصداقات دوراً هاماً وداعماً لها في حياتها الجديدة. وقد اشار الدكتور بنيامين اسباك إلى هذه المسألة بقوله:

«ما أن تبلغ الفتاة سن البلوغ حتى تضطرب إلى تحطيم قيود التبعية لوالديها. ويعود السبب في ذلك إلى أنها... لها أهداف وتطلعات مستقلة، وترغب في أن تحل مشاكلها في الحياة بنفسها».

أجل فانَّ القيود التي كانت تربط الفتاة بوالديها في أوقات سابقة، ترتخي الآن وتنظر إلى المجتمع والوسط الذي يحيط بها بمنظار خاص، وتشعر إنّ جميع مشاكلها في الحياة قابلة للحل.

وقد تغلي مشاعر الغضب لدى الفتاة، في بعض الحالات فتندفع إلى التمرّد على والديها وإلى اتّخاذ مواقف عدائية تجاههما مع أنها تدرك إنّ سلوكها وتصرفها خاطىء وغير صحيح بالمرّة. كما وقد تبدي في أحايين أخرى انزعاجها واستيائها من والديها بطريقة أخرى كأن تتعمد الظهور بمظهر فوضوي في هيئتها وفي هندامها وذلك نكاية بوالديها وإمعاناً في ايذائهما.

الميل نحو الرجال

مع انتهاء مرحلة المراهقة، يتولّد لدى الفتيات ميل نحو الرجال يشتد بمرور الوقت. وفي الواقع تظهر في هذه الأثناء الميول الجنسية لدى الفتيات فينجذبن بشدة إلى الجنس الآخر .ويعد هذا النوع من الميل لدى الفتاة رغبة مشروعة يمكن أن تؤدي إلى الزواج وإلى بناء الأسرة ولعب دور الزوجة والأُم في الحياة. وبالطبع فانه يحتمل أن تؤدي مثل هذه الميول الفتيات غير المنضبطات، إلى سلوك مسالك الذنب والخطيئة الجدير ذكره هنا هو إنّ الفتيات في هذه السن في وضع يسمح لهن ادراك القيم الاقتصادية والاجتماعية والمعنوية في الحياة

وإن كنّ ما يزلن لم يعينها بشكل دقيق أو يعرفن مصاديقها في النساء الآخريات كما ينبغي. وتتوقف مشروعية أو عدم مشروعية رغباتهن وتفاعلهن مع الجنس الآخر في هذه المرحلة من العمر على مدى تأثرهن بالبيئة المحيطة بهن وعلى نوع التقييمات التي يحملنها في أذهانهن عن مختلف القضايا في هذا المجال.

الميل إلى الزواج

تبدأ في هذه السن لدى الفتيات الرغبة والشوق إلى الحياة الزوجية وإلى تشكيل الأسرة ولعب دور الزوجة والأم في الحياة بمزيد من الحماس والحساسية والتفاعل الفكري والشعوري الممزوج بالخيال والعاطفة. ويندفعن في بعض الحالات، تحت ضغط الرغبة النازعة باتجاه الجنس الآخر إلى الاستغراق والتحليق الممتع في عالم الخيال والعاطفة وتمثل دور الزوجة والأُم ومختلف حالات الحياة الزوجية.

وبتعبير اخر تتفاعل في هذه المرحلة من العمر عاطفة الأنوثة لدى الفتيات فيزداد ميلهن ورغبتهن بالزواج وبالاتصال الشرعي بالجنس الآخر، ويشعرن انهن مؤهّلات لدخول معترك الحياة الزوجية والاستمتاع بلذائذها وجمالياتها.

هذا هو الشيء الطبيعي والمعتاد، لكنه يحصل في بعض الحالات أن لا تبدي الفتاة ميلاً أو رغبة بالزواج في هذه السن، وهي حالة غير طبيعية وتعود اسبابها لعوامل تربوية سابقة أو لاعتداد الفتاة بنفسها كثيراً وشعورها بأنه ليس هناك من هو كفء لها كي تتزوجه.

الفصل الثاني والأربعون
الخصائص السلوكية والأخلاقية

مقدّمة

يعتقد استانلي هال إنّ حياة الفتاة تتبلور في نهايات سن البلوغ الجنسي، فهذه التي كانت في وضع انفعالي مضطرب في مرحلة سابقة، تكون الآن قد تجاوزت تلك المرحلة ونمت عضوياً ونفسياً واصبحت إمرأة ناضجة كاملة شأنها شأن أي امرأة ناضجة. وقد أودع البارىء جلّت حكمته في هذه الأنثى من المواصفات الجميلة والجذابّة ما يثير رغبة وشوق الرجال اليها، ويجعلهم يهرعون إلى بابها بأمل كسب رضاها والاقتران بها والعيش معها في كنف الزوجية والحياة المشتركة.

ففي هذه المرحلة يكون النمو البيولوجي لدى الفتاة مشهوداً بوضوح وهو في طريقه إلى أن يكتمل وينضج أكثر فاكثر ويكتسب وضعه الطبيعي الثابت. وإنَّ النمو والتطور الفيسيولوجي، الذي يتزامن مع التطورات العضوية، يضفي على شخصية الفتاة وعلى منطقها واستدلالها في الحياة قيمة خاصة. فاهتماماتها الفكرية والعاطفية التي كانت إلى ما قبل ذلك تنطبع بطابع الآنية تنصب الآن على المستقبل.

وعي واهتمامات جديدة

الفتاة في هذه السن في وضع يمكن معه القول أنها قد اجتازت مرحلة الطفولة تماماً وباتت تعيش اهتمامات الكبار والتفكير بالمستقبل وقل اهتمامها بالرغبات الآنية العابرة. ومن هنا نلاحظ أنها تبري حماساً استثنائياً في سبيل التعرّف إلى شروط الحياة الجديدة وإلى ضوابطها وقيمها وأعرافها وتجنّد من أجل ذلك كل ما لديها من خبرات سابقة في الحياة.

مرحلة الهدوء

أشرنا فيما سبق إلى إنَّ هذه المرحلة من العمر تُعتبر مرحلة هادئة في الحياة بالقياس إلى ما تسبقها، وإنَّ حياة الفتيات، بعد مرحلة البلوغ الجنسي، هي أوضح وأهدأ وأكثر استقراراً وأتزاناً من المراحل السابقة. وبحسب كوتكشوف، فإنه عندما يبلغ الصغار درجة جادة من النمو، أي البلوغ الجنسي، تبدأ لديهم مرحلة الانفعالات العاطفية فيستمرن عادة بالعفو والحلم والهدوء، وفي الوقت ذاته، يصبحون حادّو المزاج ويغضبون بسرعة.

وكذلك فقد ذهب البعض إلى إنَّ الفتيات في بداية سن المراهقة يعانين من مجموعة من الضغوط، لكنهن يسعين إلى التكيف معها بمرور الوقت. فبعد بدء الحيض وانتظام ايقاعه، تزول المعاناة السابقة، وتعمل الفتاة على تنظيم أفكارها وافعالها لتكون منسجمة مع العقل والمنطق السليم.

التوازن في السلوك

تبلغ الفتاة في الجانب الأخلاقي والسلوكي في هذه المرحلة من العمر، درجة عالية من الاتزان تعد حالة ايجابية وبناءة جداً في حياتها الشخصية والاجتماعية. وما لم تكن الفتاة تعاني اختلالات نفسية معينة، فانها تبلغ في هذه السن منتهى النضوج الجنسي والعاطفي.

وبطبيعة الحال فإنّ معامل الميول والرغبات والمشاعر العاطفية تتواصل بنفس نشاطها وقوتها فلا تنقص أو يزول منها شيء في هذه الأثناء، لكنها تخرج عن صورتها العامة فلا تبقى تعمل بشتى الاتجاهات من دون ضابط، بل تسعى الفتاة إلى ضبطها وجعلها تنسجم مع الأعراف والضوابط السلوكية والأخلاقية المعمول بها في المجتمع.

نضوج الشخصية

بعد الانتهاء من مرحلة البلوغ، يحين موعد النضوج، فتشرع شخصية الأفراد بالنمو في سبيل تكوين العلاقات والتغلب على المشكلات. وبشكل عام يتراوح سن النضوج لدى الفتيات بين سن ١٨ ـ ٢٠ عاماً. وتكون الفتيات مؤهلات في حوالي سن ١٦ عاماً لأكتساب الخصائص الانسانية العالية وادراك القيم المعنوية. ويرتبط مدى نضوج الفتاة بما يلي:

ـ المستوى الثقافي للأسرة، ووعي الفتاة، وطبيعة نموها العاطفي والنفسي.

ـ مدى صحة وسلامة علاقاتها من الناحية الأخلاقية والسلوكية فيما يتّصل بعلاقات الصداقة والزمالة.

ـ طبيعة علاقتها بالمدرسة والمعلمات ومدى انسجام ما تتلقّاه من توجيهات وتعامل مع معايير التربية السليمة فيها.

ـ طبيعة المحيط الاجتماعي الذي تعيش فيه، وما يسوده من صلاح أو فساد و...

ـ الايحاءات الذهنية الناتجة عن القراءات، والملاحظات، ومشاهدة الأفلام والصور و...

في البعد العقائدي

إنّ سلوك واخلاق الفتيات في هذه السن هي انعكاس لما يحملنه في اذهانهن من تصورات واعتقادات فكرية. فكلما كانت افكارهن وتصوراتهن أنضج وأصح كلما قلّت احتمالات تعرضهن للأخطار والمضار وزادت سلامة نفسياتهن، وبالتالي اصبح سلوكهن متزناً ومنطقياً.

وبالطبع فإنّ أعضاء هذه الفئة قلما يبدين ميلاً إلى مناقشة القضايا العقائدية، ولذا فإنه يندر ملاحظة حالة التلون العقائدي لديهن، ويمكن القول إن تصوراتهن العقائدية ثابتة وغير متغيرة تقريباً، وإذا لم يكن سلوكهن متطابقاً مع تصوراتهن الثابتة، في بعض الحالات، فإنّه لا يعود في دوافعه لقناعات مستجدة في غالب الأحوال.

الالية الدفاعية

يلاحظ في سلوكها آلية دفاعية، وهو موقف تتّخذه لتخيف الهيجان وتسكين الانفعالات. وتظهر لديها اضطرابات في متغيرات الحياة والصراع وعند الاحساس بالضغوط، وهذه الاضطرابات تزول تارة عن طريق ممارسات من قبل الأخرين وتارة من قبلها، وهذه هي الحالة التي تسمى بالآلية الدفاعية.

إنّ ما يثير القلق في هذه الآلية هو المواقف المتباينة التي تتّخذها، ومنها الامتناع عن تناول الطعام والذي يستمر لعدة وجبات. فقد تستخدم هذا الاسلوب امام الوالدين او تختار الصمت ومجرد النظر. كذلك يجري في هذا السياق، ومن بين الأساليب الأخرى التي تلجأ اليها الانعزال في غرفة أو الامتناع عن الحياة الجماعية أو الاندفاع للقيام بأفعال وتصرفات تبعث على القلق، وكذلك اهمال لواجباتها وعدم الاكتراث بشؤونها. كما وقد تقوم أحياناً ولغرض اخضاع الآخرين لرغباتها بالتمارض أو التهديد بالانتحار.

التناقض في السلوك

إنّ ما يدعو إلى العجب والدهشة لدى الفتيات في هذه السن هو ما يلاحظ على سلوكهن وتصرفاتهن من تناقض حاد في بعض الحالات، حيث يكنّ تارة في غاية التفاؤل والنشاط وتارة اخرى في غاية الاكتئاب والاحباط. ففي

المجالس والبرامج التي يشتركن فيها، يتصرفن حيناً بطريقة توحي بتوازنهن النفسي وبرجاحة عقولهن ونجد سلوكهن لا يختلف عن سلوك الكبار الناضجين بشيء ويسلكن في حين آخر سلوكاً صبيانياً يزعج الاخرين ويدعو إلى الاستهجان.

ويمكن ملاحظة حالة التناقض السلوكي لديهن بوضوح في مختلف الأوساط التي يتعاطين معها. فعندما يتعاملن مع الاشخاص الصغار في السن نجد إنّ سلوكهن يأخذ منحىً طفولياً، وإذا كنّ في مجالس الكبار يتمثلن في تصرفاتهن سلوك الكبار. إنّ معاناتهن يترنز جانب منها في الأُسرة حيث يضطرب سلوكهن ويثرن بتصرفاتهن قلق الوالدين.

قابلية الانحراف

فبمقدار ما تتمتع به الفتيات من قابلية لاكتساب الفضائل الاخلاقية الايجابية، تتمتع كذلك بالقابلية على اكتساب العادات السيئة والانحرافات الخلقية، اللهم الا إذا تلقين تربية صحيحة ومحسوبة. ولا يفوتنا الاشارة هنا إلى إنّ سلوك الفتيات في هذه السن هو في جانب كبير منه انعكاس للخبرات الماضية في سن الطفولة.

الباب الثاني عشر

تمهيد

لقد خصصنا هذا الباب لبحث المشكلات التي قد تحصل في سني المراهقة وخصوصاً في مرحلة ما بعد البلوغ. ان تناول هذا الموضوع بشكل موسّع بحاجة إلى دراسة واسعة في كتاب لوحده. لكننا نكتفي هنا بالاشارة إلى بعض جوانبه في خمسة فصول مع مراعاة جانب الايجارْ والاختصار.

نتناول في الفصل الأول المشكلات البيولوجية والعضوية، ونتحدث فيه حول التغيّرات الجلدية، والأمراض، والاختلالات الجسمية، والاختلالات التي تحصل في مجال النوم والراحة، والإجهاد العضوي، وانسداد الشهية.

كما ونبحث في الفصل الثاني حول الاعتلالات النفسية، ونتحدث فيه عن أمراض الشخصية، وحالة نسج الخيالات، والانزواء، وبعض اخر من الأمراض من قبيل الجنون، والاكتئاب، والأدبار عن الأكل.

وكذلك نتناول في الفصل الثالث المشاكل العاطفية خصوصاً وإنّ مرحلة المراهقة تعد فترة الانفعال والاضطراب العاطفي، والخوف والتفكير الخيالي، والخصام و... في حياة الفتيات.

أما الفصل الرابع، فقد خصصناه للبحث حول مشاكل الفتيات العامة، مثل المشكل العقائدي، وعدم المهارة، واللاهدفية، والمخاوف الدراسية، والشعور بعدم تفهّم الآخرين لهن، والعجز عن التكيّف مع البيئة والظروف و...

وبالتالي نبحث في الفصل الخامس والأخير حول حالات الانحراف

والجنوح، وهو موضع واسع ومتشعّب. مثل الانحرافات الغريزية، وحالة الهرب، والانتحار في الحالات الحادّة، والتطرف و... من الحالات التي تتسبب في مشاكل عديدة لأعضاء هذه الفئة.

الفصل الثالث والأربعون

المشكلات البيولوجية والعضوية

مقدّمة

تكون فتياتنا في هذه المرحلة قد تجاوزن أغلب المشكلات التي كنّ قد واجهنها في سني ما قبل البلوغ أو في مرحلة البلوغ والنضوج، من قبيل اضطرابات الدورة الشهرية والحيض وما ينتج عنها من آلام لبعضهن، و... الّا انّ ذلك لا يعني إنهنّ لم يعدن يعانين من شيء.

فما أكثر التغييرات العضوية التي تحصل لدى الفتيات في هذه السن وتسبب لهن مشكلات غير قليلة في حياتهن.

وما أكثر الأمراض والاختلالات والاضطرابات العضوية والبيولوجية التي يتعرضن لها في هذه السن وتنتج عنها مشكلات كثيرة لا يسع مجال البحث هنا لتناولها جميعاً، خصوصاً وإنّ الكثير منها ذات ابعاد بيولوجية وطبّية تخصصية. ونحن هنا نكتفي بالاشارة إلى بعض المسائل في هذا المجال بهدف الافادة منها تربوياً، ولا ننسى تذكير أولياء الأُمور والمربين بضرورة استشارة الطبيب في مثل هذه الحالات، والعمل بوصاياه.

التغييرات الجلدية

البلوغ الجنسي يؤدي إلى حصول تغييرات في جلد الجسم فتتّسع مسامات الجلد وتفرز مواداً دهنية أكثر. ويؤدي تراكم الغبار والتراب فوق المواد الدهنية إلى انسداد المسامات الجلدية. ومن شأن ذلك أن يتسبب في حصول اعتلالات مرضية عديدة، في بضع الحالات، ليس اقلّها الحؤول دون التعرّق والتنفس الجلدي، والتالي تعرّض الشخص إلى الاصابة بالاكتئاب والكسل.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ التغييرات الجلدية لدى الفتيات في هذه السن، تبرز باشكال وصور أخرى ايضاً. فتارة نجدها تظهر على شكل بقع أو حُبيبات صغيرة على الجسم محتقنة بالجراحة وفي أُخرى بصورة التعرّق الزائد الذي تصاحبه رائحة كريهة ونتنة تحت الأبطين.. يمكن ازالتها عن طريق الاستحمام.

والكثير من هذه التغيرات هي ذات مناشىء داخلية، وتستمد جذورها من الكبد أو وضع الدم. وكذلك فقد يكون لوضع الدم دور في مثل هذه التغييرات الجلدية.

وعلى أي حال فهي مسألة طبية يجب استشارة الطبيب المختص بشأنها في الحالات المتفاقمة.

الأمراض

تتعرض الفتيات في هذه المرحلة من العمر لمجموعة من الاعتلالات ومن أهمها يمكن الاشارة إلى ما يلي:

١ ـ مرض السمنة: في هذه المرحلة من العمر بالذات يزداد وزن بعض الفتيات إلى حد السمنة والبدانة. وهناك عوامل عديدة لها مدخلية في هذه الحالة ومنها العامل الوراثي، حيث يذهب فريق من علماء النفس إلى انّ أغلب الأشخاص البُدناء لديهم والدان، وخصوصاً امهات، بُدناء.

إنّ البدانة الوراثية هي قبل كل شيء قابلية على السمنة، وتنضاف اليها عوامل أُخرى فتسرّعها، من قبيل الأفراط في تناول الطعام، وعدم الالتزام بنظام الوجبات. والفوضى في الأكل، والاكثار من تناول الأكلات التي تحتوي على مواد دهنية مركّزة، ومن الحلويات. وبالطبع فإنّ التحقيقات الجارية حول هذه المسألة تدل على إنّ البدانة لدى الاشخاص تبرز معالمها حتى قبل سن البلوغ.

٢ ـ حَب الشباب: يحصل أحياناً ان يظهر في وجوه بعض الفتيات حَب

الشباب الذي ينزعجن منه ويقلقهنّ بشدة ويولّد لديهنّ تصوّرات بأنهنّ قد اصبحن قبيحات الشكل والهيئة. فيندفعن إلى العبث بمواقعه من أجل ازالة الجراحة تحتهُ ومحو آثاره الأمر الذي يشوه وجوههنّ ويزيد في قلقهن.

٣ ـ **الشلل**: في مرحلة المراهقة أو في نهاياتها، تتعرض بعض الفتيات أحياناً للاصابة بنوع من الشلل ما زالت أسبابه مجهولة ولم يتوصل المعنيّون إلى رأي دقيق بشأنه لحد الآن. ومن نماذجه يمكن الاشارة إلى حالة اختفاء الصوت أو العجز عن استخدام الساعدين التي قد تكون ناتجة عن أعراض الهستيريا.

ويصاحب الشلل أحياناً آلام مبرحة إلى درجة قد تعيق الشخصية مثلاً عن المسير أو تُعجزها عن تحريك يديها. وليس من شك في إنّ بعض حالات الشلل هي ذات اسباب نفسية ويمكن علاجها عن طريق اساليب علاج الطب النفسي.

الاختلالات

تتعرض الفتيات في هذه المرحلة من العمر لاختلالات عضوية عديدة نشير إلى بعضها كما يلي:

١ ـ **الاضطراب في الحيض**: الفتيات غير الطبيعيات من الناحية العضوية قد يعانين بعض الآلام أثناء الحيض أو قبل نزوله، الّا إنّ غالبية الفتيات لا يشعرن بألم في هذا المجال واذا شعرن بشيء من الألم فإنه لا يعدو ألماً طفيفاً. إنّ حالات النزيف الرحمي لدى الفتاة المراهقة ترتبط بالرحم دائماً وقد تكون دوريّة، مثل العادة الشهرية، أو مضطربة وغير منظمة من نوع النزيف الرحمي بالتزامن مع الحيض. والحالتان معاً بحاجة إلى علاج.

لا ينبغي النظر إلى حالات اضطراب الحيض في السني الأُولى للطمث على أنها ظواهر مرضية أو الخوف من الحمل الا اذا كانت توجد علاقة قريبة بين

الاثنين. إن اضطراب الحيض وعدم انتظامه يتراوح بين ٢٥ ـ ٣٥ يوماً وقد يصل احياناً إلى ٤٠ يوماً وحتى ٤٥ يوماً، وليس في ذلك ما يدعو إلى القلق. كما ويلاحظ ايضاً في حالات نادرة انقطاع دم الحيض لمدة شهرين أو ثلاثة اشهر.

٢ ـ الآلام: ذكرنا فيما مر إنّ الحيض ترافقه آلام رحمية مبرحة، وهذه الحالة بذاتها تُساهم في خلق اعتلالات رحمية مثل انحباس دم الحيض في الرحم الذي يؤدي هو الآخر بدور إلى مضاعفات عديدة. وفي بعض الحالات تشتد آلام الحيض إلى درجة تُلزم الفتاة الفراش وتعيقها عن النشاط والحركة.

وكذلك فقد تعاني الفتيات، في أشهر الحيض الأُولى أو أواخر ايام الحيض، من آلام شديدة في المعدة، أو الشكوى من اعتلالات داخلية. إنّ مثل هذه الآلام يعاني منها عادة أُولئك اللاتي لا يتمتعن بأوضاع غير طبيعية من الناحية الجسمية. وكذلك هناك آلام أُخرى يعاني منها بعض آخر من الفتيات، يمكن معالجتها عن طريق الأدوية والحقن الهرمونية تحت اشراف الطبيب المختص.

٣ ـ تعكّر المزاج: إنّ آلام واعتلالات المعدة في مرحلة المراهقة والبلوغ، تظل ترافق بعض الفتيات إلى هذه السن ايضاً. فالبعض منهن يعانين من آلام في المعدة وفي البطن، ويشكون من سوء الهضم، ومن شأن حالة زكام خفيفة أن تبدل أحوالهن.

إنّ تعكّر مزاج الفتيات له علاقة بحالة الحيض بنحو وآخر، ومن هنا يلاحظ إنّ أغلب الاختلالات المزاجية لديهن تترافق مع اضطرابات الدورة الشهرية، وفي حال معالجة الأخيرة يزول الأول ايضاً في أغلب الحالات. وبالطبع فإنّ من شأن حالات من قبيل الزكام والتعرّق غير الطبيعي و... أن تضاعف الحالة.

المشكلات البيولوجية

تواجه الفتيات في هذه المرحلة من العمر مشكلات بيولوجية عديدة. ومن أهمها الحالات الآتية.:

١ ـ **اختلال النوم**: فالفتيات اللائي يعانين من القلق والاضطراب أو يشعرن بالخطيئة والذنب في حياتهن أو تشغل أذهانهن افكار وهواجس معقدة، فانهن يتعرضن إلى الاصابة بنوع من الاختلال والأرق في نومهن، فيظلن يتقلبن في فراش النوم لساعات طويلة من الليل دون أن تأخذ عيونهن النوم.

٢ ـ **الاجهاد الجسمي**: تشعر بعض الفتيات بالإجهاد والتعب دون ما سبب ظاهر ودون أن يكنّ قد عملن شيئاً مجهداً. ففي الصباح عندما يستيقظن من النوم، يشعرن بالكسل والاجهاد الشديدين وكأنهن يحملن حملاً ثقيلاً وقد ضقن به ذرعاً، ويتمنين لو يُتاح لهن البقاء في سرير النوم وعدم مغادرته. وبواعث ذلك تعود في الغالب إلى الاضطرابات العاطفية والنفسية المختلفة.

٣ ـ **انسداد الشهية**: ومن المشكلات الأُخرى التي تواجهها الفتيات في هذه السن انسداد الشهية والأدبار عن الطعام أو التقليل منه. وتعود أسبابه تارة لاعتلالات عضوية داخلية، وتارة اخرى لاختلالات نفسية وعاطفية أو بسبب الاثنين معاً.

الفصل الرابع والأربعون

الاعتلالات النفسية

مقدّمة

هذه هي المراهقة؛ ترافقها عشرات المشاكل والمعضلات. ومن لا تواجهه مشاكل في هذه السن. غير إنّ بعض الفتيات يتعرضن لمشاكل صعبة ومعقدة، والبعض الآخر منهن تكون مشاكلهن أخف نسبياً. وبعض أولياء الأُمور يتحملون هذه المشاكل ويتعاملون معها برحابة صدر، وآخرون لا طاقة لهم بتحمّلها ويضيقون بها ذرعاً.

انّ أغلب مشاكل الفتيات هي ذات أبعاد نفسية أو عاطفية وإن كانت هناك مشاكل أُخرى يتعرضن لها أيضاً.

إنّ لدى هؤلاء آمال وتطلّعات ورغبات عديدة ومتنوّعة، يترك عدم تحقّقها في الواقع الموضوعي آثار سلبية على نفسياتهن.

أمراض الشخصية

الجدير بالذكر هنا هو إنّ الكثير من الحالات التي تتعرض لها الفتيات في هذه السن لها صلات مباشرة بظروف وطبيعة النمو، وهي لا تبعث على القلق، غير أنه وفي الوقت ذاته فإنّ هناك بعض الحالات ممّا تخرج عن إطار المسائل الطبيعية وينبغي النظر اليها باعتبارها اختلالات أو أمراض نفسية بحاجة إلى معالجات.

ولا يسع مجال البحث هنا التعرّض لجميع هذه الأمراض الشخصية باعتبارها تتطلب كتاباً تخصصياً مستقلاً، لكننا نتناول بعض أهم حالاتها باختصار فيما يلي:

١ ـ نسج الأوهام: قد تندفع الفتيات في هذه السن إلى الاستغراق في الخيال ونسج الأوهام، ويعود السبب في ذلك في الغالب لدواعي القلق بشأن المستقبل. وأحياناً يُعاني بعضهن من حالات معينة ـ ومنها إنهنّ يكتئبن ويقلقن بشأن أنوثتهنّ ويصرفن أوقاتاً طويلة بالتفكير في هذا المجال.

فالفتاة بطبيعتها تنقاد بسهولة إلى الاستغراق في نسج الخيالات والأوهام، والخوض في بحر الأحلام والرومانسية وتمثّل بطولة قصص الحب والغرام؛ القصص التي ينتصر فيها الحب دائماً. وإلى جانب ذلك، فانها تميل ميلاً شديداً لمطالعة القصص العاطفية، وتفرد لقراءة مثل هذه الكتب وقتاً في جدول أعمالها حتى في ظروف الدراسة المكثفة.

٢ ـ النزعة الأنزوائية: تنزع الفتيات، في سني ما بعد البلوغ إلى الانزواء، فيختلين بأنفسهن أحياناً ويستغرقن لساعات عديدة في مختلف الأفكار والخيالات. ومن العوامل التي تساهم في نزوعهنّ إلى الوحدة والاختلاء بالنفس، يمكن الاشارة إلى حرصهن على الهدوء والابتعاد عن أجواء الاثارة والفوضى، وشعورهنّ بالراحة والاستمتاع بأستعادة شريط الذكريات.

٣ ـ الهستيريا: من أهم الأمراض الشخصية، التي تبرز في هذه السن بشكل خاص، مرض الهستيريا، وتُلاحظ هذه الحالة بكثرة لدى الفتيات الشابات اللاتي يملن إلى التظاهر وابراز الشخصية. وتتجلى حالة الهستيريا لديهن بأشكال عدة منها البكاء الشديد لدون ما سبب ظاهر في غالب الأحيان، والضحك المفرط بصوت عال والعجز عن ضبط النفس تجاه هذه الحالة، وفقدان السيطرة على الهياج العاطفي سواء في حالات الفرح أو الحزن، والشلل العضوي مثل شلل الاطراف أو اختفاء الصوت، وأحياناً افتقاد الصواب و...

وبخصوص جذور وأسباب هذه الحالة فإنّ هناك أراء ووجهات نظر كثيرة ومنها قول بعضهم بانّ الطبائع الانفعالية يتولد عنها ردود أفعال هستيرية تجاه

المثيرات. كما وتزداد حالة الهستيريا في مرحلة البلوغ، خصوصاً لدى الفتيات، أكثر من أي مرحلة أُخرى. وعادة لا يصاب بهذه الحالة المرضية الاشخاص الذين كانت لديهم حياة متوازنة في البيت والأسرة.

٤ ـ التشتّت النفسي: تواجه فتياتنا في هذه المرحلة من العمر حالات مرضية عديدة. ومنها أمراض الشخصية في مجال التشتّت النفسي من قبيل حالات الكذب، وتقليد الممثلات، والنرجسية، والهيجانات الجماعية التي تعتبر من علامات الاصابة بالشيزوفرنيا (انفصام الشخصية).

ويعد مرض الشيزوفرنيا من الأمراض الشائعة في أوساط الفتيات في سني ما بعد الخامسة عشر عاماً، حيث تنزع الفتاة خلال ذلك إلى الانزواء وإلى تجنّب الاتصال بالآخرين والواقع الخارجي، وتنطوي على نفسها إلى درجة يصعب أو يستحيل كسب ودها والانفتاح عليها بسبب ما تعاني منه من يأس واحباط وسوء ظن شديد تجاه الآخرين.

٥ ـ الادبار النفسي: يلاحظ في مرحلة ما بعد البلوغ تعرض الفتيات لحالة الادبار العصبي التي تتسبب بدورها في حصول اختلالات نفسية كثيرة في هذه السن، وتصاحبها حالات التمارض والكسل والادبار عن الدراسة.

ولا يستبعد أن تكون هذه الحالة ناتجة عن شعورالفتاة بالرفض تجاه الاسرة، والبيئة، والعمل، وتجاه جنسيتها و... الّا ان مما لا شك فيه هو ان هذه الحالة تعود في جذورها إلى الرفض والنبذ النفسيين.

وتتجلى حالة الإدبار النفسي على شكل الامتناع عن تناول الطعام، والصمت، والنحافة والحزن والكآبة فأحياناً يكون الامتناع عن تناول الطعام بهدف تخفيف الوزن، وفي أحايين اخرى يكون ناتجاً عن مشاعر وهواجس خرافية تراود الفتاة اتجاه الطعام، والأخيرة بحاجة إلى علاج سريري.

٦ ـ **الاكتئاب**: يعدّ الاكتئاب من أهم الاختلالات النفسية التي تتعرض لها الفتيات في هذه السن، ويتولّد لدى الفتيات على أثره نوع من عدم الاكتراث بالحياة، والابتعاد عن الحياة الاجتماعية، واجترار الأحزان والآلام في الخلوة، والاستغراق في الذات، والادبار عن التآلف والانسجام مع الآخرين.

إنّ خطورة الكآبة تكمن في استغراق الفتاة في ذاتها واجترار الهموم والأحزان في عالم النفس وعدم الانفتاح على الآخرين، الأمر الذي يزيد احتمالات تراكم حالات الكبت والشعور بالحرمان لديها إلى حد التفكير أو الاقدام على الانتحار وإنهاء الحياة.

٧ ـ **فقدان الثقة بالنفس**: في الحالات الطبيعية تكون الفتيات في هذه السن مؤهلات من الناحية الفكرية والنفسية لأن يستقلن بحياتهن ويعتمدن على أنفسهن في ادارة شؤونهن اكثر من أي وقت مضى. الّا إنّ هناك حالة غير طبيعية تعاني منها بعض الفتيات في هذه المرحلة وهي فقدان الثقة بالنفس والعجز عن إدارة شؤونهن عن اتخاذ القرارات المناسبة في حياتهن. وقد تعود اسباب ذلك لتعرضهن لحالات القمع والتحقير والاستهزاء أو لحالة النبذ الذي كنَّ قد عانين منه بسبب جنسيتهن في الأسرة.

٨ ـ **حالة السوداوية**: تتعرض بعض الفتيات في سن ١٥ عاماً للاصابة بحالة السوداوية. وهذه الحالة هي من الشيوع في هذه السن بحيث اعتبرها العلماء من مشخصات سن ١٥ عاماً. وتتولّد هذه الحالة بسبب الحزن والاغتمام، والشعور بالكسل والاجهاد ومن الانتظار الممزوج بالقلق والاضطراب[١]. وتنعكس آثارها بشكل سلبي على نشاط وفعالية الفتاة وعلى توازنها النفسي والسلوكي في الحياة.

---

(١) البلوغ، ص٤٦.

الفصل الخامس والأربعون

الاعتلالات العاطفية

مقدّمة

تبدو الفتيات، حتى في الحالات العادية، غير طبيعيات، ولكن ليس إلى درجة الجنوح وعدم الالتزام بالأعراف الاجتماعية، وإنّ الكثير من الحالات التي تظهر على سلوكهن وتصرفاتهن أنما تعود أسبابه لعامل النمو وظروفه وملابساته. وهي مسائل كان أولياء الأمور أنفسهم قد مرّوا بها في مثل هذه المرحلة من أعمارهم. ورغم إنّ تحملّها يتطلّب مزيداً من الصبر وسعة الصدر من قبل الوالدين، الّا إنّ أغلبها يزول لوحده مع الوقت وبمرور الزمن.

إنّ ما يوصف بالاعتلالات هو مسألة واسعة ـ نسبياً ويتّصل قسم منها بالجانب العاطفي. فقد لاحظنا إنّ العواطف تمر بتغيرات وتبدّلات مختلفة مع حلول مرحلة البلوغ الجنسي. لكنها في هذه السن، أي مرحلة ما بعد البلوغ، ليست بنفس الدرجة من التفاعل والشدّة. فهي باقية بنحو وآخر غير انّها تأخذ شكلاً ثابتاً في الشخصية.

التشوّش العاطفي

إنّ مرحلة ما بعد البلوغ تُعدّ مرحلة التشوّش العاطفي في حياة الفتاة. وتتجلّى على شكل حالات الهيجان والاضطراب، والخوف، التي تنعكس أثارها المباشرة على طبيعة وسلوك الفتاة، وحتى لقد تتجاوز آثارها السلبية الجوانب السلوكية لتشمل وضع النشاط والفعاليات العملية في حياتها.

ونتيجة لحالة التشوّش العاطفي هذه، يلاحظ على سلوك الفتاة وردود افعالها تجاه القضايا حالات من القلق والاضطراب، والعصبية، والنزوع إلى

العناد والجدل، والخصام والشجار مع أعضاء الأسرة، والتعصّب الزائد للصديقات.

وهذه من المسائل التي تتطلّب المبادرة إلى علاجها ووضع حلول لها.

القلق والاضطراب

من الاعتلالات النفسية التي تحصل خلال هذه المرحلة من العمر يمكن الاشارة إلى حالة القلق والاضطراب. وهناك عوامل كثيرة تساهم في اثارة القلق والاضطراب لدى الفتيات، ومنها:

- النمو العضوي المبكر ومنه ما يتصل بنمو الثديين الذي يثير لديهن القلق والاضطراب.

- النمو الجسمي العام الذي يفاجأن به ويشغل أذهانهن بمختلف الأسئلة والاستفهامات.

- أحياناً ينزعجن من رائحة أجسامهن، خصوصاً اثناء الحيض، وتُراودهن مشاعر القلق من احتمال وصول الرائحة إلى انوف الآخرين.

- الآلام والتوترات النفسية التي تعدّ بذاتها من عوامل اثارة القلق والاضطراب الذهني.

- وكذلك حالات التفكير بالمستقبل التي تولّد لديهنّ، في بعض الحالات، هواجس مقلقة.

وبحسب رأي اسبرلينج، فإنّ هناك عشر موضوعات تثير القلق والاضطراب في أواسط سن المراهقة، وهي الحياة التعليمية، والحياة الأسرية، والعلاقات مع الجنس الآخر، والتسلية، والصداقات، وانتخاب العمل، وقضية الدين، ومسألة الصحّة والسلامة العضوية، ونوع اللباس، والنقود.

علائم القلق

هناك علائم وأعراض كثيرة تـدلّ عـلى حـالة القـلق والاضـطراب لدى الفتيات. ومنها ما يلاحظ على وضعهنّ، قبل حلول موعد الحيض بأيـام، مـن تشوّش ذهني، وشعور بالقيء والغثيان وما شابه ذلك. كما ويمكن ملاحظة بعض هذه العلامات على اشكالهن وسلوكهن كالتحديق بـالأشياء واصـفرار الوجـه، والتصرّفات التي تنمّ عن القلق والاضطراب وعدم الاسـتقرار. ومـن شأن هـذه الحالة في حال استمرارها وتفاقمها أن تغيّر شكل وهيئة الوجه والجسم.

المخاوف

تـرض بعض الفتيات في هذه السن للاصـابة بـمجموعة مـن المـخاوف تختلف عن مخاوف سني الطفولة أو مطالع مرحلة المراهقة. ورغم إنّ أغلب هذه المخاوف هي مخاوف واهية وغير مبررة، إلّا أنها ترافقهن لمدد طويلة وقد تمتد مع امتداد العمر، وتفرض عليهنّ أن يكيّفنّ أنفسهن مع حالاتها.

ومن المخاوف الماديّة التي تعاني منها بعض الفتيات في هذه السن، يمكن الاشارة إلى اشياء من قبيل الأفاعي، والكلاب، والظلام، والعواصف، والأماكن المرتفعة، والأصوات الغريبة، والصراصر، والفئران، والحشـرات. وفـضلاً عـن ذلك فإنّ هناك مخاوف أخرى معنوية يعانين منها ايضاً، مثل الخوف من استهزاء الآخرين، والخوف من ذكر عيوبهن أو توجيه الانتقاد لهن، والخوف من الزواج والخطوبة، والخوف من المدرسة والامتحانات، والخوف من تعرّض مـركزهن للخطر لدى الأهل والأقارب والصديقات والمعلمات و...

حالة الغضب

أغلب الفتيات في هذه السن عصبيات المزاج وسريعات الغضب وانفعال،

ومن شأن مسألة بسيطة يواجهنها أن تثير أعصابهنّ بشدة وتُخرجهنّ عن اطوارهن الطبيعية. ففي تعاملهن مع أولياء أمورهن واخوتهن وأخواتهن يتّسمن بنوع من الحساسية المفرطة التي توحي وكأنهنّ عاجزات عن التعامل السليم والانسجام مع أجواء الأسرة.

إنّ حالة الغضب في سني الطفولة تحصل عادة بسبب النزاع والصراع حول المسائل اليومية العادية أو حول استملاك الأشياء، لكنها تختلف في سني المراهقة والبلوغ وتتركز إلى حدود كبيرة حول القضايا الاجتماعية. فالفتاة في هذه الفترة تغضب وتنفعل في حالات الشعور بالأذى، والانزعاج، والقلق، والاخفاق في الحب والزواج، وعندما تواجه معارضة الآخرين لأمر تحبّه وتهتم به بشدّة.

الحالة الخيالية

بشكل عام تسعى فتياتنا خلال هذه المرحلة من العمر إلى النظر للدنيا نظرة ايجابية ومتفائلة، ويتجنبن كل ما من شأنه أن يساهم في تعكير صفاء وجمالية الحياة في عيونهن. الا أنه في الوقت ذاته فإننا لا نعدم بعض الفتيات ممن يصررن على النظر إلى الحياة بمنظار اسود. وليس من شك في كون الأخيرات شخصيات مريضة.

ومن أجل أن يجعلن العالم الذي يعشن فيه جميلاً وجديراً بالحياة، فانهنّ يلجأن إلى دنيا الخيال ومداعبة الأحلام الوردية.

ومن هنا يلاحظ في كثير من الأحيان أنهن يتحين الفُرص في سبيل الاختلاء بالنفس والتحليق في عالم الخيال والسباحة في بحر الأحلام والتطلّعات الشعورية والعاطفية، وقد يستغرقن في مثل هذه الحالات حتى وهنّ في الصف وسط الزميلات وبحضور مدرسة الصف.

التقلّبات العاطفية

تتمتع الفتيات في هذه السن، من الناحية النفسية، باوضاع ثابتة ومستقرة إلى حد ما، لكنهن لسن في وضع يمكن معه القول أنهن لا يعانين من شيء في هذا المجال. فعلاقات الصداقة لديهن مستقرة نسبياً، الا أنها ليست متجذّرة كما ينبغي، ومن شأن حالة خصام بسيطة أن تحوّلها إلى قطيعة وانفصال عن بعض.

الواقع إنّ الفتيات يقمن علاقات صداقة وزمالة فيما بينهن بنحو وآخر لحد سن ما قبل الخامسة عشر، غير إنّ هذه العلاقات ليست على النمو الذي يمكن الوثوق بدوامها واستمراريتها، حيث كثيراً ما تتعرض إلى الاهتزاز والتبدّل وتحصل فيها حالات الانفصال والفراق. إنّ علاقات الحب والصداقة الثابتة والمستديمة، ينبغي البحث عنها في أوساط هذه الفئة بعد سن الخامسة عشر، أي في هذه المرحلة التي نتحدّث حولها الآن.

إنّ الانفعالات العاطفية لدى الفتيات تقل في هذه السن بالقياس مع السنوات السابقة، لكنها تبقى متغيّرة ومتقلّبة كما في السابق، وتتّسم بسرعة التقلّب من الحزن إلى الفرح، ومن الالفة إلى النفور، ومن الصداقة إلى الخصام. ومع تغيّر مشاعرهن وانفعالاتهن العاطفية تتغيّر أيضاً نظرتهن للأشياء وطبيعة سلوكهن وتصرفاتهن تجاه الآخرين.

حالة الخصام

تزداد حالات الخصام في أوساط الفتيات خلال هذه المرحلة من العمر. وبخلاف مرحلة الطفولة، فإنّ عودة الوئام والانسجام فيما بينهن والانصراف عن حالة المخاصمة تتطلب وقتاً طويلاً نسبياً، وتولد المخاصمة في أغلب الحالات الحقد والضغينة في أوساط الفتيات. وقد تتخاصم الفتاة في هذه السن مع شقيقها

أو شقيقتها، فتظل لا تكلمه ولا تسأل عن حاله لأشهر عديدة وحتى لسنوات.

فعلى صعيد علاقاتهن ببعض، يمكن أن تؤدّي مسألة بسيطة وتافهة إلى أن يتخاصمن ولا يكلمن بعضهن لمدد طويلة من الوقت. فقد يكنّ في صف واحد ويجلسن بجنب بعض وعلى كرسي واحد إلّا انهن لا يتكلّمن مع بعض لأسابيع واشهر عديدة. كما وقد تزول دواعي الخصام في بعض الحالات لكن المخاصمة تستمر ولا يتحدثن معاً بسبب الخجل من البدء بالكلام.

الفصل السادس والأربعون

المشكلات العامة

مقدّمة

إنّ دنيا الفتيات المراهقات هي دنيا المشكلات والمعضلات وتتوزع هذه المشكلات على الفتيات وعلى أولياء الأمور والمحيطين بهن في أن واحد. فمن جهة تواجه الفتيات معضلات واسعة تشغل أذهانهن باستمرار، وقد أشرنا إلى نماذج منها فيما مرّ من البحث، ومن جهة اخرى يواجه أولياء الأمور والمرّبين صعوبات غير قليلة في كيفية التعامل مع حالاتهن المختلفة، وذلك بسبب فقرهم المعلوماتي في مجال التعامل الصحيح والبنّاء مع متطّلبات هذه المرحلة.

أهم المشكلات

لقد اشار اسبرلينج إلى أربعة أنواع من المشكلات باعتبارها من أهم المشكلات الشائعة في أوساط الفتيات في أواخر سن المراهقة، وهي: الفشل، وجرح المشاعر، والتأثير على الآخرين، وعدم النشاط والفعالية كما ينبغي، وكل هذه المسائل تتصل بالكفاءة الشخصية.

فأحياناً يدبرن عن مذاكرة الدروس ويقعن في حبائل الحب والغرام سريعاً، ويتحدثن مع انفسهن، وينزعجن سريعاً، وأحياناً أخرى يبكين ويذرفن الدموع والأخيرة حالة شائعة في اوساطهن، ويحاولن ارضاء ميولهن ورغباتهن الغريزية بنحو وآخر.

ويتّسمن كذلك بالعصبية وبتصرّفات انفعالية.

ومن المشاكل الأخرى التي تعاني منها الفتيات في هذه السن يمكن الاشارة إلى حالات من قبيلِ الجهل بحقائق الظروف الجديدة، وقلّة التجربة في

الحياة، والابهامات العقائدية، والخوف من المدرسة، والعجزعن التكيّف مع قضايا الواقع، والعجز عن حل المشكلات. وليس من شكّ في إنّ بعض هذه المشكلات تزول لوحدها بمرور الزمن، فيما يمكن حل البعض الآخر منها عن طريق توجيهات وارشادات أولياء الأمور والمربّين.

نوع المشكلات

لا يسع مجال البحث تناول جميع المشكلات في هذا المجال وسنكتفي هنا بالاشارة إلى بعض أهم أنواع المشكلات التي تسبب متاعب للفتيات وللآخرين في آن معاً.

١ ـ **الابهام العقائدي**: تعاني بعض الفتيات في هذه السن طائفة من الابهامات فيما يتّصل بالقضايا الدينية والعقائدية، وتشغل أذهانهن اسئلة واستفسارات عديدة تبحث عن أجوبة شافية ومقنعة. ومن هذه الابهامات ما يتعلّق منها بمسائل الجبر والتفويض، وعالم ما بعد الموت، وعدالة البارىء تعالى، وفلسفة الواجبات الدينية، وإنه كان يفترض تزويد مثل هؤلاء الاشخاص بالمعلومات الضرورية في هذا المجال قبل هذا الوقت، ولما لم يحصل، فإنّ الضرورة تتطلّب في هذه الأثناء المبادرة إلى الانفتاح عليهم والاجابة الصحيحة والمقنعة على جميع الأسئلة والاستفهامات التي تشغل أذهانهم.

٢ ـ **الانانية المفرطة**: تعاني الفتاة في هذه السن، كما في المراحل السابقة في حياتها، حالة من الانانية المفرطة، فتتوقع أن يكون الجميع في خدمتها؛ يستجيبون لرغباتها وطلباتها، ويهرعون لتلبية حاجاتها وحل مشكلاتها متى شاءت وأمرت. وهذه الحالة تسبب لوالديها والمحيطين بها متاعب غير قليلة.

وقد دلّت طائفة من الدراسات في هذا المجال على أنّ الفتاة تشعر في هذه

السن بالحاجة إلى الحب والحنان كحاجة الطفل ذي الثلاث سنوات للحنان والرعاية. وهو الأمر الذي يغفله الكثير من أولياء الأمور والمربين ولا يحسبون حسابه بتصور إنّ الفتاة قد كبرت وما عادت بحاجة إلى الحنان والرعاية العاطفية في حين يُفترض بهم أن يتواصلوا مع الفتاة في ابداء العطف والحنان تجاهها وتفقد شؤونها واسداء التوجيهات اللازمة لها من أجل اغنائها عاطفياً من جهة، والحيلولة دون تضخّم الا (أنا) لديها من جهة أخرى.

٣ ـ عدم المهارة: في موارد كثيرة نُلاحظ حالات تنم عن سذاجة وقلّة مهارة بعض الفتيات، فما زلن غير قادرات على نقل شيء من مكان إلى آخر بسلامة، حيث نجدهن أحياناً يفقدن توازنهن عند حمل وعاء من الماء، ويرتجف كوب الشاي في أيديهنّ عند وضعه أمام الأب، او رغم ما يبدين من حرص ودقّة كبيرين في ترتيب مائدة الطعام، إلّا أنه ومع ذلك تأتي النتائج مخيّبة للآمال.

وحتى في القضايا الاجتماعية، فانهن ساذجات وقليلات التجربة ويجهلن كيف ينبغي عليهن أن يتصرفن في المجتمع، وكيف يتقربن إلى الأشخاص الذين يرغبن في إقامة علاقات معهم، ولا يعرفن كيف يقدّمن صديقاتهن للآخرين، ويجهلن اصول الضيافة، ولا يعرفن كيف ينبغي اخفاء انزعاجهن عن الآخرين، أو ما هي الطريقة المعقولة في الضحك والبكاء.

٤ ـ عدم وضوح الهدف: من بين المصاعب والمشكلات التي تعاني منها الفتيات هو عدم وضوح الهدف من الحياة بالنسبة لهن، فهن لا يعرفن لماذا يعشن، ولماذا يعملن، ويجهلن سر الدراسة والتعليم وفلسفة الحياة. وعادة تشغل الفتاة ذهنها بالتفكير بقضية اختيار العمل، والزوج، والتخطيط للحياة الزوجية وتدبير الأسرة و... ولو انها توصّلت إلى حلول لمثل هذه المسائل لما

بقيت ثمّة صعوبة أو لقلّت المشاكل. إنّ صعوبة الأمر تكمن في انها تجهل أغلب المسائل التي تواجهها في الحياة ولا تجد لها تفسيراً، كما ولم يزودها الوالدان بالمعلومات والخبرات الضرورية في هذه الجوانب.

٥ ـ فوبيا الدراسة: الفتاة الان طالبة كبيرة متوقدة الذهن وفي طريقها لأن تُنهي مرحلة الدراسة الثانوية، وهي في مستوى يُتيح لها أن تحل أعقد المسائل في حقول الرياضيات، والجبر، والفيزياء والكيمياء، الّا أنها ومع ذلك تجد نفسها عاجزة أمام حل أغلب المشاكل التي تواجهها في حياتها اليومية.

انّ بعض الفتيات في هذه السن نجدهن ما زلن، كما في دور الطفولة، خائفات ومتهيبة من المدرسة والدراسة، وإذا ما وجدن أنفسهن أمام سؤال من قبل المعلمة أو المدرسة في الفصل؛ يلاحظ انهن يتلعثمن في الاجابة وتتشتت اذهانهن وينسين كل ما كنّ قد تعلمنه من قبل.

فنحن نعرف بعض من الفتيات ممن يدرسن حتى في الصفوف المنتهية من المرحلة الثانوية او في الجامعة، يرتعبن بشدة اثناء الدخول إلى قاعة الامتحان، ويرتجفن حتى من مجرد رؤية اسئلة الامتحانات، وكذلك نلاحظ بعضاً آخر من هؤلاء يخشين الذهاب إلى المدرسة كخشية الاطفال الصغار من الذهاب للمدرسة في أولى أيام الدراسة الابتدائية. وهذه هي الحالة التي يطلق عليها العلماء اصطلاح الفوبيا الدراسية.

٦ ـ إساءة فهم الآخرين: بعض فتياتنا يبتعدن نفسياً عن الوالدين والأهل والأقارب في هذه السن، ويعتبن عليهم، ويخفين عنهم همومهنّ واحزانهن، ويشعرن بالغبن والمظلومية، ويرثين لأحوالهن ويذرفن الدموع لذلك في خلواتهن.

وعند تحليل هذه الحالة نجد إنها تعود لشعورهن بأن الكبار لا يحبونهن،

ولا يدركون مشاعرهنّ واوضاعهن. وبالطبع فانهنّ يتألمن من هذه الحالة وينزعجن منها بشدة وليس من شك في انّ ما يعانين منه ناتج عن مشاعر خاطئة. فالوالدين يحبان الفتاة ويحرصان عليها، لكنها تسيء فهم وادراك مشاعرهما الأمر الذي يسبب لها ولهما متاعب وصعوبات.

٧ ـ **مشكلة التكيّف**: يعاني الكثير من الاشخاص، في مرحلة المراهقة، صعوبات في التكيّف مع الأوضاع ومن هنا فقد ذهب بعض علماء النفس إلى اعتبار مرحلة البلوغ، في حياة الأشخاص ـ منهم الاناث، مرحلة المشكلات النفسية.

إنّ مشكلة هؤلاء الفتيات تكمن في قلّة تجاربهن وجهلهن بمحدودية قدراتهن وخبراتهن في الحياة، وفي حالة السذاجة سرعة التصديق في التعامل مع الاشياء والآخرين.

جذور المشكلات

الكثير من المشكلات التي تعاني منها الفتيات في سنوات ما بعد البلوغ الجنسي، تعود أسبابها لتفتح ونشاط المشاعر والغرائز العاطفية والجنسية. وحتى حالات تشتّت الحواس، والحيرة، والتشوّشات الفكرية، انما تعود بواعثها لعوامل الكبت والحرمان في هذا المجال. وبالتالي تنعكس أثارها على نفسية وسلوك وتصرّفات الفتيات. وينضاف إلى ذلك عامل طبيعة الحياة في داخل الأسرة، وعدم توفّر الامكانات المادية الضرورية والرعاية التربوية اللازمة، وتعكّر أجواء الاسرة بحالات الخصام والشجار والمهاترات بين الوالدين وبين الأخوة والأخوات و...

الفصل السابع والأربعون

المفاسد والانحرافات

مقدّمة

تعتبر مرحلة المراهقة خصوصاً الفترة الأخيرة منها، مرحلة التعرّض لمختلف المفاسد والانحرافات الخلقية والسلوكية؛ ليس لجميع الأشخاص، بل لأولئك الذين لم يكونوا قد تلقّوا تربية صحيحة وسليمة في المراحل السابقة من حياتهم. وتشير الدراسات والبحوث، التي أجراها علماء النفس والتربية، إلى إنّ قسماً هاماً من المفاسد والانحرافات أنّما يتعرّض لها الأشخاص الذين كانوا قد نموا وتربّوا في بيئات اجتماعية مضطربة، وكانوا يعانون مشاكل في حياتهم الأُسرية في سني الطفولة بالذات.

والمشكلة هنا هي انّ هؤلاء أشخاص يمتازون بضعف العقل وقوة العاطفة والتهابها والاندفاع الشديد وراء اللذّة والمتعة، وقد يؤدي إطلاق العنان لهم، في اندفاعهم هذا إلى حدوث مشاكل وانحرافات خطيرة لهم.

خطر العلاقات الخاطئة

ذكرنا فيما مرّ إنّ تعلّق الفتيات في هذه السن يقل بالأهل والأسرة إلى حدٍ ما، ويتّجهن إلى علاقات الصداقة والزمالة والارتباط بالأقران خارج البيت. وهذه العلاقات في حال كونها سليمة ومحسوبة تكون مفيدة وتصبّ في صالحهن، وبخلاف ذلك فانّ نتائجها تأتي معكوسة وتترتّب عليها مفاسد وانحرافات عديدة.

فالفتيات في هذه السن يملن ميلاً شديداً إلى التقليد، ويسعين من أجل اكتساب الجاذبية وإلفات نظر الآخرين إلى تقليد كلّ من يصادفنهن من بنات

حواء وتكون جذّابة وبالنسبة لهن. ويقعن كذلك تحت تأثير القاءات حياة «الشلة» والجماعة. وكما يتأثّرن بالنموذج والقدوة الصالحة ايجابياً، فانهنّ يتاثّرن كذلك وبنفس الدرجة أو اكثر بالنموذج والقدوة الطالحة سلبياً.

ومن حالات التقليد المكتسبة لدى أعضاء هذه الفئة، والتي تتعارض في أغلب الأحيان مع أعراف وتقاليد الاسريّة وتسبب للوالدين والأهل متاعب واحراجات، يمكن الاشارة إلى نوع الملبس، وكيفية تصفيف الشعر، وطريقة الكلام، والاستماع لأنواع خاصة من الأغاني.

وفي تقديرنا إنّ العلاقات والصداقات الخاطئة للفتيات المراهقات، انما تنتج بسبب عجز أولياء الأمور عن ضبط بناتهم وحتى عدم الاكتراث بهذا الجانب من قبلهم، الأمر الذي يعدّ مسألة غاية في الأهمية، والتساهل فيه يمكن أن يعرّض الفتيات لمخاطر أخلاقية جسيمة.

الانحرافات الغريزية

تدلّ الدراسات والبحوث الجارية في مختلف المجتمعات، خصوصاً المجتمعات الغربية، على أن هناك انحرافات غريزية عديدة في أوساط المراهقين، ومنها حالة الارضاء الذاتي لدى الفتيات والتي تقابلها حالة الاستمناء لدى الفتيان، الّا أنها أكثر شيوعاً بين الذكور قياساً مع الاناث. ويمارسها عادة الأشخاص المصابون بالكآبة، والمنطوون على أنفسهم.

ولمعرفة الباعث الأساسي لهذه الحالة، يمكن الاشارة إلى أساليب التربية الخاطئة، والانفلات الاجتماعي، والأنانية، والتحلّل الخلقي، والعجز عن تكوين رؤية سليمة عن الحياة الاجتماعية. وبالطبع فإنّ الأشخاص ليسوا جميعاً على شاكلة واحدة، وتعبّر الغريزة الجنسية عن نفسها لدى كلٍ منهم بطريقة

مختلفة وغير مسبوقة، ومنهم من يشبع دافع اللذّة والمتعة سراً بطريقة وأخرى، وما لم يتدرّب هؤلاء على ترويض أنفسهم والسيطرة على اندفاعاتهم الغريزية، فانهم لا يستطيعون ضبط ميولهم ورغباتهم الجنسية.

الشذوذ الجنسي

من الانحرافات الغريزية في هذه السن هو الشذوذ الجنسي ويعني الميل إلى نفس الجنس، حيث ترتبط الفتاة في بداية الأمر بعلاقة صداقة حميمة مع احدى زميلاتها أو تُعجب بمعلمتها بشكل خاص، وتتحول هذه العلاقة أو الأعجاب شيئاً فشيئاً إلى حب وغرام عاطفي ملتهب لا يختلف في شيء عن النوع الذي يحصل بين جنسين مختلفين.

ويحصل أحياناً أن تعجب الفتاة باحدى معلماتها وتتعلّق بها بشدّة، وتتّخذها قدوة ومثالاً للشخصية المتكاملة في الحياة، فتندفع إلى تقليدها في الحركة وفي طريقة الكلام، وتحاكيها في مظهرها من حيث الازياء والتبرج أو طريقة التأنق.

خطر الادمان

من حسن الطالع إنّ خطر الأدمان على المخدرات ضئيل جداً بالنسبة للفتيات في المجتمعات الشرقية، والإسلامية منها بوجه خاص. إلّا أنه إذا سلّمنا بحقيقة التأثيرات السئة لأجواء التحلّل الاجتماعي على أعضاء هذه الفئة العمرية، وأخذنا بنظر الاعتبار احتمال مبادرة بعض الفتيات إلى تعمّد الانحراف والجنوح، في بعض الحالات، نكاية بالوالدين، وانتقاماً منهم، فإنّه يمكن القول إنّ من الحكمة الاهتمام بهذا الجانب وعدم اغفاله.

انّ علاقات الزمالة والعشرة المنحرفة في المجتمع تعدّ ارضية خصبة

للتعرّض لمختلف أنواع الانحرافات الخلقية والسلوكية، ومن شأنـها أن تـدمّر حياة الفتاة وتسبب لها وللاسرة متاعب غير محسوبة. أجل، فانّ فتياتنا يذهبن إلى المدرسة كل يوم، فيجلسن إلى جنب أخريات في الفصل، ويـرتبطن بـهن بعلاقات صداقة وزمالة، والأُخريات لسن بالضرورة جميعاً من عوائل أصـيلة وملتزمة، ويكفي أن تكـون بينهن واحدة منحرفة وجذّابة في الوقت ذاته، ليكون خطر الجنوح والانحراف كامناً على بعد أمتار من فتاتنا.

الهرب من البيت

هذه الحالة أيضاً نادرة في مجتمعاتنا الشرقية والاسلامية إلّا انّ نظرة عابرة على المحاكم وعلى مراكز الاصلاح والتأهيل التربوي، تدلّ على وجود أعداد غير قليلة من ضحايا الهرب من البيت. أجل فإنّ من أهم حالات الجـنوح لدى الفتيات، خصوصاً الساذجات، هو الهروب من البيت.

فالفتاة بهروبها من البيت توجد ضغوطاً نفسية شديدة لوالديها، وتـوحي بفعلها هذا للأقارب والجيران بأنها تتعرض لمعاملة سيئة من قبل الوالدين. ومثل هذا الشعور يُريحها وتنظر إلى فعلها باعتباره انتقاماً من والديها أو أخضاعاً لهما.

وتحصل هذه الحالة عادة للفتيات اللاتي يعانين من اضـطرابـات نـفسية ومن مشاكل في داخل أُسرهن، أو يشعرن بأنـهن، عـلى أثـر ذنب أو خـطيئة ارتكبنها، بأنهنّ قد وصلن إلى طريق مسدود، وتدفعهن إلى اتّخاذ مـثل هكـذا قرار؛ السذاجة المفرطة التي يمتزن بها وسرعة الانخداع بالماكرين والغاوين... وبالطبع فإن هذا الهروب ينتهي بالعودة في معظم الحـالات، ولكـن يـمكن أن يترتّب عليه في بعض الأحيان عواقب محزنة.

الانتحار أو التظاهر به

تُراود بعض الفتيات أحياناً، خصوصاً أُولئك اللاتي يـعانين اضـطرابـات

نفسيّة أو مشاكل في حياتهن، هواجس التفكير بالانتحار أو التظاهر بالانتحار. ويهدفن من وراء تصرفاتهن هذه إما التدرّب على الانتحار أو إخافة والديهن وتحذيرهما.

فمن حالات التظاهر بالانتحار، يمكن الاشارة إلى حالات من قبيل الاقدام على جرح الأيدي بآلة حادة، أو تناول مجموعة من الأقراص، أو اسقاط النفس من ارتفاع معين و... كما وهناك طرق عديدة يستخدمنها في الانتحار الفعلي، ومنها تناول المواد السامة، أو شنق النفس أو تنفّس الغاز، أو استعمال الأسلحة النارية و...

وهذه الحالة شائعة في سني ١٦ ـ ٢٠ عاماً بنسبة أكبر من المرحلة الأولى للمراهقة أو مرحلة البلوغ. فمن شأن اثارة بسيطة أن تدفعهن إلى التفكير بالانتحار. وبطبيعة الحال لايُستبعد أن يكون لحالات الكبت والحرمان المتراكمة في سني الطفولة، دور في دفع الفتاة إلى التفكير بمثل هذا الشيء. وعلى أي حال، فمن الضروري اتخاذ الحيطة والحذر الدائمين، واستشارة الطبيب النفساني عند الحاجة.

الخفّة والوقاحة

من الانحرافات في هذه السن والتي تنطبق على بعض الفتيات، حالة الخفّة والوقاحة التي تتجلّى على شكل التبرّج من حيث الأزياء وأبداء الزينة. إن ما نلاحظه في الشوارع من هذه الحالات انما يحصل في الغالب بعيداً عن أعين أولياء الأُمور. فهؤلاء يرتدين مثل هذه الأزياء ويستعرض لمثل هذه التصرفات ويخرجن إلى الشارع في غلفة عن الأباء. وحتى في العالم الغربي، رغم كل الحريات الخاطئة في هذا المجال، نجد إنّ هذه الحالة مرفوضة من قبل الأباء والأمهات، وإذا حصلت فانما تحصل في غفلة منهم.

إنّ من شأن هذه الحالة ان تؤدّي إلى عواقب غير محمودة للفتاة، وأن تخلق متاعب كثيرة للوالدين والأسرة لما يمكن ان يترتب عليها من علاقات محرّمة بين الجنسين تنعكس آثارها على شكل شيوع الفساد والرذيلة في المجتمع.

العوامل المسبّبة

يمكن ذكر مسائل عديدة في هذا المجال ومنها جهل الوالدين وغفلتهم عن المخاطر التي يمكن أن تهدّد فتياتهم نتيجة هذه الحالة، وعجزهم عن ضبطهن والاشراف على علاقاتهن خارج البيت، وانشغالاتهم الكثيرة التي لا تُبقي لهم فرصة تفقد بناتهم وابداء التوجيهات والارشادات اللازمة لهن، ووجود المنتديات المفسدة، وامكانية اللقاءات المحرّمة في المدن بسهولة، وضعف الوعي الديني والأخلاقي، والشعور بالحرمان من الحبّ والحنان في وسط الأُسرة، والاختلالات العصبية و.. الخ.

وفي الوقت ذاته لابدّ من معرفة إنّ هذه الانحرافات لا تحصل دفعة واحدة أو بشكل فجائي، بل أنها تحصل بالتدريج، وفي حال عدم مكافحتها في بداياتها، فانّها تتفاقم شيئاً فشيئاً لتتجذّر في الشخصية على شكل انحرافات مرضية يصعب علاجها.

الباب الثالث عشر

تمهيد

نتحدّث في هذا الباب حول موضوع التربية في ثلاثة فصول : ففي الفصل الأول نتحدث حول ضرورة تربية الفتيات المراهقات ، ونسلّط الأضواء فيه على أهمية الاعتناء بتربية الفتات ، في البعدين الفردي والاجتماعي ، وحاجتهن إلى عون الوالدين مادياً ومعنوياً ، ونتناول كذلك مضاعفات تركهن لحالهن ، ونتعرّض لمسؤولية الوالدين ، وخصوصاً الأمهات ، في هذا المجال ، ولما يجب التسلّح به من معلومات في سبيل تربية الفتيات تربية ناجحة وموفّقة .

ونُفرد الفصل الثاني للحديث حول أهداف وبرامج تربية الفتيات المراهقات ، ونتحدّث فيه عن أهدافهن الشخصية ، والاجتماعية ، والدينية ، والأخلاقية ، ونشير إلى أهم المرتكزات الأساسية في عملية تربية أعضاء هذه الفئة وتشجيعهن على بناء أنفسهن استعداداً للحياة .

وأخيراً نتناول في الفصل الثالث مسألة المرّبيات والخصائص التي يجب أن تتوفر لديهن . وليس من شكّ في انّ للأسرة والمدرسة واجبات ومسؤوليات في هذا المجال ، ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار ، ونحن هنا سنتعرض لبعضها في هذا الفصل .

الفصل الثامن والثلاثون

في ضرورة التربية

مقدّمة

تحتل التربية أولى الأولويات في حياة الانسان. ولا يمكن للانسان أن يستغني من وجود مربي أو معلم يُربيه ويهديه إلى سبل العيش السعيد في أي مرحلة من مراحل الحياة. فلم يأتي الأنبياء الإلهيون لتربية الأطفال والشباب وحسب، بل انما بُعثوا لهداية البشرية جمعاء.

إنّ أمر التربية ضرورة لجميع الناس في كل عصر ومصر وتزداد هذه الضرورة في عصرنا الحاضر أكثر من ذي قبل وذلك لتعقّد الحياة وشيوع عوامل الانحراف والسقوط بشكل لم يسبق له مثيلاً. اضافة إلى ذلك الضرورات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي تحتّم استمرارية التربية وتواصلها.

في تربية الفتيات المراهقات

وتزداد هذه الضرورة بشأن تربية الفتيات المراهقات أكثر من أي فئة عمرية أخرى، وذلك لماتتّسم به هذه المرحلة من حياتهن من انفعالات واضطرابات تستوجب أن يكون على رأسهن هادٍ وموجّه يسدّد خطاهنّ ويرشدهنّ إلى السبل الصحيحة في الحياة. ويمكن تناول أمر تربية الفتيات من بعدين وهما:

١ ـ البعد الفردي: الفتاة في هذه السن تكون قد كبرت إلى حد ما، ولابدّ لها أن تغادر دنيا الطفولة شيئاً فشيئاً، وتتعلم اساليب حياة الكبار. وعليها أن تدرك بأنه يجب عليها الاعتماد على نفسها من الآن فصاعداً في حلّ مشاكلها

وإدارة حياتها، ويجب عليها أن تضبط انفعالاتها ولا تدعها تخرج عن الحدّ المعقول.

انّ مرحلة المراهقة هي مرحلة تثير دواعي القلق لدى المربية، وذلك لأنها تتصوّر عادة أنّ هناك مخاطر تتهددها، وبالتالي تواجه مشكلات جديدة في أداء الواجبات التربوية. ولذا فمن الضروري أن تضبط هواجسها، وتدقّق في تصرفاتها، وتسير وفق خطّة مدروسة في اعمالها.

فالفتاة بحاجة إلى أن تفهم لماذا يجب عليها أن تحافظ على نفسها ولماذا ينبغي عليها أن لا تثق بأي كان؟ وماذا يجب أن تفعل من أجل بلوغ المعاني السامية للحياة؟ وكيف يجب أن تتصرّف إزاء مختلف القضايا التي تواجهها و... وهذه الأُمور كلها تتطلّب تربية وتثقيف وتدريب وتعويد.

٢ ـ البعد الاجتماعي: هي الآن فتاة في البيت أو المدرسة لكنها ستتزوج عما قريب فتصبح زوجة وأم. وما أسوء أن تذهب إلى بيت الزوجية، قبل أن تكون قد استعدّت لمثل هذه المرحلة، وتسبب متاعب للزوج والأبناء والمجتمع.

انّ قبول دور الزوجة والأم في الحياة هو كقبول مسؤولية الجندية في الجيش، فالتي تريد الدخول في معترك الحياة الأسرية، فانّ مهمتها تشبه مهمّة الجندي في ساحة الحرب، فكم هو تعيس الجندي الذي يُرسل إلى ساحة القتال دون أن يكون قد تدرّب على فنون القتال.

والفتيات بحاجة، قبل الذهاب إلى بيت الزوجية، إلى التوعية بشأن الحياة الزوجية، وإلى التثقيف على اداب ورسوم البيت وتربية الأطفال.

حاجتهن للمساعدة

هؤلاء قد كبرن من حيث الشكل والقامة، لكنّهنّ ما زلن صغيرات لم يكتمل

نموهنّ من الناحية الفكرية والنفسيّة، وما زالت حاجاتهن للمساعدة والتوجيه باقية بنفس قوّتها، وليس من الصحيح تركهن لوحدهن دون مساعدة وتسديد. إنّ هؤلاء يعانين نوع من العجز وعدم القدرة على التمييز بين الأشياء ويبلغ هذا العجز احياناً درجة لا يستطعن التفريق بين ما هو عاطفي وما هو فكري ومنطقي من المسائل. وهو ما يفرض التواصل معهن وتقديم ما يمكن تقديمه لهنّ من مساعدة وتوجيه وإرشاد في شؤونهنّ الحياتية.

مسؤولية الوالدين

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله بشأن البنات: «من كانت له ابنة فأدبّها وأحسن ادبها، وعلمها فأحسن تعليمها، فأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليه، كانت له منعةً وستراً من النار»[1].

من مسؤوليات الوالدين التواصل مع الفتيات وتوجيهن أخلاقياً وفكرياً ومساعدتهن على حلّ مشاكلهن وكل ما يرتبط بحياتهن ويحتجن فيه إلى الرأي والمشورة وتقديم النصح والارشاد. والّا فبخلاف ذلك فانّ من شأن عدم الانفتاح عليهن وعدم الاكتراث بشؤونهن من قبل الوالدين أن يجعلهن يتّخذن في حياتهن قرارات غير صائبة وذات نتائج سلبية في معظم الأحيان.

مسؤولية الأم

ليس من شكّ في كون الأم والأب مسؤولان عن تربية الأبناء بنفس الدرجة، إلّا انّ واجب الأمّ ومسؤوليتها تجاه الفتاة أخطر وأهم نسبةً إلى الأب. فالأب عادة لا يعرف شيئاً كثيراً عن الوضع التربوي للفتاة، وإذا اراد أن يعرف فلابدّ له من الرجوع إلى الأم والاستفسار منها. أما الأمّ فانّها ليست كذلك،

---

(١) كنز العمال، ج١٦.

ويُفترض بها أن تكون دائماً قريبة عن فتاتها ومنفتحة عليها ومطلعة على همومها وتطلّعاتها ومشاكلها في حياتها الخاصّة، وذلك من أجل أن تستطيع القيام بواجب الإرشاد والنصيحة والتسديد تجاه ابنتها.

وكذلك يجب أن تكون الأُمّ قدوة لابنتها في الطُهر والعفاف والشرف، وأنّ تربيها على حبّ العفاف والترفّع عن الرذائل عملياً. فلو تصوّرت البنت إنّ امّها غير ملتزمة في تصرفاتها وعلاقاتها، فانّ ذلك سيدفعها بلا شكّ نحو حياة الخفّة والتهتّك وعدم الالتزام. وبعبارة واحدة فانّ تربية الفتاة تربية صالحة تتوقّف إلى حدود كبيرة على جهود الأمّ ومدى جديتها في هذا المجال.

من الخطأ الفادح أن نترك الفتيات لحالهن وأن لا نعتني بشؤونهنّ تربوياً. فهذه الحالة لا هي في صالح الفتاة ولا في صالح الأُسرة بحساب النتائج. ولمّا كانت الفتاة اليافعة قليلة التجربة في الحياة، فانّها لا تستغني بطبيعة الحال عمّن تستشيره في شؤونها ويساعدها في حلّ ما يمكن أن يواجهها من مشكلات يزوّدها بالخبرات اللازمة التي تؤهّلها لأن تلعب دوراً ايجابياً في حياتها المستقبلية كزوجة وأُمّ في المجتمع.

انّ من شأن انعدام تأثير أولياء الأُمور على الفتيات تربوياً أو عدم اكتراث الآباء والأُمّهات بشؤونهنّ، أن يترك نتائج محزنة في حياتهن. فما أكثر الفتيات اللاتي يقعن اسيرات للهوى وللرغبات الجنسية المنفلتة التي تؤدي بهن إلى السقوط في هاوية الفساد والرذيلة بسبب غفلة الوالدين وانشغالهم عن متابعة شؤونهن وتفقّد أحوالهن.

مستلزمات التربية الصحيحة

انّ من مستلزمات التربية الناجحة في التعامل مع الفتيات الالمام بظروفهن

وحاجاتهن في هذه السن، وكلّما زاد مستوى هذا الالمام كلّما كانت نتائج التربية أكثر ايجابية، والعكس ايضاً صحيح، حيث يمكن أن يترتّب على الجهل وعدم الوعي في هذا المجال نتائج سلبية تُعقد الأوضاع أكثر فاكثر.

ومن الضروري في سبيل إدراكهن والتعامل معهن عن وعي ودراية التسلّح بمعلومات كافية في مجالات علم البايولوجي وعلم النفس، وعلم النفس التربوي، وحتى علم الاجتماع في بعض الحالات ... الخ. وفضلاً عن ذلك فإنّه يجب على المربّي أو المربيّة أن يتمتع بدرجة من الوعي والفطنة التي تؤهّله لأن يدركهنّ ويكتشف مغازي ودوافع سلوكهن سريعاً.

فلسفة التربية

انّ فلسفة تربية الفتاة هي بشكل عام المساعدة على نمو شخصيّتها، واكتشاف قابلياتها وتنميتها، والسعي إلى انضاجها فكرياً وسلوكياً، وإعدادها نفسياً للانخراط في معترك حياة شريفة يكون بمقدورها، أن تلعب فيها دوراً ايجابياً كأمّ وزوجة في الاسرة وعضوة فعالة ومفيدة في المجتمع. والحق إنّ الفتاة خُلقت بالأساس لتلعب دور الأم والزوجة في الحياة ـ خُلقت لتكون نصفاً ملتحماً بنصفها الأخر وليس كائناً مستقلاً بذاته.

الفصل التاسع والأربعون

الأهداف والبرامج

مقدّمة

هناك مجموعة من الأُمور الضرورية في مرحلة المراهقة يجب على أولياء الامور والمربّين أخذها بنظر الاعتبار عند تعاملهم مع الفتيات، وللالتـزام بـهذه الأُمور ورعايتها آثار مهمة جداً فـي نـمو الفـتيات وتـربيتهن تـربية صـالحة. وبالأصل فإنّ التربية عملية هادفة يأخذ فيها الولي أو المربّي بيد الفتاة ويوجّهها باتجاه معين وواضح ومحسوب مسبقاً، ويستخدم خلالها من أجل ايصالها إلى الهدف أو الأهداف التربوية ما لديه من وعي ودرايـة وخـبرة فـي أمـر التـربية والتوجيه.

مجالات *التربية*

ولما كان مجال البحث لا يتّسع هنا لتناول أهداف التربية من جميع جوانبها وأبعادها، لذا فإننا سنكتفي بذكر بعض جوانبها على شكل إشارات مضغوطة في ثلاثة أبعاد شخصية، واجتماعية، واخلاقية ودينية، وكما يلي:

١ ـ **في البعد الشخصي**: وتشمل الأهداف جميع الأبعاد الوجودية لهن، وينبغي أن يكون هناك هدف لكل حاجة من حاجاتهن في هذا المجال، ومنها:

ـ في البعد الجسمي، والهدف هو رعاية النمو، وتقوية الجسـم، ومـهارة الأعضاء، وتعديل الغرائز، وترويض الجسم على التحمل والمقاومة، ومـراعـاة النظافة، وحمايةالجسم من الأضرار والصدمات.

ـ في البعد الذهني، والهدف هو تنمية الذهن، وتقوية الذاكرة، وتربية قوّة التخيّل، وتنمية الذكاء والقدرات العقلية.

ـ في البعد النفسي؛ والهدف هو تنمية الإرادة وتعزيزها وتربية قوة الإدراك، وخلق المحفّزات على التفكير العادي، والاستشرافي، والتشجيع على التحرّر المفيد، وتنمية روح الاستقلال والاعتماد على الذات، والترفّع عن الشهوات غير المشروعة.

ـ في البعد العاطفي، ويعني فيه بتوجيه العواطف، وتعويلها، واستخدامها في سبيل الأهداف المنطقية والانسانية، وبالضحك والبكاء في محلّهما والابتعاد عن أجواء الاثارة والانفعال العاطفي، وعن مواضع الخوف والهلع الشديدين وتجنّب الاضطراب والقلق.

وبشكل عام، فانّ الهدف هو أن تعرف الفتاة نفسهما، وتنمّي قابلياتها، وتكون صبورة، ومتسلّطة على عواطفها وانفعالاتها، وأن تكون قراراتها وتصرفاتها منطقية وعقلائية، وتحترم ذاتها، وتملك فلسفة واضحة لحياتها، وتسعى وراء تحقيق هدف أو اهداف سامية في الحياة.

٢ ـ في البعد الاجتماعي: الفتاة الآن في مستوى من النمو تكون فيه قد تجاوزت الطفولة وتأهّلت للانخراط في الحياة الاجتماعية. ويجب التفكير بشأن هدف حياتها الاجتماعية، أعني أنه يجب إعداد ارضية تساعدها على الاستقلال بحياتها عن الاسرة بالتدريج، وتخلق لديها القدرةعلى التعامل مع شؤون الحياة كما الكبار.

إن هدفنا هو تربيتهن بالشكل الذي يؤهلهنّ لأن يحترمن الأبوين والأخرين في علاقاتهن بهم، ويلتزمن بالحياة الأُسرية، وأن يكنّ قادرات على تحمّل أعباء إدارة الأسرة والحياة الزوجية، وليكن عوناً للفقراء والمحتاجين و...

الفتاة بحاجة إلى أن تتعرف على الأوضاع الاجتماعية، وأن تدرك الأبعاد والجوانب الايجابية والسلبية فيها، وبحاجة إلى أن تكون لها رأي سلبي بحالات

الجرم والانحراف وأن تطالب بمجازات وإصلاح فاعلي الجرم والسوء، وأن تلعب دوراً مؤثّراً في إرشاد وتوجيه الآخرين. وكذلك من الضروري أن يكون لديها إلمام بالقضايا السياسية والاقتصادية والثقافية وأن تكون عضوة فعّالة ومؤثّرة في هذه المجالات.

٣ ـ في البعد الأخلاقي والديني: الفتاة بحاجة إلى تربية دينية وأخلاقية. فهي من جهة في سن يوجب عليها الالتزام بالتكاليف الدينية، ومن جهة أُخرى يفرض عليها وضعها الجديد ان تتقيد. بمجموعة من الضوابط الأخلاقية في سلوكها وتصرفاتها.

وإنّ من شأن عدم التزامها بالتعاليم الدينية والأعراف الأخلاقية، أن يترك اضراراً على شخصيّتها وعلى المجتمع الذي تعيش بين ظهرانيه.

انّ الدين يلعب دوراً مؤثراً وبنّاء في حياة الفتاة في هذه السن التي تموج بالرغبات والانفعالات العاطفية والغريزية، ومن هنا فان الضرورة تفرض المبادرة إلى تثقيف الفتاة بمبادىء وتعاليم الدين، والسعي إلى تنمية روح الايمان والالتزام لديها، وكذلك يجب العمل على خلق حب الالتزام بالضوابط الأخلاقية في شخصيتها، وتشجيعها على فعل الخير والانتهاء عن النواهي والمحرّمات، وعلى أن تسعى لكي تكون أنموذجاً للشخصية المؤمنة في سلوكها وتعاملها مع الآخرين.

أهم مرتكزات التربية

تختلف تربية الفتيات في مختلف سني المراهقة من حيث الجوانب التي ينبغي التركيز عليها. ففي السنوات الأُولى للمراهقة يتمّ التركيز على تربية شخصياتهن، وفي السنوات التالية يتحول الاهتمام إلى تربيتهن من الناحية

الثقافية بحسب مستوى ودرجة النمو

ففي التربية الشخصية، ينصب الاهتمام على تنمية الإرادة لدى الفتاة، وخلق بواعث ومحفّزات تُساعدها على إثبات أهليّتها وضبط نفسها أمام نوازع الأوهام والأفكار والوساوس المضرّة، وبالتالي تأهيلها من الناحية النفسية لأن تفكّر وتتصرّف بشكل هادىء وسليم.

ومن المسائل الثقافية، التي يجب تربية الفتاة عليها وتزويدها بمعلومات عنها وحثّها على كسب المزيد من المهارات بشأنها، يمكن الإشارة إلى قضايا العلم، وأداب وضوابط العيش، وفلسفة الحياة،والاهتمام بالفن والقيم، وفنون الأدب والشعر و...

تفتح المدارك ووعي الذات

تعتبر سن المراهقة سن تفتح المدارك ومعرفة الذات. فنتيجة للتغيرات العضوية والنفسية التي تحصل لدى الفتاة في هذه المرحلة، فانها تكتسب نوعاً من الوعي الصريح والواضح بذاتها وظروفها، وهي فرصة طيبة يجب على أولياء الأُمور والمربين استثمارها في تربية الفتاة وزيادة وعيها في هذا المجال.

وإلى جانب ذلك، فانّ هناك مسألة تهذيب النفس وبنائها، ويجب أن يتمّ على النحو الذي يجلب لها الوقار والرزانة في سلوكها، وأن تصرف طاقاتها في المجالات التي تنمّي شخصيتها وتعزّزها. ومن شأن تهذيب النفس والسعي باتجاهه أن يعصم الفتاة من السقوط في مهاوي الانحراف والفساد.

التأهيل للحياة

من المسائل المهمّة في تربية الفتيات المراهقات هو العمل على خلق ظروف تتيح لهن، في ظل التدريب والممارسة، امكانية حلّ قضاياهن بأنفسهن،

والاستغناء عن مساعدة الوالدين أو متابعتهم لشؤونهن.

وعلى ضوء ما يشاهدنه في حياتهن من مسائل، يجب عليهن التأسّي بوالديهن ومعلميهن ثم الدخول في الحياة الاجتماعية بالتدريج. إنّ على الفتيات ضبط النفس في الظروف الصعبة والتصرّف بطريقة صحيحة. وعلى الوالدين، وخاصة الأُمّهات، العمل على تأهيلهن لظروف الحياة شيئاً فشيئاً، وتشجيعهن على الممارسات الحياتية بغية كسب الخبرات والتطور التدريجي في هذا المجال. ففي هذه المرحلة تميل الاناث إلى ابراز الشخصية والتدليل على انهنّ ناضجات وقادرات على إدارة وانجاز الأعمال. وفي هذه الحالة ينبغي العمل على تنمية قدراتهن في هذا الاتجاه. وطبيعي إن الادراك الصحيح للوالدين والمعلمين مؤثّر في هذا الصدد.

تقبّل التربية

الانسان من وجهة النظر الإسلامية كائن قابل للتربية، وطبيعي ليس بشكل مطلق وإنّما وفق شروط ومحددات موضوعية. والفتيات، رغم ما يتّسمن به من تقلّبات انفعالية في هذه السن، فانهنّ مؤهّلات من الناحية الفكرية لأن يتفاعلن ايجابياً مع المسائل التربوية إلى حدود كبيرة. وبحكم المشاعر العاطفية الرقيقة التي يمتزن بها، فإنهنّ اسرع تقبّلاً للبرامج التربوية قياساً مع الفتيان.

الفصل الخمسون

المربية والفتاة المراهقة

مقدّمة

تدلّ التجارب على أنه ليس بمستطاع أي كان مـن الآبـاء والأمـهات أن يدّعي بأنّه يربّي ابناء اصحّاء أو يسير في تربيته فيما يتّصل بالفتيات وفق اسلوب صحيح ومحسوب. إنّ الأبناء الأصحّاء والشرفاء أنما يخرجون في الغالب مـن أسر شريفة وواعية. فمثل هذه الأُسر هي التـي تـوفّر، بـاشرافـها وتـوجيهاتها السديدة، سبل النمو والرشاد للأبناء.

انّ أولياء الأُمور والمربين الواعين يسعون لمعرفة ما يجيش في دواخـل الأبناء في هذه المرحلة من العمر، ويجدون فـي ادراك مـا يـدور فـي أعـماق أنفسهم. فطبقاً لأحد الأمثال «فإن المياه الهادئة انما تجري في الأعماق»[1].

إذاً فإنّ حصر الاهتمام بظواهر الأبناء ليس عملاً محموداً. يـجب إخـبار الأعماق والاجابة عن الأسئلة والاستفهامات التي تدور في أعماق أنفسهم.

خصائص المربّين

قد لا يكون بمقدور أي كان اداء واجب التربية بنجاح فيما يتّصل بالتعامل مع الجيل المراهق والفتيات منه على وجه خاص. فيجب أن يتمتّع أولياء الأُمور والمرّبين بمستويات كافية من الوعي وبـخصائص تـتيح لهـم امكـانية التـربية والتوجيه الصحيحين عند التعامل مع أعضاء هذه الفئة.

وعند التأمّل فيما ينبغي أن يتميز به المتعاملون مع أعضاء هذه الفئة مـن

(١) مثل غربي.

خصائص ومؤهلات، نجد أنه يجب أن يتعرفوا على خصائص الانسان الكامل والمربي الخبير، إلا أن مثل هذه الشيء إن لم يكن مستحيلاً فإنّ من العسير جداً تحققه في عامة الأباء والامهات والمربّين. لكنه وبشكل عام يجب على المشتغلين بأمر التربية والتعامل مع الفتيات أن يمتازوا بمجموعة من الخصائص والصفات ومنها الوعي، وسعة الصدر والتحمّل، والتجربة، والصدق والعزم، واللين، وروح الاستقطاب والانفتاح، والجد والاندفاع الذاتي في سبيل حل مشكلات الفتاة وتسديدها وتوجيهها إلى الحلول المناسبة، و..

نوع العلاقة بالفتيات

عادة إذا كانت العلاقات بين الآباء والأبناء قوية، وكان الآباء منفتحين على الأبناء خصوصاً في السنوات الأولى للمراهقة، فانّ هؤلاء لا يلجأون إلى معارضة الأبوين أو التمرّد على أوامرهم وتوجيهاتهم بأي حال من الأحوال. ومن الضروري جداً أن تكون الفتاة واثقة بالأم ومطمئنة بأنها تحفظ سرّها وتسعى في سبيل صلاحها وسعادتها في كلّ الأحوال والظروف.

الفتاة تتاثر بإيحات الأبوين، وخصوصاً الأم، سواء بالاتجاه الايجابي أو السلبي ،وبحسب تعبير أحد العلماء، فإننا حتى لو قلنا للفتاة أنك ستفتضحين وتفسدين بالنتيجة فقد تصبح كذلك يوماً ما. ومن هنا فإنّه يجب التفكير دائماً بعواقب الأمور عند الحديث والتعامل مع الفتاة.

إنّ من الحكمة أن ينفتح الأبوان والمربون على الفتاة في هذه المرحلة المتأزمة من حياتها وأن يبنوا علاقاتهم بها على اساس من الصداقة والمحبّة والاحترام المتبادل. فبامكان الأولياء من خلال علاقة الودّ المتبادلة هذه أن يطّلعوا على جميع شؤون الفتاة فيوّجهونها ويعينونها على حلّ مشاكلها.

واجب الولاية

من الضرورة بمكان أن نطلب إلى أولياء الأمور أن يبقوا قائمين بواجب الولاية على شؤون بناتهم. إنّ واجب الأبوّة أو الأمومة يحتم على أولياء الأمور أن يمارسوا تجاه فتياتهم دور الراعي والحامي الواعي الحذر في كلّ الظروف والأحوال، ودور الراشد إلى سبيل الخير والصلاح والهداية. فإذا فعلوا ذلك فانهم يكونون قد أدّوا واجب الولاية، وإلّا فلا!

وفي سبيل اداء هذا الواجب، فانه من الضروري أن يبادر الأولياء إلى تحذيرهن من المخاطر والاضرار، وطمأنتهنّ بأنهم يريدون بذلك خيرهن وصلاح أحوالهن وسلوكهن، وينبغي أن تبني علاقة الأبوين بالفتاة المراهقة، خصوصاً في سنوات ما بعد البلوغ، على اساس الحب والاحترام الفهم المتبادل، وذلك من أجل أن يتمكّنوا من إيصال آرائهم ووجهات نظرهم وتوجيهاتهم اليها في أجواء هادئة وخالية من التوتّر. كما أنّه يجب أن تكون عملية التوجيه والارشاد باسلوب حواري اقناعي رصين، لأن فرض الرأي عملية غير مجدية ومن شأنه أن يتحول إلى حالة قمعية تولّد عقداً نفسية غير محمودة العواقب.

دور المدرسة

للمدرسة والمعلّمة دور غير قليل في توجيه وارشاد الفتيات المراهقات. فهناك مسائل كثيرة لدى أعضاء هذه الفئة لا يستطيع الوالدين مساعدتهن على فهمها وحلها في معظم الحالات. أما المدرّسة والمعلمة فإنها تستطيع حلها وافهامهن بشأنها على أحسن وجه. فمثلاً فيما يتّصل بالقضايا الجنسية يمنع الخجل أحياناً دون مبادرة الآباء، وحتى الأمهات، إلى شرحها بشكل واضح وصريح للفتيات، في حين بامكان المعلمة أن تشرحها لهنّ بسهولة في الفصل أو

حتى بشكل خاص وعلى انفراد.

إنّ بامكان المدرّسة أن تزودهن بخبرات كثيرة عن الحياة وأن تعرض لهن اشياءً عملية أهم من الكلام المجرّد. فباستطاعة المعلمة أن تكون هادية وموجّهة للفتاة، وحادثة لها على طاعة الوالدين والانقياد لتوجيهاتها أو تعظيم شأنهما في عينيها.

احترام الشخصية

يجب أن تقوم العلاقة بالفتيات في مرحلة المراهقة، وخصوصاً في سن ١٤ فصاعداً، على اساس الودّ والاحترام المتبادل وتكريم شخصياتهن. ومن مظاهر هذا الودّ والانسجام احترام استقلالهن وحرياتهن المشروعة في الحياة. إنّ من شأن التعامل المعقول والمنطقي مع الفتاة من قبل الوالدين والمعلمات، والقائم على الود والفهم المتبادل، أن يوثّق العلاقة بالبنت ويشعرها بأنها محاطة بالحب والاحترام والاهتمام من قبل الولي أو المعلمة.

ومن المظاهر الأخرى لاحترام الفتاة الاستماع إلى آرائها والطلب اليها أن تبدي وجهات نظرها في المسائل التي لها القدرة على ابداء الرأي بشأنها، وكذلك الوفاء بالوعود التي تُعطى لها باعتبار أنها تعتبرها اشياءً ناجزة.

انّ أسلوب الهيمنة والتسلّط على المراهقات بالقوّة، دون الأخذ بنظر الاعتبار مبادىء الاحترام والفهم المتبادل، هو اسلوب غير مجدٍ وخاطىء بالمرّة ويتّفق علماء النفس والتربية على أن العلاقة بالفتيات يجب أن تنبني على أساس من الوعي والودّ واللين والتوجيه من خلال ذلك.

صعوبة التربية

إنّ الاتيان على ذكر الصعوبة في التعامل مع المراهقات هو من أجل إلفات

نظر أولياء الأمور والمربين إلى ضرورة التسلح بالوعي، والجدّية وسعة الصدر، والمثابرة، أثناء الاشتغال في تربية أعضاء هذه الفئة. وبالأصل فإنّ التعامل مع المراهقة ليس بالأمر اليسير. فالذي يعمل مع المراهق، ينبغي أن يكون خبيراً في مجال التعامل مع أعضاء هذه الفئة وعارفاً بمشكلاتها وقادراً على إيجاد حلول مناسبة لها، ومؤثّراً وليس متأثراً.

ونعود ونؤكّد مرةً اخرى على إنّ العلاقة بالفتاة يجب أن تكون علاقة ودّ واحترام، لأنها الآن في وضع لم تعد تردعها أساليب الزجر والتهديد، كما في سنوات الطفولة، بل على العكس من ذلك فإنها تدفعها إلى التمرّد والامعان في المشاكسة.

الباب الرابع عشر

تمهيد

من الضروري بذل الاهتمام والعناية بنمو الفتيات في جوانب عديدة . ولا ننسى إنّ للشخص في كل مرحلة سنية مجموعة من المشكلات والحاجات لا يمكنه حلّها والاستجابة لها بمفرده ولابدّ له من استمداد العون والمساعدة عليها من الوالدين والمربين . وسنعرض في هذا الباب أهم القضايا ، التي ينبغي العناية بها في تنشئة ونمو الفتيات ، في هذه المرحلة من العمر ، وفي خمسة فصول .

ففي الفصل الأول نتحدّث حول العناية بأبدانهن ، ويشمل ذلك صحّتهن وسلامتهن ، والاهتمام بغذائهن وبالأمراض والاعتلالات العضوية التي يعانين منها .

وفي الفصل الثاني نبحث حول قضية الاهتمام بهن فيما يتّصل بجانب الغريزة الجنسية وتزويدهن بالثقافة والمعلومات الضرورية في هذا المجال ، وحثّهن على ضبط نوازع الغريزة وتعديلها ، والحذر من الانحراف .

كما ونتناول في الفصل الثالث الاهتمام والعناية بالجانب العاطفي ، بما فيه تعديل العواطف وتوجيهها وجهة صحيحة ، ومعالجة مسألة الاضطراب والخوف لديهنّ ، واشباع حاجتهن للحبّ والحنان ، وتشجيعهن على حفظ وصيانة أنفسهن .

وكذلك نتعرض في الفصل الرابع لمسألة الاهتمام برعاية الجانب الذهني والنفسي لهن ، والسعي في سبيل خلق روح الثقة والاعتماد على الذات في

انفسهن، وتوجيههنّ إلى التصرف الصحيح إزاء الأمراض النفسية، والعمل على افهامهن في الحالات التي تحتاج إلى العلاج الطبي.

وبالتالي فقد خصصنا الفصل الخامس والأخير من هذا الباب للعناية بالجانب السلوكي والأخلاقي للفتيات المراهقات، فيما هو توجيههن وارشادهن دينياً وأخلاقياً، والمساعدة على حل الصعوبات والمشكلات التي يواجهنها، وتزويدهن بالخبرات في مجال العلاقات الاجتماعية، والحرية، والملبس، و...

الفصل الحادي والخمسون

العناية بالجسم

مقدّمة

إنّ نمو الفتيات شيء يبعث على التفاؤل والسرور لأنهنّ يكنّ بذلك قد تجاوزن سن الطفولة سليمات صاحيات، ولم يعدن يعانين شيئاً من مشكلات مرحلة الطفولة. إلّا إنهن في هذه السن ايضاً بحاجة إلى رعاية وإعتناء في جوانب مختلفة من حياتهن، وفي حال إهمالهن فإنهن سيتعرضن لمشكلات من نوع آخر.

ومع بدء فعالية الغرائز الجنسية لدى الفتيات يطرء عليهن تغييرات شاملة نفسية وعاطفية، ويملن إلى الرياضة والتنزّه، والثقافة، والانخراط في عالم الفن والأدب، وهي مسائل يفترض بأولياء الأُمور وأن يتفهمونها ويعطفوا اهتمامهم عليها. وكذلك يجب الاهتمام في هذه المرحلة بثلاثة مسائل وهي: الغذاء المناسب بما يستجيب لمتطّلبات هذه السن، وسلامة الجسم، وصحة النفس.

سلامة وصحّة الجسم

فمع بروز اولى بوادر البلوغ الجنسي لدى الفتيات يجب المبادرة إلى توعيتهن بضرورات النظافة والمحافظة على سلامة الجسم. ومن أجل سلامة الجسم، يجب الاعتناء مثلاً، بإنارة وتهوية الغرفة، وبنظافة الأظافر، وغسل الأطراف، والحركات الرياضية، وبنظام معين للنوم لا يقل عن ثمان ساعات في اليوم.

ومن الضروري لبعضهن من الاستحمام بالماء والصابون يومياً، تلافياً لحدوث رائحة كريهة في أجسامهن خصوصاً تحت الأبط، مع الاستفادة من

المواد المزيلة لهذه الرائحة.

كما ويجب تغيير الملابس الداخلية في أيام الحيض بمجرد اتساخها، وتجنّب التمارين الرياضية الشديدة كالقفز، والجري، والفروسية وقيادة الدراجات الهوائية، والرقص. والحفاظ على دفء القدمين، وتجنّب الجلوس في الأماكن الباردة والامتناع عن الاستحمام في الأنهار أو البحار، وعدم اجهاد النفس.

في التغذية

البناء في سني المراهقة بحاجة إلى غذاء كاف، ونوم مناسب، وبرنامج للصحّة، وبحاجة إلى التنزّه وممارسة المشي في الهواء الطلق، وإلى جليسة ونديمة يبثنها همومهن ويطارحنها مشكلاتهن وبشأن النظام الغذائي يمكن القول إنّ مقدار غذاء الفتاة في سن ١٤ ـ ١٧ عاماً يُساوي تقريباً سبعة أعشار غذاء الشخص الكبير. وبشكل عام فإن غذاء امرأة عادية يُساوي تقريباً ثمانية أعشار غذاء الرجل.

للتغذية الجيدة أثار بالغة الأهمية في نمو وقوّة ونشاط الفتيات. فهي تُساهم في زيادة طاقاتهن وبالتالي قدرتهن على الحركة والنشاط والفعالية في حياتهن، وعلى العكس من ذلك، فإنّ من شأن سوء التغذية أو قلّتها أن يترك آثاراً مخربة على صحّة وسلامة الفتيات. ومن هنا يجب أن يكون الغذاء كافياً ومشبعاً لهن في الوقت ذاته، خصوصاً وإنّ للشبع اثر مهم جداً في المحافظة على سلامة الجهاز الهضمي. ومن أجل الموازنة في غذائهن، ينبغي التركيز على الألبان، والسعي إلى الحيلولة دون إفراطهن في تناول اللحوم والبيض. والأكلات الدسمة والحادّة كالعسل والقشطة، والتوابل، وأي غذاء مهيّج.

في انعدام الشهية

قلنا فيما سبق إن الفتيات يتعرضن في هذه المرحلة من النمو لحـالة مـن انعدام الشهية والادبار عن الطعام، ومبعث ذلك يكون تارة طـبيعياً (بـيولوجياً) وأخرى نفسياً (سيكولوجيا)، أو بسبب الميل إلى الالتزام بنظام الحميّة في الأكل مرةً، ونتيجة الحالات الحزن والقلق والاضطراب مرّة أخرى.

ومبدئياً يجب العمل على الوقاية من تعرض الفتيات لمـثل هـذه الحـالة ومكافحتهـا في حال حصولها وعدم السماح لها لأن تتحوّل إلى حالة مستديمة. فاذا اصبن بانعدام الشهية، خصوصاً اذا كانت البواعث نـفسية، فـانه ليس مـن السهولة ارجاعهن إلى حالتهن الطبيعية، وقد تتطلب الحالة، في بعض الموارد، استشارة الطبيب النفساني.

بالأصل ينبغي العمل على خلق أجواء وظروف تُساعد على فـتح شـهية الفتاة وترغيبها بتناول الطعام، ويمكن تحقيق هذا الهـدف عـن طـريق الحـوار الاقناعي حيناً، وبواسطة العلاج النفسي في أحايين اخرى أو عن طريق اشغال الفتاة باللألعاب و... الخ. فمثلاً يمكن الهاؤها بالمشي وبتبادل اطراف الحديث معها حول مختلف الشؤون والقامها أثناء ذلك شيئاً من الأكل أو حبّة من الزبيب أو الفستق وتكرار هذه الجولة عدّة مرات إلى أن تزول منها هذه الحالة وتعود إلى حالتها الطبيعية. وطبيعي إنّ الحد من حالات الخوْف والاضطراب شيء مهم جداً في هذا المجال.

وفي حال عدم زوال هذه الحالة، لابدّ مـن الرجـوع إلى الطـبيب وأخـذ العلاج الذي يسرّع الامتصاص الغذائي في الجسم.

في البدانة والنحافة

في بعض الحالات يزداد وزن الفتاة في مرحلة المراهقة والبلوغ زيادة غير

طبيعية، وما لم يتم الحؤول دونه، فإنّ من الممكن أن يؤدي إلى بدانة ثابتة لديها.

إذاً فمن الأفضل مراجعة الطبيب بشأنه. وإلى جانب الأدوية والعقاقير التي يصفها الأطباء في مثل هذه الحالة، فإنهم يشيرون ايضاً، في حالات معينة، على المريض بالراحة والالتزام بنظام غذائي خاص، ويسعون من خلال العلاج الشفهي النفسي في سبيل تخفيف الضغوط والاضطرابات التي يعاني منها.

وطبيعي إنّ لاهتمام الوالدين بتهيئة الأكلات التي تحتوي على كميات قليلة من الدسومة، وتركيزهما على الألبان والخضار في غذاء الفتاة دور جد مهم في الحد من البدانة، كما ويجب الحؤول دون الافراط في تناول الطعام، لأن البدانة تعود في اسبابها إلى حدود كبيرة لهذه المسألة.

وبشأن النحافة، إذا لم تكن حالة طبيعية في الفتا، يوصى بممارسة أنواع من الرياضة الخفيفة، والغذاء الجيّد، والحركة والنشاط، والأهم من ذلك، العمل على إدخال الفرح والسرور على قلب الفتاة وتشجيعها على النشاط والحركة، باعتبار إنّ عوامل الحزن والاكتئاب تساهم، في بعض الحالات، في خمول وذبول الفتاة.

ومن المسائل المفيدة في علاج هذه الحالة، السياحة، والتجوّل في المناطق ذات الطبيعة الجميلة، وممرسة رياضة تسلّق الجبال، والتنزّه عند ضفاف الأنهار والبحيرات و...

في الحركة والنشاط

يجب إعطاء الفتاة فرصة الحركة والنشاط البدني لكي تنمو ويكتمل نضجها من الناحية الجسمية. ويوصون في هذا المجال بتمارين رياضية عديدة كالبروك وإلصاق الركبتين بالصدر، والسير على اربع (سير القطة)... وهذه التمارين تساعد على تقوية العضلات التي تحفظ الأعضاء الداخلية للحوض.

لا تتوقّف فائدة الرياضة على جانب التسلية وحسب، بل أنها تعدّ عاملاً مؤثراً في سلامة الجسم وسلامة المجتمع.

ومن هنا يعد توفير الامكانيات الكافية لممارسة النشاطات الرياضية من الضرورات الهامة في المجتمع. ومن المناسب للفتيات ممارسة العاب رياضية خفيفة من قبيل كرة المنضدة، وكرة السلّة اللتين تعدان لعبتين ظريفتين وغير عنيفتين. وبشكل عام فانّ للرياضة والتمارين البدنية فوائد هامة في هذه المرحلة، وخصوصاً إذا جرت في الهواء الطلق.

في حب الشباب

الفتيات في هذه السن ينزعجن من حب الشباب الذي يطلع في وجوههن، فيضغطن عليه بأصابعهن من أجل اخراج لمواد السائلة تحته، وهذه العملية تتسبّب في انتشار الميكروبات، وتؤدي إلى اتّساع البقع وتعمّقها وقد يبقى اثره على الوجه بشكل دائم. إنّ حب الشباب عبارة عن غدد دهنية صغيرة في الوجه، وفي حال افرازها لمواد دهنية كثيرة فانها تسدّ مسامات الجلد فتتراكم فوق المسامات ذرات صغيرة من الغبار والتراب، وبالتالي تطلع في الوجه حبيبات سوداء، ويترك العبث بها آثار جروح في الوجه.

ولا يستبعد أن يكون لحالة الافراط في تناول الحلويات وسائر الأكلات الدسمة والحلوة والحادة دور في طلوع حب الشباب في الوجه. وفي مثل هذه الحالة، يجب غسل الوجه بالصابون والماء الدافيء مرة لكي ينظف، ومن ثم غسله ثانية وثالثة بالماء البارد والحار على التوالي.

في النوم والراحة

من المسائل الأخرى التي يجب أخذها بنظر الاعتبار في هذه المرحلة من

العمر، هو النوم والراحة. فالفتيات بحاجة إلى النوم والراحة بمعدل ٨ ـ ٩ ساعات في اليوم الواحد، خصوصاً النوم المقترن بالأمن والهدوء، ولا يمكن الاستغناء عن النوم حتى في أيام الامتحانات والظروف الاستثنائية.

النوم عامل للهدوء والسكينة، ويساهم في تراخي الأعصاب ونسيان الهموم والأحزان والاضطرابات. إنّ فتياتنا يشعرن، بعد أخذ قسطاً من النوم، بأنهن قدتخلّصن من الأحزان والهموم، وبامكانهن مواصلة حياتهن بمعنويات جديدة. كما ويلعب النوم دور الدواء والعلاج في حياة الفتيات، ويترك آثاراً مفيدة جداً على أوضاعهن، خصوصاً نوم ما بعد الظهيرة. ففي الحالات التي لا ينمن فيها بسبب الاجهاد والقلق والاضطراب، يجب توجيههنّ إلى ضرورة أخذ قسط كاف من النوم، واضافة مقدار من الألبان إلى طعامهنّ، وتجنيبهن تناول المشروبات المهيّجة كالشاي قبل الذهاب إلى النوم.

مسائل اخرى

قلنا فيما مر من البحث إن الفتيات في سني المراهقة يتعرضن لأعتلالات وأمراض كثيرة بحاجة إلى عناية واهتمام، ومنها الاصابة بالغدّة الدرقية التي تزول بالتدريج في حال كونها خفيفة، وفي الحالات المتفاقمة يوصي الأطباء باخضاع المريض للعلاج لمدّة عامين، ويحصل لديهن بعض الاختلالات في المعامل الهرمونية تزول بمرور الزمن، ويعانين بعض الآلام أثناء الطمث تزول عادة بعد فترة من الوقت، وبخلاف ذلك يجب استشارة الطبيب بشأنها، وبشكل عام يوصي الأطباء، من أجل القضاء على آلام الحيض، بالراحة والنوم الكافيين، وبالالتزام بالنظافة، وعلاج فقر الدم وإفراغ المعدة، واستخدام كيس من الماء الدافىء، ومختلف العقاقير والأقراص المسكّنة كالأسبرين و... الخ.

كما وتبرز خلال هذه الفترة اختلالات أُخرى ايضاً كـالأمراض القـلبية، ومرض الدورة الدموية، وخصوصاً مـرض رومـاتيسم القـلب الذي يـمكن ان يكون خطيراً و.. وكذلك برودة الأطراف وزيادة نسبة الألبومين في الادرار التي تتطلّب الراحة والالتزام بنظام الحميّة.

أهمية التوعية

لا شكّ انه ليس بمقدور أولياء الأمور والمـربّين مـتابعة جـميع القـضايا المذكورة، لذا فانه يجب توعية الفتاة وتوجيهها إلى العناية بنفسها وصيانة بدنها من الأمراض والاعتلالات التي يمكن أن تتعرض لها، ذلك لأن الفـتاة عـادة لا تكترث كثيراً بصحّتها، وتمتنع عن مراجعة الطبيب، وتجهل، في أغلب الأحيان، المخاطر التي مكن أن تواجهها في حياتها، خـصوصاً فـيما يـتّصل بـضرورات النظافة اثناء الدورة الشهرية.

الفصل الثاني والخمسون
العناية بالغريزة الجنسية

مقدّمة

تعتبر مرحلة البلوغ مرحلة بدء فعالية ونشاط الغريزة الجـنسية، فـالفتاة تكون في هذه الأثناء قد دخلت مرحلة جديدة من حياتها كل شيء فيها يبدو لها جديد وذو معنى مختلف.

إنّ بعض الفتيات يحافظن على توازنهن النـفسي أمـام هـذه الانـفعالات العاطفية والغريزية الجديدة، فيما يفقد البعض الآخر منهن توازنهن ويقعن فريسة للحيرة والاضطراب، وقد يندفعن تحت ضغوط ميولهن ورغباتهن الجنسية إلى سلوك مسالك محرّمة تؤدي بهن إلى الانحراف والجنوح الأخـلاقي فـي نـهاية المطاف.

لا شك إنّ نوعية الفتيات بالمسائل الخاصة بهن، في هذه المرحلة، وشرح متطلبات الظروف الجديدة في حياتهن، تكتسب أهمية استثنائية. وتقع مسؤولية القيام بمثل هذه المهمة على عاتق الأمهات بشكل خاص، فهنّ اللاتي يستطعن الانفتاح على بناتهن واسداء التوجيهات والارشادات اللازمة لهن من أجل حفظ توازنهن أمام نوازع الغريزة وصيانة أنفسهن من عوالم الانحراف.

قبول الجنسية

إنّ من المهم في تربية الفتيات هو انّ يتعامل الأولياء معهنّ أولاً انطلاقاً من قبول جنسيتهن وعدم التمييز بينهن وبين الذكور من أبنائهم، ومن ثم السعي ثانياً في سبيل تربيتهن بنحو يجعلهن يقبلن جنسيتهن ويعتزن بأنـوثتهن، وذلك لأن الفتيات يشعرن أحياناً بالنبذ ويكرهنّ جُنسيتهن بسبب ما يواجهنه في الأسرة من

حالات تفرقة وتمييز لصالح الذكور.

وبتعبير آخر، يجب على اولياء الأمور، طبقاً للرؤية الاسلامية أن يـقبلوا الفتاة على ما هي عليه ويعتنوا بها، ويوفروا لها الحب والحنان والأمان وكل ما من شأنه أن يساهم في نموها في الحياة، ذلك لان الفتاة امانة الله بيد الوالدين ولهـا عليها حقوق التربية والعناية بها مثلما عليها حقوق وواجبات تـجاههما عـندما تنضج وتكبر.

التوجيهات الخاصة

ويجب في هذه الأثناء اسداء توجيهات خاصة للفتاة، أي افهمامها معايير وقيم العفّة الشرف والطهارة في الحياة، والسعي إلى جعلها تعتز بأنوثتها وتعرف كيف تصون شرفها أمام عوامل الانحراف والرذيلة في المجتمع، أو ما يمكن أن تواجهه في حياتها اليومية من إغواء الغاوين ومكر الأشرار والمنحرفين. وكذلك ينبغي تحذير الفتاة بالقول إنّ فضيحة الركون للخطيئة لو حصلت فانها ستلاحقها على الدوام، والتأكيد عليها بضرورة الجدّية في الحفاظ على نفسها والاستعانة بالله سبحانه وتعالى في ذلك.

إن مشكلة الفتيات في هذه السن هي إنّ أغـلبهن يـجهلن مـا يـمكن أن يتعرضن له من مخاطر وأضرار تهدّد شرفهن وعفافهن بشكل جاد. وهو الأمـر الذي يغفله الكثير من أولياء الأُمور و لا يكترثون به، وكأنهم قـد نسـوا تـماماً خبراتهم في الحياة ولم يكونوا قـد لمسـوا وهـم فـي هـذه السـن الانـفعالات والمخاطر التي تكمن في طريق الفتاة!

التربية الجنسية

في البدء لابدّ من الاشارة إلى هذه المسألة وهي إن التربية الجنسية لا تعني

تزويد الفتاة بالمعلومات حول مسائل الزواج والحب والعلاقات الجنسية بين الجنسين، بل المقصود بها هو تثقيفهن بالمسائل الخاصة بالنساء التي يذكرها علماء الأخلاق والفقه الاسلاميين في كتبهم وليس ما يدخل في مجال التثقيف على الحالات الجنسية، وتتركّز على الوعي العام وضبط العواطف والانفعالات.

المطلوب في هذه السن، وابتداء من سنّ ١١ ـ ١٢ عاماً، توعية الفتيات بالمسائل الجنسية العامّة، وذلك من أجل أن يدركن ظروفهن الجديدة ويواصلن نموهن بشكل طبيعي، ولا يفاجأن بحالة الحيض، عند نزوله لأول مرة، بما يؤدي إلى اصابتهن بالخوف والقلق.

ويجب افهام الفتيات بأن الحيض ليس شيئاً مخجلاً وانما هو حالة طبيعية تدلّ على تأهّلهن للعب دور الزوجة والأم في الحياة، واذا رأين على أنفسهن علامات تدلّ على مثل هذه الحالة ينبغي عليهن أن لا يخشين أو تضطرب أحوالهن منها بل يبادرن إلى مفاتحة الأم بها لكي تقوم الأخيرة بارشادهن إلى ما ينبغي أن يتخذنه من تدابير في التعامل مع المسألة.

كما ويجب على الأمهات أن يفهمن بناتهن ما ينبغي عليهن فعله في أيام الحيض، ولماذا يجب أن يخلدن إلى الراحة أو لا يجهدن انفسهن بالأعمال الكثيرة والشاقّة، وأن يمتنعن عن الاشتراك في الألعاب الرياضية كالقفز العريض، وركوب الدراجات و.. وكذلك توعيتهن بالتدريج بالمسائل الحياتية الخاصّة، وإرشادهن إلى سبل العيش السليم في المجتمع بعيداً عن الشرور والمفاسد.

الفصل الجنسي

في هذه المرحلة من العمر، يجب اعمال الرقابة على علاقات الجنسين

وتحديدها بالحدود الشرعية. فالفتاة في هذه الأثناء تكون قد بلغت سن التكليف الشرعي ولا يجوز لها الاتصال بأي كان ومعاشرته كما يحلو لها.

فالاسلام يفرض عليها أن تستر شعرها عن أنظار الأجانب، وان لا تتبرّج أو تبدي زينتها للآخرين، وأن تؤطّر سلوكها وتصرفاتها، كلامها ونظراتها، في إطار أخلاقي منضبط(١).

ويجب، ابتداءً من سن العاشرة، فصلهن عن الآخرين في المنام(٢). فلا يجوز من الآن فصاعداً حتى لأخ وأخت، أو أخت وأخت أن يناما في سرير وفراش واحد(٣). ولا يمكن لهن أن يفتحن شعرهن أمام الأجنبي، أو لا يحق للأجنبي أن يقبل الفتاة بعد بلوغها سن السادسة(٤).

وعلى هذا، ينبغي على الوالدين أن يعيرا أهمية القضية الفصل الجنسي بين الفتيات والفتيان، ويعملا على توجيه الفتاة من أجل الالتفات إلى وضعها في البيت وستر مفاتنها أمام الأخوة وحتى أب الأسرة. فالاسلام لا يجيز حتى للأباء أن يحتضنوا فتياتهم المراهقات.

العلاقات في الأسرة

يستحب في الاسلام أن يكون هناك حائل دائم بين الجنسين. فمع انّ الأبوين هما من محارم الأبناء، إلّا أنه يجب عليهما أن يراعيا أمامهم ضرورات الستر والسلوك في الملبس والتصرّف.

إنّ طبيعة علاقات الأبوين في الأسرة تعد مسألة هامة جداً في تاثيراتها

---

(١) اشارة إلى الآية ٣١ من سورة النور.
(٢) الخصال، ج ٢، ص ٤٣٩.
(٣) مكارم الأخلاق، ج ٢.
(٤) كتب الأحاديث في الاسلام.

على ألأبناء. فالأب يوحي للابن بطريقة تعامله مع زوجته كيف ينبغي أن يكون تصرف الزوج تجاه زوجته، والأم توحي للبنت بطريقة تعاملها مع زوجها كيف ينبغي أن تتصرّف الزوجة إزاء زوجها. كما وهناك مسائل أخرى أيضاً في علاقة الأبوين بعضهما ببعض في داخل الأسرة ويتأثر بها الأولاد ويجب أخذها بنظر الاعتبار، ومنها الحبّ والصدق والاخلاص والاحترام المتبادل.

إنّ أغلب حالات الجنوح بين الفتيات أنما تعود اسبابها إلى طبيعة علاقات الأبوين الخاطئة، وأغلب القبائح التي تحصل في أوساط هذه الفئة انما هي نتائج القباحة علاقات الأب والأم. فالواجب والضرورة تحتّم على الوالدين أن يتقيّدا في علاقاتهما ببعض أمام الفتيات المراهقات بضوابط الوقار في التصرف والسلوك. وبخلاف ذلك فلا يؤمنان تعرّض فتياتهما لحالات الجنوح والانحراف.

الحذر من الأخطار

بعد مضي أولى سنوات البلوغ، تصبح الفتيات مهيّئات لأن يقعن في الهوى والغرام، إلّا أنهن بنفس السهولة التي يمكن أن يحبّن بها يمكن أن ينسين حبهن ايضاً و يشعرن بعد فترة انهن غير منسجمات مع الطرف المقابل. وبالتالي يبتعدن عنه، وقد يتعرضن أثر ذلك لصدمات نفسية تبقى ترافقهن مدى الحياة.

للأسف إنّ بعض الأمهات يعلمن بعلاقة بناتهن بالجنس الآخر، لكنهن ومع ذلك لا يتفوّهن بشيء ولا يحركنّ ساكناً لا في جهة تحذيرهن وارشادهن ولا في جهة منعهن من الامعان في مثل هذه العلاقات المحرّمة، في حين يُساهم هذا الاهمال بزيادة احتمال تعرضهن لمخاطر واضرار لا يعذرن فيها الأبوين على تقصيرهما تجاههن عند حلول ساعة الندم والأسف.

إذن المطلوب بالأساس هو وضع بعض القيود على علاقات الفتيات وضبط تصرفاتهن، والاشراف المباشر على شؤونهن والسعي الجاد في سبيل حمايتهن من عوامل الخطر والانحراف، وهذه هي وظيفة الوالدين بشكل عام، والأمهات بشكل خاص، الذين تقع عليهم مسؤولية التواصل مع فتياتهم بالتسديد والارشاد والتوجيه وتحصبنهن من كل ما يمكن أن يُهدد شرفهن وعفّتهن في هذه السن.

ضبط الصداقات

في هذه المرحلة من العمر يزداد الميل إلى علاقات الصداقة الحميمية. يقول محمد قطب: «إنّ الميل الشديد نحو علاقات الصداقة والزمالة.. يقرّب ويسهل الوقوع في هاوية السقوط والانحراف والافتضاح أكثر فأكثر».

وهذه الصداقات تكون في بعض الحالات باعثاً للانجذاب نحو الجنس الآخر.

إنّ الاثارات الجنسية في هذه المرحلة قد تكون وقتية وسطحية ومتذبذبة لكنها في حال امتزجت بعلاقات غرامية في هذه السن، فإن الوقوف بوجهها يكون كمن يريد ايقاف سيل ربيعي جارف بسدّ من التراب والحجر. إنّ ما جر المجتمعات الغربية إلى الانغماس في مستنقع الفساد الخلقي هو العلاقات غير المشروعة بين الجنسين، وتحلل المرأة من ضوابط الالتزام الأخلاقي والسلوكي ،وهو ما يدعونا نحن كشعوب ومجتمعات مسلمة إلى الحذر منها واجتنابها بشدّة. كما ويجب أن لا نغفل حقيقة إنّ حياة المؤسسات المسائية فيها اضرار ومخاطر عديدة، وتعدّ أرضية خصبة لنشوء علاقات منحرفة بين الأشخاص ومن نفس الجنس خصوصاً في سن ١٧ و ١٨ عاماً.

في حالة الانحراف

المؤمّل هو أن لا يتعرّض أعضاء هذه الفئة لمكروه في حياتهم، وهذه المسألة بحاجة إلى الحذر والوعي والوقاية الدائمة. وبامكان أولياء الأمور، وخصوصاً الأمهات، ان يحفظوا فتياتهم في سن البلوغ من كثير من عوامل الانحراف والخطر بالاشراف على شؤونهن وتوجيههنّ باستمرار.

وبطبيعة الحال فانّ الفتيات في مجتمعاتنا الاسلامية يدركن بشكل عام قيمة الشرف والحفاظ على العرض والعفاف، ويجتهدن في صيانة أنفسهن في هذا المجال، إلّا أنه في الوقت ذاته هناك احتمال أن يتعرض بعضهن للخطأ والانحراف، والانحراف يكون تارة متّصلاً بنفس الفتاة واخرى بالآخرين. وفي حال كانت المسألة مرتبطة بنفس الفتاة فإنّ من المفيد جداً المبادرة إلى علاجها عن طريق الحوار الاقناعي الشفهي والتطبيب النفسي أو بواسطة العقاقير والحقن والمضادات الحيوية الطبية تحت اشراف الطبيب المختص، أما في حالة الانحراف الذي يتّصل بالآخر، فإنّه يجب إدراك حقيقة إنّ فضح الفتاة وتحقيرها اسلوب غير مجد في اصلاحها وقد يزيد المشكلة تعقيداً، والاسلوب الأمثل لمساعدة الفتاة على حلّ مشكلتها وتجاوزها هو التوجيه والارشاد وحتى إبداء الودّ والمحبّة تجاهها وتوثيق العلاقة بها.

في تعديل الغريزة

هناك طرق عديدة مقترحة في سبيل وضبط تعديل الغريزة الجنسية، ومنها العمل على تجنيب الفتاة عوامل الاثارة الذهنية التي تولّدها الوسائل المرئية والمسموعة والملموسة ذات الايحاءات الجنسية، وكذلك اشغالها بالرياضة، والتنزّه، والقراءة، والقضايا الفنية كالخياطة وغيرها وبشكل عام فإنّ

تشجيعها على أي نوع من الفعالية الايجابية شيء مهم ومؤثّر في هذا المجال .

إنّ من شأن الانشغال بالنشاطات الفنية أن يساهم في الحدّ من الانفعالات العاطفية والنفسية بدرجات كبيرة ويؤدّي إلى توازن وتعديل الغريزة الجنسية ، وحتى يمكنه في بعض الحالات أن يصلح الانحراف الجنسي ، ومن المهم جداً توعية الفتاة في هذه السن بالظروف النفسية والعضوية التي تعيشها ، وتزويدها بمعلومات كافية وصحيحة عن طبيعة العمليات الفسيولوجية في جسمها . ولا ينبغي ترك الفتاة تصل السن الطبيعي للبلوغ دون توعيتها واعدادها لاستقبال الدورة الشهرية. ولعل أفضل اسلوب في التعامل مع الفتاة في هذه السن هو ما يوصي به الاسلام وهو العمل على توفير الارضية الصحيحة لكي تقترن برجل كفء لها وتذهب إلى بيت الزوجية وقاية عن أي نوع من أنواع الفساد أو الانحراف .

الفصل الثالث والخمسون

العناية بالجانب العاطفي

مقدّمة

كما لاحظنا فيما سبق من البحث، فإنّ الفتاة تعيش في سني المراهقة عاصفة قوية من الانفعالات والتقلّبات النفسية والعاطفية ويصبح كل شيء فيها قابلاً للتغيّر والتبدّل وتستولي عليها على أثر ذلك حالات من القلق والخوف لكنها سريعة الزوال[1].

فهي تعيش من الناحية العاطفية وضعاً مضطرباً وغير ثابت على حال معيّن، وهو الأمر الذي يوجب العناية بها والاهتمام بشؤونها باستمرار.

وللعناية بالفتاة أو تربيتها من الناحية العاطفية، ينبغي الأخذ بنظر الاعتبار مسألتين هامتين هما:

١ ـ **تعديل العواطف**: بمعنى أن لا تكون بالشكل الذي تزول لديها حالة الغضب أو الحبّ وتنعدم تماماً، ولا بالشكل الذي تستولي على كيانها تماماً وتسلب منها قدرة التفكير وضبط النفس، فالحياة الطبيعية تتطلب أن يتخللها الحب والغضب، والخوف والاضطراب في المكان والزمان المناسبين.

فالفتاة يجب أن تحبّ والديها وتشعر بالحنان تجاههما لكن هذا الحبّ والتعلّق بالوالدين ينبغي أن لا يصل درجة يجعلها تدبر عن الزواج والانخراط في الحياة الزوجية. وأيضاً يجب أن تشعر بالغضب والاستياء من حالات الاساءة والايذاء، ولكن ليس إلى الدرجة التي تدفعها إلى الانتقام بشدّة. والانفعال مطلوب ولكن ليس إلى الحدّ الذي يستنفد كل طاقاتها ويتركها عرضة للقلق

---

(١) حياة وتربية الطفل، ص١٣٧.

والاضطراب، والميل العاطفي نحو الجنس الآخر بهدف الزواج شيء ضـروري ولكن ليس بالشكل الذي يُهدّد شرف وعفاف الفتاة. فهذه المسائل هي ما نعنيها بتعديل العواطف التي يجب على أولياء الأُمور والمرّبين العمل على تربية الفتاة عليها.

٢ ـ توجيه العواطف: من المسائل التي ينبغي على أولياء الأُمـور أن يأخذوها بنظر الاعتبار عند تعاملهم مع الفتاة في هذه السن هو توجيه عواطفها، بمعنى جعل حالات الحب، والبغض، والغضب، والخوف و... لديها هادفة وتتجه بالاتجاه الصحيح.

فهي يجب أن تُحب ولكن من تُحب وماذا تُحب؟.. وجواب ذلك شـيء مهم. ومن الضروري أن تغضب ولكن على من ولماذا ومعرفة ذلك أيضاً شـيء مهم. وكراهيتها يفترض أن تتّجه نحو العدوّ وليس نحو الوالدين، وتعلّقها ينبغي أن يكون بالمسائل المشروعة لا بغيرها، وخوفها يجب أن يكون من الخطايا والانحراف وليس من شيء آخر.

وفي الظروف المثلى يجب أن يكون الحب والبغض بالاتجاه الذي يُرضي الباري سبحانه وتعالى. أي بمعنى ان المؤمن يُحبّ في الله، ويبغض في الله، ويسخط في الله، ويرضى في الله[1] والوصول إلى هذه المرتبة يتطلّب التربية على الالتزام الديني وتهذيب النفس باستمرار.

في الخجل والحياء

تصاب بعض الفتيات، منذ الطفولة أو مع بدايات سنّ المراهقة، لحالة من الخجل والحياء الشديدين. وهناك أسباب عديدة لهذه الحالة فإذا كانت تستولي

---

(١) الامام الصادق (ع)، تحف العقول.

على الفتاة عند اتصالها بجميع الأشخاص ، فإنّها تدلّ على ضعف معامل بعض الغدد الداخلية لديها ، وإذا كانت تحصل مع شخص بعينه ، فإنّها تدلّ على الحبّ والتعلّق العاطفي. كما ويمكن أن تكون في بعض الحالات ، ناتجة عن الشعور بالاحراج من الوضع الجسمي كضخامة الثديين أو صغرهما ، والاختلال في العادة الشهرية ، ونمو منطقة الحوض و ...

وبطبيعة الحال ، فإنّ الاسلام يحرّم الصلافة والتهتك ويحظر بشدة حالة الميوعة والدلال والتغنّج في الكلام وكل ما يصبّ في مصبّ الاثارة والفتنة والانحراف ، ويوصي بدلاً من ذلك بالوقار والاتّزان. وفي الوقت ذاته فإنّه لا يريد للفتيات أن يخجلن من أوضاعهن بشكل غير طبيعي ، لأن الخجل الشديد يعدّ بحدّ ذاته عاملاً من عوامل السقوط والخضوع للانحراف .

الحياء بالنسبة للفتيات ضرورة لا غنى عنها ، وهو يختلف عن الخجل الزائد عن الحدّ. فالحياء دعامة لحفظ النفس وصيانتها من عوامل الخطر والانحراف . ولو لم يكن الحياء لما كان بالإمكان التأمّل خيراً بشأن عفّة وطهارة الاناث ، ولا حتى أمل بوجود الانسجام والاخلاص وبقاء الاسرة متماسكة .

المطلوب هو مبادرة أولياء الأُمور إلى إزالة عوامل الخجل المفرط عند فتياتهم ، إن وجدت ، والعمل على خلق الثقة في أنفسهنّ من خلال تكريمهن وإبداء الاعجاب بشخصياتهن ، وتشجيعهنّ على الاتصال بالآخرين والارتباط بعلاقات اجتماعية مشروعة .

في الخوف والاضطراب

ليس الخوف بذاته حالة سلبية عند الأشخاص . فالخوف يمنع الانسان عن كثير من الافعال الخاطئة ، ولتجنّب الكثير من المفاسد والانحرافات ، ومن شأنه أن

يحول دون ارتكاب الخطايا والذنوب، على الأقل بالنسبة للذين لا يتمتعون بمستويات عالية من الوعي والمعرفة، كما ويمكن أن يكون حائلاً حتى دون التعرض للمخاطر والأضرار البدنية.

والاضطراب بدرجات قليلة مفيد هو الآخر، لأنه يكون دافعاً للمرء لأن يبذل جهوداً أكثر في شؤونه. فالأشخاص الذين يعيشون الاطمئنان المطلق وعدم الاكتراث بالأشياء لا يستطيعون أن يكونوا فعالين وناجحين في أعمالهم وواجباتهم الشخصية، وإن قليلاً من القلق والاضطراب ضرورة لا غنى عنها من أجل بذل المرء مزيداً من الجد والجهد والاهتمام في شؤونه.

أما ما هو غير طبيعي ويستوجب العمل على مكافحته في الفتيات هو الخوف والاضطراب الشديدين دون ما سبب ومبرر معقول، والذي يتهدد سلامتهن النفسية باضرار مدمرة، ويؤدّي بهن إلى الانطواء على النفس والانسحاب من النشاطات الشخصية والاجتماعية في الظروف الطبيعية.

ويجب العمل في مثل هذه الحالة على تجنيب الفتيات العوامل التي تثير الخوف والاضطراب في نفوسهن، وتوفير أجواء هادئة وطبيعية لهن، وتعويدهن بالتدريج على الطمأنينة والاستقرار النفسيين، وخلق روح الثقة والاعتماد على النفس في شخصياتهن، والحيلولة دون كل ما يمكن ان يثير لديهن بواعث القلق والخوف والاضطراب في الأسرة أو المجتمع العام.

في الحاجة إلى الحبّ والحنان

ذكرنا فيما مر، ونكرر هنا أيضاً، إنّ بعض أولياء الأُمور يهملون فتياتهم في هذه السن ولا يبدون تجاههن الحب والحنان اللازمين بتصور انهن لم يعدن بحاجة إلى مثل هذه الأشياء، في حين أثبتت البحوث والدراسات العلمية عكس

هذه التصوّر، ودلّت على إنّ حاجتهن للحب والحنان في هذه المرحلة لا تقل عن حاجتهن له في سني الطفولة.

فهنّ بحاجة إلى من يعطف عليهن ويحيطهن بالحبّ والحنان، وهذه مسألة هامة في سلامة نفسياتهن وصحّة سلوكهن، وكسب ثقفتهن.

فهؤلاء يلجأن في بعض الحالات إلى الآخرين من أجل اشباع حاجتهن إلى الحب وإلفات الانظار، ويتجلّى ذلك من خلال المبالغة في تـزيين أنـفسهن والذي قد يدفعهن، في ظروف معينة، إلى سلوك مسالك خاطئة.

الفتاة ترغب في أن تكون محبوبة ومحاطة بالاهتمام من قبل المـحيطين بها، وهذه الرغبة أو الحاجة يجب أن يوفرها لها الوالدان في داخل الاسرة، وذلك من أجل أن لا تشعر بالحاجة إلى الغير في الخارج. والحق إنّ الآباء المـهملون وعديموا العاطفة يولّدون في نفس فتياتهم، بجفائهم، الشعور بالنقص، ويدفعونهن دفعاً نحو الجنوح والتصرفات المنافية للأعراف الاجتماعية الصحيحة. فالفتاة إذا رأت نفسها محاطة بالحبّ والاهتمام من قبل الأبوين، تشعر بـالامتلاء والغـنى النفسي. وبحسب تعبير أحد العلماء، فإنّ الفتاة التي لا تتمتع بدرجة كـبيرة مـن الجمال لكن والديها يحيطانها بالحب والحنان تشعر أنها محظوظة مرغوبة فـي حياتها. ولا تُعد تجد حاجة لأن تتبرج وتعرض نفسها في المـجتمع مـن أجـل الفات الأنظار.

في الحرمان

يُعد الحرمان أو الشعور بالحرمان من العوامل التي تُسـاهم فـي انـحراف وسقوط الأشخاص. ويعتقد علماء التحليل النفسي أنه يجب تجنيب المـراهـق الأعمال التي يعجز عن اداها. وكذا حمايته من سخرية واستهزاء الآخرين.

إنّ من شأن الحرمان المطلق والطويل أن يفسد المشاعر ويتلف الأعصاب. فليس بالأمر الغريب في تاريخ البشرية حالات الجنون والتهوّر الجنسي التي تتولّد على أثر الكبت والحرمان. أجل فإنّ بعض الفتيات يعانين من الكبت والحرمان ويفقدن على أثره توازنهن النفسي، والبعض الآخر منهن يشعرن بأنهن محرومات وليس معلوماً ما إذا كان شعورهن صحيحاً ومنطقياً أم لا.

من المهم جداً العمل على ازالة دواعي الحرمان لدى فتياتنا أو السعي في سبيل محو مثل هذا الشعور من أذهانهن.

وللعطف على الفتيات ومواساتهن في هذا المجال دور بنّاء في حياتهن، ومن شأن ذلك أن يغيّر أحوالهن بنحو ايجابي، ويولّد لديهن الشعور بالتفاؤل والتطّلع إلى الخير والسعادة في الحياة.

تشجيع ميزة الغرور

تمتاز الفتيات، خصوصاً في سني المراهقة، بنوع من الغرور الزائد، ويعتدن بأنفسهن كثيراً، الأمر الذي يجعلهن يبذلن اهتماماً متزايداً بحفظ أنفسهن وصيانتها من عوامل الخطر. من المفيد جداً تشجيع ميزة الغرور هذه لديهن باستمرار، وذلك من أجل أن يكنّ مستنفرات دائماً في الحفاظ على شرفهنّ وعفافهنّ.

إنّ إبقاء ميزة الغرور والاعتداد بالذات متوقّدة في نفوسهنّ يدعهنّ إلى الاعتزاز بأنوثتهن، والدفاع عن أنفسهن، وعدم الخضوع والارتباط بأيّ كان. وهذه الميزة تلعب دوراً مهماً في مستقبلهن وفي حياتهن الزوجية. كما ويمكن من خلال تحفيز هذه الميزة وتشجيعها إصلاح بعض الانحرافات في أوساط هذه الفئة.

من أجل إصلاح الوضع العاطفي للفتاة وإزالة عوامل الاختلال والتشوش

من حياتها ، يمكن الاشارة بشكل عام إلى نقاط عدّة منها :

ـ حمايتها من الناحية النفسية بالشكل الذي لا تتهددها عوامل الاختلال .

ـ المحافظة عليها في وضع سار وحياة مقرونة بالنشاط والفرح .

ـ الحفاظ على دفء وهدوء أجواء الأسرة بحيث تشعر بالأمان والحيوية فيها .

ـ العمل على خلق مشاعر السرور والفرح والتفاؤل بالحياة وبالظروف السائدة في نفسها .

ـ إبعادها عن أجواء الخوف ، والاضطراب ، والعنف ، والتجاوز ، والاعتداء .

ـ إفهامها بأن الجمال الحقيقي للحياة يكمن في راحة الضمير ، واتباع الفطرة والأخلاق والقيم الدينية .

ـ وفي الحالات الحادّة . يمكن الاستعانة بطبيب الأسرة أوالطبيب النفساني ، وبالباحثين الاجتماعيين أو بالمعلمة والمدرسة .

الفصل الرابع والخمسون

العناية بالجانب الذهني والنفسي

مقدّمة

انّ التغيّرات الذهنية والنفسية للفتيات المراهقات، هي من المسائل التي أشرنا إليها فيما سبق من البحث، ونضيف هنا أيضاً أن مرحلة المراهقة تتضمن تجديد بناء الشخصية الذي يستتبع مغادرة العلاقات السابقة وتبدّل طريقة التفكير ووعي الذات. وطبيعي إنّ المراهقة ليست مرضاً أو اختلالاً لكي يصار إلى علاجه، وانما هي مرحلة من النمو يجب تحمّلها والعمل على توفير الأجواء والظروف المناسبة لتجاوزها بسلام. وطالما لم تتعرض الفتيات لمتاعب أو اختلالات اثنائها، ليس هناك داعٍ للعلاج.

لكنه في الوقت ذاته، ينبغي عدم اغفال العناية بالفتاة ومتابعة أوضاعها من النواحي الذهنية والنفسية. فهي بحاجة في هذه الظروف إلى العناية والاهتمام بها من الناحية النفسية، وذلك من أجل أن تبقى في منأىً من الاختلالات والأمراض النفسية من جهة، ولكي لا تتعرّض للاحباط أو الخمول النفسي من جهة أُخرى. وسنتحدث حول هذا الموضوع فيما سيأتي من الكلام.

في النمو الفكري

إنّ النمو الفكري والمنطقي لدى الفتاة يتيح لها إمكانية التحرر من اسار الغرائز وتجاوز حالة الوهم والخيال. وطبقاً للبحوث التي اجراها بروكس، فإنّ للبيئة الاجتماعية دوراً مؤثر جداً في النمو الفكري، وهي التي تحدّد، بالأساس مستوى ودرجة المشكلة التي يمكن أن تعاني منها حول مسألة معينة.

والمهم في العمل مع الفتاة في هذه السن هو تعويدها على الطريقة الصحيحة

في التفكير، وفي الكلام، وفي اتخاذ القرارات، وتشجيعها على التفاعل الايجابي مع الكلام المعقول. وكذلك من الضروري أن تتحرر بالتدريج من التبعية الفكرية للغير وأن تكون لنفسها آراء وتصوّرات تنطلق من قناعاتها الفكرية المستقلّة، وأن تبني مخاوفها وغضبها على أساس مبررات منطقية.

ففي أحايين كثيرة تجد الفتاة صعوبة في التفكير حول مسألة معينة وتحليلها واتخاذ القرار المناسب بشأنها أو الحكم فيها. فمثلاً تتصور إنّ والديها لهما رأي سلبي في الأمر الكذائي أو إنّ المعلمة كانت تقصد بكلامها الكذائي المعنى الكذائي. الأمر الذي قد يولّد لديها الحقد والضغينة نتيجة سوء فهمها لهما أولها، في حين لو استفسرت منهم حول المسألة لكان قد ثبت لها عكس ما كانت تتصوّر. لذا فإنّها بحاجة إلى إرشاد وتوجيه فكريين.

في العقل والإرادة

الفتاة بحاجة لأن تتمتّع بإرادة قويّة كي تتمكن بواسطتها ضبط نفسها وكبح جماح عواطفها أمام عوامل الإثارة والانفعال. فما أكثر الصدمات والأضرار، التي تتعرض لها ضعيفات الإرادة، نتيجة تغلّب العاطفة على العقل لديهن، وبالتالي استسلامهن وخضوعهن لمختلف أنواع الرغبات والأهواء.

والمطلوب هو تربية عقول الفتيات من حيث أنه وبحسب تعبير تشيللر، يمكن للعقل المستنير أن يبني الشعور الأخلاقي بشكل أفضل والعقل هو الذي يجب أن يكون دليل القلب وهادية. وطبيعي إنّ تحقيق هذا الهدف يتخلله صعوبات جمّة، ويتطلّب من أولياء الأُمور والمربّين بذل مزيد من الجد والجهد في سبيله.

في الثقة بالنفس

من المشاكل المهمّة التي تعاني منها بعض الفتيات في هذه السن هي مسألة

فقدان الثقة بالنفس . فاللاتي كن قد تعرضن في صغرهن لحالات الاهانة والتحقير أو واجهن مشاكل وصعوبات في حياتهن سابقاً ، قد يصبحن في هذه السن شخصيات ذليلة تابعة للغير . وإذا واجهن مسألة تحتاج إلى قرار وتصميم ، نجدهن حائرات مترددات لا يستطعن التصرف إزائها .

وفي مثل هذه الحالة ، يجب على أولياء الأُمور ، والأمهات بشكل خاص ، العمل على غرس روح الثقة والاعتماد على الذات في نفس الفتاة ، وتشجيعها على ادارة شؤونها والقيام بواجباتها واعمالها بنفسها ، وعدم مؤاخذتها وتأنيبها في الحالات التي تصدر منها أخطاء خلال الممارسة ، بل ارشادها وتوجيهها بالأسلوب الذي يغنيها ولا يشعرها بالعجز .

وكذلك يجب ، في سبيل تنمية قدرة الفتاة على الاعتماد على الذات ، السعي إلى تعريفها بجوانب القوّة والضعف في شخصيّتها ، ذلك لأنّ وعي الذات ومعرفة القدرات يولّد لديها الثقة بالنفس إلى حدود كبيرة ، ويدفعها إلى الاهتمام بتجاوز نقاط الضعف وتعزيز نقاط القوة في شخصيتها .

في الأمن والجرأة

وجود بيئة وأجواء امنة للفتيات ، شيء ضروري لنموهن وتقدمهن . ومن هنا يجب تجنيب أجواء الأسرة عوامل التوتر واللاأمن. ومن المسائل التي تسمم أجواء الأسرة وتُشيع فيهادواعي الخوف والقلق والاضطراب ، يمكن الاشارة إلى حالات الشجار ، والمشاحنة ، والمهاترات الكلامية ، والخصام ، والطلاق و ...

وكذلك من الضروري تعويدهن على الاقدام والجرأة وعدم الخوف من المشاكل ،وتوجيههن إلى أن السبيل إلى النجاح في الحياة يكمن في امتلاك الجرأة على التعبير عن الإرادة وفي السعي الجاد من أجل بلوغ الأهداف ، وفي الاعتراف بالأخطاء والتصميم على تجاوزها وعدم العودة إليها مجدّداً .

في الأمراض النفسية

قلنا إنّ المراهقات يواجهن في هذه السن ظروفاً يتعرض بعضهنّ على أثرها لاختلالات نفسية فيما يصاب البعض الآخر منهن بأمراض نفسية، ولما كانت الوقاية من مثل هذه الحالات بشكل كامل أمر غير متيسّر لجميع أولياء الأُمور، باعتبارها تتطلب معلومات واسعة في مجال علم النفس وعلم النفس التربوي، لذا فإنّنا نعتقد إنّ الطريقة الأسهل والأنجح في الوقاية هي الحفاظ على دفء أجواء الأُسرة، وإحاطة الفتيات بالحب والحنان، وتجنيبهن عوامل الاثارة والقلق والاضطراب.

وبشأن الاصابات النفسية، فهناك بعض الأمراض ما زال المتخصصون لم يتوصّلوا إلى علاج ناجح ودقيق لها كمرض (انعصام الشخصية) الشيزوفرنيا لكن استشارة الطبيب المختص بشأنها مسألة هامة وضرورية وبخصوص مرض الهستيريا، يوصي الأطباء بضرورة إخضاع المريض للعلاج النفسي أو العمل على تعزيز معنوياتها.

وكذلك هو الحال مع حالات الهواجس والأدبار النفسي عن الطعام، والسوداوية وإلى آخرها من الأمراض والاختلالات المشابهة؛ يمكن لأولياء الأُمور الواعين معالجتها والقضاء عليها من خلال الانفتاح على فتياتهم وابداء الودّ والاحترام تجاههن واحاطتهن بالعطف والحنان اللازمين.

في الصحّة النفسية

يجب التركيز في هذه المرحلة من العمر على الصحة النفسية للفتاة بوجه خاص، أعني العمل على مساعدتها من أجل حل مسائلها ومشكلاتها النفسية بطرق مرضية، وحمايتها من التعرض للوساوس والقلق والاضطرابات، ان هناك

الكثير من الاعتلالات النفسية، التي تبدو بسيطة في الظاهر، تصيب الفتاة فتفقدها توازنها النفسي في غفلة من الوالدين.

وينبغي عند العمل على تربية الفتاة تربية نفسية صحيحة، عدم اجهادها بالواجبات المدرسية الكثيرة، والامتناع عن اشعارها بالذنب دون التوعية، وحمايتها من الايحاءات الذهنية المثيرة، وتجنيبها المشاهد السلبية، والاستجابة لحاجاتها بدرجات معقولة، والسعي إلى الحدّ من حالات الانفعال والاضطراب لديها، واغنائها ثقافياً، وابعادها عن التطلّعات غير المنطقية، وتزويدها بخبرات في مجال ضبط النفس أمام العواطف والانفعالات.

في العلاج

في حال تعرّض الفتاة لاختلالات أو أمراض نفسية مستعصية، يجب المبادرة إلى علاجها عن طريق استشارة الطبيب المختص أو الطبيب النفساني. ومن الحالات التي يُكتسب الرجوع إلى الطبيب النفساني بشأنها ضرورة قصوى، يمكن الاشارة إلى ما يلي:

- السلوك الانحرافي المتكرر كالسرقة، وتناول الكحول، وممارسة العنف والتخريب.
- الانحرافات الجنسية العمدية كالدعارة، والحمل غير الشرعي، والميل إلى نفس الجنس، والتهتك الخلقي.
- الادبار عن الدراسة في الأوضاع الطبيعية.
- الاعتلالات النفسية المستمرة كالكآبة، والحزن، والأرق، والشعور بالأحباط والياس، والتفكير بالانتحار.
- الانطواء على النفس، والابتعاد عن الأسرة نفسياً، والهواجس والهذيان و...

الفصل الخامس والخمسون

العناية بالجانب الديني والأخلاقي

مقدّمة

لا يمكن للتربية أن تكتفي بتنمية القدرات الفكرية وحسب، بل لابدّ من أن يرادف ذلك السعي من أجل إعداد الأشخاص خصوصاً الفتيات أخلاقياً ودينياً ايضاً. والمحيط الطبيعي لنمو الفتيات دينياً واخلاقياً هو الأسرة، أولاً والمدرسة ثانياً والمجتمع بشكل عام ثالثاً. ويجب خلال ذلك فرض نوع من الوصاية والاشراف المباشرين على طبيعة علاقات أعضاء هذه الفئة إلى نهاية مرحلة المراهقة، وحتى بعد ذلك بدرجات أخف.

انّ للدين والأخلاق تأثير ايجابي مهم جداً في الحياة الفتيات إلى درجة يقول فيها أحد المشتغلين بأمر التربية: انّ الكثير من الأشخاص البالغين قد برئوا من حالة الاستمناء أو الارضاء النفسي، حتى من النوع النفسي الخطير منها، على أثر الإقبال على الدين الذي أحدث انقلاباً عاطفياً في حياتهم وجعلهم يبدلون حب (الأنا) بحب الله والمقدسات.

الإرشاد الديني

يوصي الباري تعالى في القرآن الكريم أولياء الأُمور بقوله: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً...﴾[1] أي قوا انفسكم النار بالصبر على طاعة الله وعن معصيته وعن اتباع الشهوات، واحفظوا اهليكم من النار بدعائهم إلى الطاعة وتعليمهم الفرائض ونهيهم عن القبائح وحثهم على أفعال الخير.

---

(١) راجع مجمع البيان للطبرسي، تفسير الاية ٦ من سورة التحريم، ص٤٧٧.

ويجب أن يبتني الإرشاد والتعليم في هذا المجال على اللطف والمحبّة والحوار الاقناعي، باعتبار إنّ القوة والاجبار اسلوب غير مجدٍ في عملية التربية والارشاد.

الفتيات مهيّئات فطرياً ونفسياً، في هذه السن لاستقبال الارشادات والتوجيهات المعنوية والالتزام بتعاليم وواجبات الدين، ويبدو أنه ليست هناك صعوبات كثيرة في العمل معهنّ في هذا المجال. يقول هاوفيلد بأنهنّ مهيّئات بشكل أكبر لتقبّل القضايا المعنوية في سني ١٤ ـ ١٦ عاماً، لأنهنّ أفضل إدراكاً في هذه السن لمعاني الحب والعاطفة.

رغم ما يمكن أن تنطوي عليه حالة الفتاة في هذه السن من مشاكل نفسية وابتعاد عاطفي عن الأسرة، الّا أنها تبقى ميالة إلى تقليد الأسرة في العادات والتقاليد وإلى الالتزام بما تلتزم به من سلوكيات وتصرّفات في الحياة. ومن هنا فإذا كان الوالدان مؤمنين وملتزمين بالتعاليم الدينية، فإنّ الفتاة أيضاً تتبعهما في الايمان والالتزام.

غير أنّها تميل في الوقت ذاته إلى أن يكون تدينها مبنياً على فلسفة واضحة تدركها وتفهم تفاصيلها بوضوح، لأن ذلك يثبّت ايمانها ويجذّره في نفسها، ويولّد لديها حالة من الاطمئنان والاستقرار النفسي، ومن شأن الاستجابة لهذا الميل والرغبة، بالارشاد والتوجيه الواعيين، أن يجعلها ينطبق عليها قول الرسول صلّى الله عليه وآله الذي يفيد بأن (الايمان يخالط لحمه ودمه)[1].

في الاستفهامات الدينية

ذكرنا إنّ سنّ المراهقة هي سنّ الشكّ والتردّد والاستفهام حول كلّ شيء،

---

(١) كتاب تحف العقول عن آل الرسول.

حتى حول القضايا العقائدية والدينية. فالفتاة تشكّ في هذه السن فيما إذا كانت المعلومات، التي تلقّتها من أولياء الأُمور أو من الآخرين، حول المسائل العقائدية صحيحة أم لا؟ كما وتراودها استفهامات عديدة حول مسائل من قبيل الجبر والتفويض، والعقاب والثواب، وسؤال القبر، والحشر والحساب و... الخ. ويجب على أولياء الأُمور والمربّين المبادرة إلى توضيح مثل هذه المسائل وإزالة الابهام والغش في ذهن الفتاة بشأنها.

ليس ضرورياً في توعية أعضاء هذه الفئة دينياً، شرح جميع القضايا العقائدية لهم على أساس البرهان والدليل المنطقي المعمّق، بل المطلوب هو الاجابة على الأسئلة والاستفهامات، التي تدور في أذهانهم، باسلوب اقناعي معقول بحيث لا يبقى لديهم مجال للإبهام والغموض في هذا المجال. ومن المفيد في إغناء المراهقين عقائدياً مبادرة أولياء الأمور والمربين إلى طرح الاسئلة، التي يفترض أنها تراود أذهانهم، في اوساطهم والاجابة عليها، أو العمل على توعيتهم وارشادهم من خلال عقد جلسات اسبوعية داخل الأسرة.

في الأخلاق

الأخلاق عامل لحفظ وصيانة السلوك ووسيلة لضبط العلاقات الاجتماعية. والتربية الأخلاقية تلعب دوراً مهماً جداً في الحفاظ على عفاف وشرف الفتيات المراهقات من عوامل الانحراف والجنوح، ويزداد تأثير التربية الأخلاقية إذا كانت مقرونة، بالإلفة والانسجام وبالانفتاح غير المقيّد على الفتاة من قبل أولياء الأمور والمرّبين.

فهذه السن هي سنّ القلق والاضطراب السلوكي. ومن الممكن أن تتعرض فيها بعض الفتيات للجنوح الأخلاقي والسلوكي. إذن فإنّ الواجب يحتم على

أولياء الأمور والمرّبين بذل مزيد من الرعاية والاهتمام بهن والعمل على اصلاح شؤونهن. ومن الضروري الاشراف على الفتاة وتوجيهها باستمرار في سلوكها، وطريقة كلامها، ونوع لباسها، وطبيعة علاقاتها بصديقاتها وزميلاتها وبالآخرين.

التدليل على الثقة بهن

قد لا يوجد هناك عامل أكثر تأثيراً وأهمية في نمو الفتيات اخلاقياً من الايحاء لهنّ بالثقة في سلامة سلوكهن وتصرفاتهن في علاقاتهن مع الآخرين. فمن الضرورة بمكان أن ندلل لهن بأننا نثق بهن ونعتبر أقوالهن وافعالهن صادقة مائة بالمائة ولا تشوبها أي شائبة. إنّ هذه الثقة أو الشعور بها يجعلهنّ يترددن أكثر من مرّة قبل الاقدام على ما يمكن أن يكون معيباً في السلوك والخلق السويين، ويعدّ أرضية مناسبة للعمل على اصلاح سلوكهن وتربيتهن تربية صالحة.

فبوجود الثقة المتبادلة يمكن الاشراف على شؤون الفتيات وتوجيههن في علاقاتهن الاجتماعية الوجهة الصحيحة، والحيلولة بينهنّ وبين السلوك والتصرفات الخاطئة في مختلف جوانب حياتهن. وبامكان الوالدين أن يكون قدوة واسوة للفتيات باخلاقهما، وسلوكهما، وبقوة منطقهما، ورزانة تصرفاتهما في البيت وفي علاقاتهما في المجتمع العام دون أن يثقلا عليهنّ بالأوامر والنواهي ففط. إنّ الحنو على الفتاة واشعارها بأننا نريد خيرها وصلاحها يعدّ بحد ذاته باعثاً على كسب ودّها وثقتها، وبالتالي تسهيل العمل على بنائها أخلاقياً وسلوكياً.

ومن مظاهر ثقة الفتيات بأولياء الأمور والمربين التعامل الصادق معهم، وتجنب حالات الحساسية والخصومة والجفاء معهم، وعدم التردّد في مفاتحتهم بمسائلهن ومشكلاتهن الخاصة وطلب العون والاستشارة بشأنها.

الحرية المشروطة

يمكن إفهام الفتيات عن طريق الكلام والحوار الاقناعي بأنّ حرياتهن

ليست مطلقة بل محدودة باطار مشروط، ولا يحق لهن التحلّل من الالتزامات والتصرّف كما يحلو لهنّ ودون أي ضوابط. كما ويجب العمل على إعدادهن وتدريبهن بالتدريج على ممارسة حرياتهن والاعتماد على ذواتهن في الحياة بشكل كامل. ومن وجهة النظر الاسلامية، يوصى بإعطاء الفتاة اعتباراً من سنّ ما بعد الرابعة عشر عاماً مجالاً أوسع في ممارسة الحرية، واشراكها في الأعمال والنشاطات، وتكليفها ببعض الواجبات والمسؤوليات في الحياة، وهذا هو معنى الوزارة في السبع الثالث من الحياة (... ووزير سبع سنين).

إنّ تقييد الفتيات بشدّة أمر غير مستحسن، ومن شأنه أن يولّد لديهنّ صدمات نفسية، ويؤدّي بهن إلى الاضطراب والشعور بأنهنّ شخصيات مهزوزة وغير موثوق بقدراتها. ومن هنا فإنّ الحرية مطلوبة بالنسبة لهن ولكن ليس إلى حد العصيان والتمرّد، والاستقلال بالنفس ضرورة ولكن بحسب شروط وضوابط معينة ووعي بما ينفعهن وما يضرهن.

يكتسب الجو العائلي والأسري أهميّة استثنائية في التربية الأخلاقية، حيث إن الكثير من حالات الاختلال والجنوح السلوكي انما تحصل بسبب تأثير الأجواء المشحونة بالأخطاء والمشاكل. إنّ التوجيه الأخلاقي في ظل الأجواء القلقة والمضطربة عمل غير مجد وخاطىء بالمرة. فالفتيات عادة يقارنّ بين ما يتلقينه من توجيهات اخلاقية في الأسرة وبين سلوك وتصرفات الوالدين في البيت، وإذا لاحظن أنها تتناقض مع اقوالهما وتوجيهاتهما، فانهنّ يتمردن عليها ولا يلتزمن بها!

يجب السعي إلى تعزيز أيمانهن بالاصول والضوابط الأخلاقية وتجذيرها في أنفسهنّ أكثر فأكثر وبالشكل الذي لا يتزلزلنّ أمام دواعي وعوامل الانحراف والسقوط. وفي حال الشعور بضعفهن أمام إيحاءات جو معين، يجب المبادرة إلى

إبعادهن من ذلك الجو ومن المفيد، في بعض الحالات، حتى الهجرة إلى منطقة أخرى حفظاً للفتاة وصيانة لعرضها وعفافها، وهو ما يوصي به القرآن الكريم[1].

---

(١) سورة النحل، الآية ٢٨.

الباب الخامس عشر

تمهيد

يشتمل هذا الباب، الذي هو خاتمة الكتاب، على ثلاثة فصول.

الفصل الأول منه يدور حول مسألة التدريب على الحياة، ونسعى فيه إلى تناول الممارسات العملية التي يجب أن تتمرّس فيها الفتاة بالتدريج، وذلك من أجل إعدادها لدخول معترك الحياة الزوجية والأسرية، وتمكنها من حلّ مشاكلها بنفسها.

والفصل الثاني يتّصل بالثقافة والحياة الذي يستند إلى التقبّل الثقافي، ووجوب أن تكوّن الفتيات لأنفسهن فلسفة خاصة بهنّ عن الحياة، ويدركن الآداب والتقاليد السائدة في المجتمع ويتفاعلن معها بشكل ايجابي، ويتعرفن على الفنون المهنية و...

وبالتالي، يدور الفصل الثالث والأخير حول التربية الاجتماعية، والتقبّل الاجتماعي، وحول ضرورة الوعي بحسن أو قبح الأمور في العلاقات الاجتماعية والصداقات والزمالات، ووجوب ستر النفس وصيانة العفة، و...

الفصل السادس والخمسون

التدريب على الحياة

مقدّمة

إنّ الهدف من جميع البحوث والدراسات والاراء والتوصيات حول ظروف النمو وكيفية التعامل مع حالاته، انما هي من أجل الحفاظ على سلامة الفتاة وإعدادها نفسياً وفكرياً في سبيل الدخول إلى معترك الحياة والعيش السليم الهادف والمتطلّع نحو السمو والرفعة في ظل ظروف طبيعية.

ومن هنا فمن الواجب تركيز جانب من الجهود والمساعي التربوية على توضيح معاني الحياة للفتاة، وشرح الأبعاد التي تساهم في نموها وتكامل شخصيتها، وتجنيبها مشاعر اليأس والاحباط في الحياة، والعمل على توعيتها وتثقيفها بالواجبات والمسؤوليات التي تنتظرها في المستقبل.

فالفتاة في هذه السن لا هي طفلة صغيرة كي تبقى منغمسة في دنيا اللهو وملاعب الصبا، ولا هي امرأة كبيرة وناضجة كي تترك لحالها تدبّر شؤونها وتعتمد على نفسها في التعامل مع مسائل الحياة. ومن هنا فإنّها بحاجة إلى توجيه الأولياء والمرّبين ورعايتهم لكي تنمو نمواً طبيعياً،كما تحتاج النبتة في سبيل نموها إلى نور الشمس والرعاية الدائمة لكي تنضج وتعطي ثمارها في نهاية المطاف.

الإعداد للحياة

من حسن الطالع إنّ الفتاة في هذه السن هي في وضع تميل فيه ذاتياً إلى التوصّل لمستوى معقول ومنطقي في الحياة، وأن تتمكن من تحمّل مسؤولياتها الفردية والاجتماعية بنفسها في الحياة، وأن تدرك دورها وواجباتها الجنسية في معترك الحياة الأسرية والاجتماعية.

فهي ترغب في أن تعرف لماذا وكيف يجب أن تبادر إلى تشكيل الأسرة، وما هي الطريقةالمثلى في التعامل مع الحياة الزوجية والأمومة، وبالتالي هي تميل إلى استجلاء أجوبة كل هذه المسائل وما يُشابهها ومعرفة ما يحيط بها من اسرار وملابسات، وهي فرصة طيبة يجب استثمارها، على الوجه الصحيح، في سبيل تنمية قابليات الفتاة، نفسياً، وفكرياً، واجتماعياً، واقتصادياً، بالشكل الذي ينضج شخصيتها ويؤهّلها للعب دور ايجابي في الحياة الاجتماعية. كما إنّ النساء والفتيات يملنّ ذاتياً إلى الأعمال والمهن النسائية أكثر من الأعمال الخاصة بالرجال.

تنمية الأنوثة

من المهم الانتباه إلى هذه المسألة وهي أننا نريد أن تكون الفتاة أُنثى وتعتز بأنوثتها، وأن تحمل في شخصيتها جميع صفات الأنوثة عن رضى وطيب خاطر ،وأن لا تنبذ انوثتها بحيث تتمنى لو كانت ذكراً، أو أن تتصرف على اساس الميل والرغبة بالاسترجال والذكورة.

وينبغي عدم إغفال حقيقة ان لكل من الذكور والاناث نوع حياتي خاص به بحسب طبيعتهم والدور الذي ينتظر أن يلعبوه في الحياة مستقبلاً كأعضاء في المجتمع الانساني. ويجب احترام هذه الطبيعة والدور وتنميتهما في مجاليهما المختلفين.

ففي سني ما بعد البلوغ، يجب أن يتّجه التركيز على التثقيف العملي، وتكتسب مسائل الأسرة وفنون الحياةالزوجية وتربية الأطفال أهمية متزايدة في هذا المجال. اننا لا نعترض على مواصلة الفتيات لتحصيلهنّ الدراسي، لكننا نعتقد، كما يعتقد المتخصصون بشؤون المرأة، إنّ الدور الأساس والواجب الأهم

للفتيات هو تربية الأجيال وإدارة شؤون الأسرة. يقول (لا مبروزو) بأنّ الدراسات العلمية المعمّقة في مجالات الفلسفة، والرياضيات، والاقتصاد، والسياسية، والتي تصفّي ذهن الرجل، تُساهم في اضعاف فراسة المرأة.

التدريب على العمل

يجب تدريب الفتاة، منذ سني المراهقة، على العمل، وتشجيعها على القيام ببعض الأعمال البيتية كالطبخ ورعاية الأخوة والأخوات الأصغر سناً، وذلك من أجل أن تتمرّس بالتدريج على تحمل الواجبات والمسؤوليات العملية في الحياة، حيث إنّ هذه الطريقة تحمل تأثيرات ايجابية كبيرة جداً في تنمية قابليات الفتاة واكتسابها للمهارات الضرورية التي تحتاجها مستقبلاً.

فأحياناً نجد الأمهات يتصورن خطأً أنه يجب اشغال الفتاة بالأعمال الهامشية الروتينية ومنعها من القيام بالأعمال الأخرى المهمة كطهي الطعام وما إلى ذلك، خوفاً من أن تلحق بالأسرة اضراراً مادية. في حين إنّ تعلّم مثل هذه الأعمال يعد ضرورة لا غنى للفتاة عنها في حياتها الزوجية في المستقبل من الزمن.

ولابد أن نسجل هنا استثناءاً بخصوص عمل الفتاة في هذه السن وهو وجوب عدم الإثقال على الفتاة بكثرة الأعمال والواجبات البيئية إلى الدرجة التي تأخذ كلّ وقتها، وترهقها وتخلق لديها من جهة طابعاً سلبياً عن المسؤوليات التي تنتظرها في المستقبل، ومن جهة أُخرى تحول بينها وبين التمتّع بملذات سنّ الشباب، بل يجب الأخذ بنظر الاعتبار، عند تكليفها بالأعمال والواجبات، راحتها وعدم إجهادها كثيراً، وكذلك اعطائها وقتاً كافياً للتفرغ إلى نفسها وممارسة هواياتها اليومية.

التدريب على الاستقلال

يجب على أولياء الأُمور أن يخففوا من وصايتهم على الفتاة في سني المراهقة بالتدريج، وأن يتعاملوا معها بالشكل الذي يتيح لها المجال كي تنمو وتتطور شيئاً فشيئاً بالاعتماد على نفسها بعيداً عن أوامر وتوجيهات الأبوين. إنّ الفتاة في هذه السن هي في مرحلة الفطام النفسي، الذي يستتبعه الاستقلال الذاتي، ويوجب أن تتحول فيها سلطة الوالدين المباشرة إلى سلطة ظل وتوجيه غير مباشرين.

ومن المهم جداً العمل على إعداء الفتاة لكي تستقل بشؤونها بالتدريج بشكل كامل، حيث أنه ليس من الصحيح أن تبقى متعلّقة بالوالدين كالأطفال أو تنتظر أن يحلّا لها جميع مشاكلها ويستجيبا لكل ما تريده وتطلبه.

وطبيعي أنه يجب على أولياء الأمور، وهم يعملون على تنمية استقلال فتياتهم وتشجيع اعتمادهن على أنفسهن، أن يشرفوا على أوضاعهن بشكل غير مباشر ليعرفوا بمن يلتقين خارج إطار الأسرة، ومن يعاشرن، وما هي نوع العلاقات والروابط التي تربطهن بالآخرين، ويراقبوا سلوكهن وتصرفاتهن في المجتمع، خصوصاً نوع العلاقات العاطفية التي يمكن أن تربطهنّ بالاقران والمعلمات.

وهناك بعض المشكلات يمكن أن تعترض سبيل تنمية استقلال الفتيات يجب معرفتها والعمل على تذليلها، ومنها التعلقات العاطفية الشديدة بين الأولياء والبنات، التي تمدّ بجذورها لسنوات الطفولة، والجهل بما يدور داخل الفتاة من ميول وانفعالات تنعكس على سلوكها وتصرفاتها رغم حرصها على اخفائها، وبساطة البنت وسرعة تصديقها الأمر الذي يمكن أن يعرّضها لمخاطر النصب والاحتيال و..

معالجة المعضلات

هناك الكثير من المشاكل والصعوبات التي تعترض سبل نمو واستقلال ونضوج الفتيات يتطلب العمل على تذليلها وحلها مزيداً من الوعي والتحمّل. وبامكان الأولياء، وخصوصاً الأمهات، الذين يتطلعون لخير وسعادة بناتهم، أن يتواصلوا معهنّ بالارشاد والتوجيه وابداء العون والمساعدة على تجاوز مثل هذه المعضلات بنجاح. وذلك بحاجة إلى جد ومثابرة وسعة صدر.

تتاح في بعض الحالات داخل الأسرة فرص مناسبة ينبغي استغلالها للحديث مع الأبناء، بما فيهم البنات حول شؤون الحياة ومشاكلها وكيفية التعامل معها من خلال شرح حيثياتها وملابساتها، وبالتالي تزويدهم بخبرات عن طرق وكيفية التعامل مع معضلات الحياة وصعوباتها، وافهامهم بأنه يجب عليهم من الآن فصاعداً الاعتماد على أنفسهم في إدارة شؤونهم وحل مشاكلهم.

إنّ الصدمات النفسية، التي يمكن أن تتعرّض لها الفتيات في هذه السن أو في مراحل لاحقة من حياتهن، لو بحثنا عن اسبابها فإنّنا سنجدها في غالب الأحوال تعوّد إلى قلّة الخبرة وعدم اكتساب المهارات اللازمة في التعامل مع مشكلات الحياة وصعوباتها، لأنهنّ كنّ ببساطة فتيات عاطلات في البيت دون أي نشاط أو فعالية عملية، وكانت الأمهات هنّ اللاتي يقضين حاجاتهن ويتصرفن في شؤونهن على الدوام، ولم يكن ليخطر في بال الأمهات بأنّ فتياتهن لابد أن يستعدنّ عملياً للعب دور الزوجة والأُم وإدارة شؤون الأسرة في المستقبل من حياتهن الاجتماعية.

الاعداد للزواج

قد يعتبر بعض أولياء الأُمور الحديث عن الزواج في هذه المرحلة من العمر سابقاً لأوانه، وينزعجون من سماعه أو التداول حوله، في حين إنّ مثل هذا

التصور ـ كما نعتقد ـ خاطىء بالمرّة وليس في محلّه. فالملاحظ إنّ بعض الفتيات، في سني ١٤ و ١٥ و ١٦ عاماً، تحصل لديهن ميول وتصرفات جنسية منحرفة بما يدلّ عى أن هذه المسألة ليست سابقة لأوانها ومن هنا فإنّ التفكير بتزويج الفتاة في هذه السنّ واعدادها نفسياً لقبوله ضرورة لا غنى عنها وتزداد أهمية ذلك إذا عرفنا إنّ الاسلام يعتبر «من سعادة المرء أن لا تطمث ابنته في بيته»[١].

ولا ننسى أن نشير في هذا المجال ايضاً إلى نقطتين هامتين وهما أولاً إنّ الفتيات في هذه السن، رغم ما يتمتعن به من نمو عضوي ونفسي، الا انهن لسن في وضع يسمح لهن بانتخاب الزوج المناسب لوحدهن بسهولة، أعني انهن لم يبلغن النضج الفكري في هذا المجال تماماً، ولابد أن يكون إلى جنبهن من يرشدهن ويساعدهن على اتخاذ القرار الذي يصب في مصلحتهن، وثانياً إنّ سنّ التأهّل للزواج هو سنّ بلوغ الحيض...

وأحياناً يحصل فاصل بين الاثنين، ويوصف ذلك بفترة تأخر البلوغ.

فقد تتزوج الفتاة من دون أن يحصل لديها حمل. لذا فإنّ النضوج الجنسي شيء جد مهم في أمر الزواج والحمل.

إنّ المشكلة التي تواجه فتياتنا في هذا المجال هي طول مرحلة الدراسة في عصرنا الحاضر، وازدياد تعلقهن العاطفي بالوالدين، الأمر الذي يؤدّي إلى تأخر زواجهن، ويفترض عليهن تحمّل كثير من المعاناة والحرمان الجنسي. وتزداد هذه المشكلة تفاقماً في الحالات التي لا يلتفت فيها الأولياء لحاجة الفتاة للزواج، ولا تجد الأخيرة فرصة مناسبة لمفاتحتهم والتعبير عن رغبتها.

---

(١) النبي (ص) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق.

الإقتداء بالوالدين

إنّ أفضل اسلوب في التربيةهو اسلوب الاقتداء. فالوالدان والمرّبون يجب ان يكونوا قدوة للفتيات في المعايير والمسائل السلوكية التي يدعونهنّ إلى الالتزام بها في حياتهن. والواقع هو انّ الفتيات المراهقات ينظرن للحياة في هذه السن وكأنها نهر متلاطم الأمواج يصعب العبور منه إلى الضفة الأخرى بنجاح، ولعل واحداً من الأسباب النفسية التي تدفع بعض الفتيات إلى الانتحار أو التفكير به هو شعورهن بالعجز عن مواصلة الحياة و مواجهة مشاكلها وصعوباتها بشجاعة واقتدار.

وهكذا فإنهنّ بحاجة إلى من يوجههن ويعينهن على مواجهة مجريات الحياة. فقد لا يسمح لهن غرورهن واعتدادهن بأنفسهن طلب العون والمساعدة من الآخرين، وحتى من الوالدين. وهو ما يفرض على أولياء الأُمور والمربّين أن يبادروا بأنفسهم الى عرض خدماتهم ومساعداتهم لهن دون انتظار أن يطلبن ذلك منهم بأنفسهن. وان يشجعونهن على خوض غمار الحياة بشجاعة وتفاؤل خال من الخوف والوجل.

التوجيه وليس الفرض

قلنا فيما مرّ من البحث إنّ شروط التربية تتغيّر في سني المراهقة خصوصاً في المرحلة التي تلي البلوغ الجنسي. فمن الخطأ بعد الآن أن يعتبر الأولياء فتياتهم صغيرات ويتعاملون معهن انطلاقاً من مثل هذا التصور، فيركزون جلّ اهتماماتهم على توجيه الأوامر والنواهي لهنّ ومراقبتهن فيما إذا كنّ يلتزمن بها أم لا.

لابدّ من معرفة إنّ الفتيات في هذه السن لم يعدن تلك الفتيات الصغيرات اللاتي كنّ يخضعن في مرحلة الطفولة لأوامر ونواهي الوالدين دون أي نقاش أو ابداء للرأي . فهنّ الآن يعتبرنّ انفسهن قد كبرن ولهن الحق في أن يبدين آرائهن بشأن جميع شؤونهن وأن يعملن بما يقتنعن به ويرينه معقولاً ويصبّ في صالحهن ، ولس يفرضه عليهنّ الآخرون بالقوة على شكل أوامر غير قابلة للنقاش ، وهو الأمر الذي يفرض على الأولياء أن يغيّروا اسلوب تعاملهن معهن ويجعلوه منسجماً مع أوضاعهن الجديدة ويساعدونهن ويوجهونهن بواسطة الانفتاح الودّي عليهن وبناء علاقات مبنيّة على الاحترام والتفاهم المتبادل معهن .

الفصل السابع والخمسون

الثقافة والحياة

مقدّمة

نعني بالثقافة مجموعة المكتسبات والخبرات الانسانية في المجالات المادّية والمعنوية في الحياة، أو مجموعة الأفكار والعلوم في مجالات الأدب، والفلسفة، والعادات والتقاليد، والفنون المعمولة في الحياة الاجتماعية والتي ينبغي معرفتها وتنظيم الحياة اليومية على اساسها والعمل انطلاقاً من فهمها وتطوير اساليب العيش في إطارها.

فالإنسان يقيّم في بدايات حياته طريقة عيشه على أساس معايير اللّذة والألم، ولا يعرف شيئاً عن الأفكار والأداب والمعايير الاجتماعية المفترضة، وانما يعرفها ويطّلع على تفاصيلها وينسجم معها بالتدريج من خلال الاختلاط بالمجتمع وكسب الوعي والخبرات الثقافية حول شؤون الحياة. للأسرة، والمدرسة، والمجتمع العام، دور مهم جداً في تنمية قدرات الفتاة والتأسيس لوعيها فكرياً ونفسياً، ودفعها نحو مدارج التطور والتقدّم المادّي والمعنوي في الحياة.

توسيع الأفق

ومن الحاجات المهمّة للفتيات، في سني المراهقة، توسيع افقهن في النظر إلى الحياة. بمعنى تزويدهن بالخبرات الحياتية اللازمة، وإخراجهن من وحدتهن وحياتهن الفردية ودفعهن إلى الانخراط في المجتمع العام، الذي يحتوي على عناصر مفيدة وايجابية كثيرة يمكن الانفتاح عليها وتبادل المنفعة وإياها في مختلف مجالات الحياة.

وفي حال الاستجابة للفتاة في هذا المجال، وتشجيعها على الخوض في غمار الحياة الاجتماعية الأوسع أفقاً، سنجد إنّ كل شيء يبدو لها في هذه الأثناء جديداً وممتعاً وذا ألوان زاهية متلألئة، وسنجدها تتفاعل مع ظواهر الحياة وتتحمّس لمعرفة تفاصيلها إلى درجة وكأنها تحاكيها وتدعوها إلى معرفة المزيد بلسان ناطق!. وهي الحالة التي يجب على أولياء الأمور تشجيع الفتاة عليها، بل ودفعها اليها، واستثمارها في الأثناء في سبيل توعيتها أكثر فأكثر ،وإغنائها فكرياً وثقافياً، وجعلها تكتسب الخبرات العملية التي تنضجّ شخصيتها بما يؤهلها لتحمّل مسؤولياتها في الحياة كانسانة فاعلة ومؤثرة في المجتمع.

وفي سبيل تطوير قابليات الفتيات واغنائهن ثقافياً وعملياً، من المفيد ترتيب برامج ومجالس فكرية مختلفة ومتنوّعة لهنّ كذلك والاستعانة في هذا المجال بالأفلام، وباشرطة الفيديو كاسيت والمسجّل، وما تبثه الإذاعة والتلفزيون من برامج هادفة ومفيدة، والقيام بالسفرات الجماعية التي تتخللها ندوات ومحاضرات في مختلف شؤون الفكر والثقافة.

فلسفة الحياة

ابتداءً من سنّ ١٣ عاماً، يحصل لدى الفتيات نوعاً من الوعي بذاوتهن وبما يدور حولهن، فيسعين على أثره من أجل الاطلاع على اسرار الحياة ومعرفة فلسفتها، ويرغبن في أن يعرفن من هنّ؟ ولماذا خُلقن؟ ولماذا يعشن؟ ولِم يُعملن؟ و... الخ. وبعبارة واحدة يرون أن يتعرفن على فلسفة الخُلقة والحياة.

إنّ الظواهر الحياتية تصبح في عين أعضاء هذه الفئة اشياء غامضة لا يجدن لها تفسيراً معقولاً وواضحاً، ويسألن انفسهن دائماً ترى ما هي الحكمة المنطقية من وجود مثل هذه الأشياء. إنّ السعي الحقيقي للفتاة في سبيل إدراك المسائل

وفهمها بدقة، يبدء فقط عندما تجبرها ظروف الحياة وملابساتها الصعبة النزول إلى ميدان العمل والنشاط الفعلي الذي يفرض عليها التعامل مع الأشياء من منطلق الفهم والوعي الدقيقين.

على أي حال فإنّ الفتاة، في هذه السن، تراودها اسئلة واستفهامات فلسفية وفكرية كثيرة تبحث عن اجابات شافية ومقنعة، وطالما لم تحصل على مطلوبها في هذا المجال، فإنّها تبقى مشوشّة الذهن مضطربة الأحوال، ومترددة في الحياة العملية، وهنا يأتي دور الأباء الواعين والمربين المجربين الذين يجب عليهم العمل على شرح ابعاد الحياة للفتاة وإيقافها على أهدافها وفلسفتها، وإزالة كلّ ما يمكن أن يغبّش رؤيتها ويشوّش ذهنها من أسئلة واستفهامات فكرية وفلسفية بعبارات واضحة مبسّطة، ومنطق استدلالي محكم، وبالتالي تشجيعها على مواصلة الحياة بخطو ثابت ونظرة واعية متفائلة.

الموقف من الأدب

إنّ جانباً من ثقافة اي مجتمع يتكون من ادب ولغة ذلك المجتمع. والأدب واللغة يشتمل على الشعر والنظم والنثر والأمثال والاستعارات والكنايات و.. وهو وسيلة تسهّل عملية اتصال الناس بعضهم ببعض والتفاهم وتبادل المعلومات فيما بينهم والتفاعل معاً بواسطتها.

ومن المهم في هذا المجال معرفة الأدب النافع والمفيد الذي يستحق القراءة وصرف الوقت والجهد على الاهتمام به، وذلك لأننا نلاحظ في المجتمع أحياناً كثيرة الترويج لنوع من الأدب المخرّب الذي لا يحمل هدفاً سوى الإثارة وتهيج العواطف الجنسية. وهذا النوع من الأدب الهابط، الذي ينشر في قالب القصص والروايات المبتذلة، يحمل معه اخطاراً جسيمة على نفسية وسلوك واخلاق

القارىء، ويفترض بأولياء الأمور، بل يجب العمل على حماية ابنائهم منه وتجنيبهم قراءته.

وهكذا هو الحال مع الأمثال، والكنايات، والاستعارات الكلامية المثيرة للغرائز الجنسية، فإنّ تداولها يثبتها في (اللاشعور) بما يجعل تأثيرها السلبي في النفس والذهن كتأثير ملايين الحشرات الضارة في الحقل الزراعي التي تفسد المحصول ولا تبقي فيه شيئاً ذا فائدة، أو تدمّر - كالسيل الجارف - كل الجهود التربوية المبذولة في الأسرة والمدرسة في مجال الفضيلة والبناء الأخلاقي القويم.

إنّ ما مرّ ذكره نعتقد انّه كاف لكي يلتفت أولياء الأمور إلى خطورة بعض أنواع الأدب على فتياتهم، سلوكياً وأخلاقياً ونفسياً، ولكي يجدّو ويجتهدوا في سبيل الاشراف المباشر على قراءتهن وتوجيههنّ إلى النوع المفيد والبنّاء من الأدب، وتوعيتهنّ وتحذيرهنّ من مضار ومخاطر ادب الابتذال والفضائح.

في الأعراف والتقاليد

المقصود بالتقاليد؛ العادات القديمة، التي أوجدها الاسلاف لدواعي الفائدة والمصلحة، وبقي العمل بها سائداً إلى وقتنا الحاضر. ونعني بالأعراف الأداب والضوابط التي ينبغي الالتزام بها عند استقبال الآخرين وفي العلاقات الاجتماعية. فأحياناً تكتسب التقاليد درجة من القداسة، وحينذاك نصفها بالسنن، ويمكن أن تكون السنن شرعية أو وطنية. ويجب على أولياء الأمور توعية الأبناء بشكل عام على هذه أعراف والتقاليد، وتوجيههم إلى ضرورة اخذها بنظر الاعتبار في علاقاتهم الاجتماعية. وما دام حديثنا يتركّز حول تربية الفتيات، فإنّنا نشير إلى المسائل التالية في العمل معهنّ في هذا المجال:

أولاً: يجب أن يعين تماماً الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع الذي

يعشن بين ظهرانيه، كما ومن المفيد أن يطلعن على آداب وتقاليد المجتمعات الأخرى أيضاً.

ثانياً ـ ينبغي أن يتمتّعن بالقدرة على تقييم الأعراف والتقاليد المعمول بها، ويستطعن تشخيص الصحيح والخطأ منها، والمفيد والضار فيها.

ثالثاً ـ أن يأخذن المفيد منها ويعملن به، وينبذن الضار والسلبي وغير المجدي فيها، ويتجنبنه في سلوكهن وتصرفاتهن.

في الفنون والمهارات المهنية

يعدّ الفن عاملاً من عوامل تصفية الذهن وتلطيف النفسي، وهدوء البال وتسكين الانفعالات. ومن فوائده للفتيات المراهقات أنه يساهم في توازنهن الغريزي، ويبعدهن عن التفكير بالجنوح والانحراف الجنسي، خصوصاً عن حالة الارضاء الذاتي الذي يقابله الاستمناء عند الذكور.

ويمكن تشجيعهن في هذا المجال على الاشتغال ببعض الفنون المهنية كالتطريز والخياطة وما إلى ذلك. إنّ أغلب الفتيات يملن بطبيعتهن إلى ممارسات المهن الظريفة ويشعرنّ بمتعة كبيرة أثناء الاشتعال بها، خصوصاً عندما ينتهين من خياطة أو تطريز أو نسج شيء معين ويبدو في نظرهنّ انجاز جميلاً وجذّاباً.

فالى جانب الفوائد الايجابية التي يتركها الاشتغال بالمهن الفنية الخفيفة بالنسبة للفتيات فيما هي التسلية وقضاء أوقات الفراغ والابتعاد عن الوساوس والاضطرابات النفسية، فإنّه يساهم كذلك في زيادة خبراتهن العملية والمهنية. ويجعلهنّ قادرات على المعاونة في توفير معاشر الاسرة إلى جانب الزوج عند الضرورة في المستقبل من حياتهن.

التحرّر الفكري

من المسائل الجديرة بالذكر في تربية الفتيات فكرياً هو العمل على تنمية

قدراتهن الثقافية وايصالهنّ إلى المستوى الذي يكنّ فيه مستقلّات ومتحررات من ايحاءات الغير في الفكر والعمل. بمعنى أن لا يسقطن فريسة للإنجذاب إلى مؤثرات المحيط الخاطئة والتبعية والتقليد لحالاته المختلفة بشكل أعمى ودون اعمال الفكر أو الاقتناع المنطقي المستدل.

اننا نريد لفتياتنا أن يكنّ خاضعات ،ولكن الخضوع لله، ونريد لهنّ أن يكنّ تابعات ،ولكن تابعات للحقّ نريد أن يعرفن الحقّ والصواب يعملن بهما طبقاً لمعرفة ملاكاتهما ومعاييرهما الصحيحة، وليس طبقاً لما يعمل الآخرون أو يدعون.

إنّ لدينا بعض الفتيات ممن لا يمتلكن، بسبب التربية الخاطئة، ادنى درجة من الاستقلال الفكري في شؤونهن، وإنّ كلّ ما يصدر منهنّ من تصرفات وسلوك في حياتهن لا يعدو كونه تقليداً أعمى للغير. ونجدهنّ نتيجة لهذه التبعية الخاطئة شخصيات فاقدة لذواتها، ومقلّدة للنماذج المنحرفة بشكل ببغائي في كلّ شيء؛ في الملبس، وفي السلوك، وفي طريقة الكلام والتفكير و...

ومن بين هؤلاء من تنظم الأشعار وتكتب القصص، لكنها في هذه ايضاً تابعة ومقلّدة للآخرين دون أن تعطي من نفسها أوتبذل جهداً ذاتياً في سبيل الابداع والاستقلال بالفكر والأتجاه. إنّ مثل هذه الفتيات لو استمرن على هذه الوضعية واعتدن عليها، فانهن سيصبحن بلا شك شخصيات مهزوزة وغير متوازنة وخاملة فكرياً ونفسياً، وبالتالي يعجزن عن الوقوف على اقدامهن والاعتماد على انفسهنّ في إدارة شؤونهن في المراحل اللاحقة من حياتهن.

ومن هنا فإنّ من الحكمة أن يولي الآباء اهتماماً متزايداً في تنمية طاقات الفتيات الفكرية والتواصل معهن بالتوجيه والتشجيع في سبيل تنضيج قدراتهن وصولاً إلى التحرّر والاستقلال الفكري عن الايحاءات الخاطئة للآخرين والبيئة،

بمعنى أن يتمكن من تشخيص الفكرة أو السلوك الايجابي في المجتمع فيأخذنه ويضمنه إلى خبراتهن، ويميّزن اشياءه الخاطئة والسلبية فيرفضنها وينبذنها في حياتهن.

عوامل وموانع النمو

إنّ ضرورات التربية في هذه المرحلة من النمو في حياة الفتيات، توعيتهن بالقضايا التي تصبّ في صالح سعادتهن ورقيّهن وحفظ كرامتهن في الحياة، هذا جهة، ومن جهة أُخرى شرح العوامل التي يمكن أن تتسبب في فشلهن وانحطاطهن وتؤدّي إلى تنغيص عيشهن وتعاستهن وتحذيرهنّ منها. وذلك لأنّ هؤلاء يتصوّرن أحياناً خطأ بأنّ سعادتهن تكمن في التبرّج والتزيين واستعراض المفاتن أمام الآخرين.

فتياتنا لابد أن يدركن، بل يجب إفهامهن، إنّ من أهم عوامل النمو الطبيعي والوصل إلى الكمال هي النجابة والتقوى، والوعي والبصيرة، والحفاظ على العفاف وعلى طهارة النفس، ومن العوامل الحائلة دون النمو والكمال الخطايا والآثام والنزول إلى مستنقع الرذيلة والفساد والفوضى في السلوك، وحثهنّ في الوقت ذاته على استقبال عوامل السمو والاستقامة ونبذ عوامل السقوط والانحراف.

ويجب على أولياء الأمور، على طول مرحلة المراهقة، وحتى قبل هذا الوقت، العمل على إفهام الفتيات بأنّ أغلب المثيرات الاجتماعية، وحالات الاعجاب، والتودّد، والتملّق و... من الآخرين هي قضايا زائلة، وإنّ ما يبقى ويجب الاعتزاز به هو العفاف والشرف وحسن السلوك والأخلاق. ويمكن الاستعانة في هذا المجال بالقصص والأمثال والعبر وما إلى ذلك مما يحقّق

الهدف. وتدلّ الدراسات التربوية على إنّ الفتيات المراهقات يملنَ إلى القصص والروايات التي تدور أحداثها حول الحياة الاجتماعية.

تكميل الوعي

ينقل عن سقراط الحكيم قوله بأنّ الوعي والعلم اساس الفضائل. كما ولدينا في التراث الاسلامي أحاديث وروايات كثيرة في فضل المعرفة والعلم، وقد تم التعبير عنه بالنور[1] في بعض الموارد، فيما جاء في أحد الأحاديث بأنّ العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس[2] أي أنه من الوعي والدراية بحيث لا تلتبس عليه الأمور في التعامل مع الأشياء.

إنّ تكميل وعي الفتيات وتوسيع مداركهن وخبراتهن الفكرية والعملية في هذه السن يعدّ ضرورة لا غنى لهنّ عنها في سبيل نموهن وتأهلهن للخوض في معترك الحياة الاجتماعية والاعتماد على الذات في التعامل والتفاعل مع شؤونها في المراحل اللاحقة من حياتهن. ويجب في هذا المجال العمل على اغنائهن ثقافياً، وتزويدهن بالمعلومات والخبرات الضرورية حول القضايا الاجتماعية العامة، وحول المسائل التي تتّصل بالحياة الزوجية وبكيفية إدارة شؤون الأسرة والقيام بواجباتها .. الخ.

---

(١) اشارة إلى حديث (العلم نور ..).

(٢) الامام الصادق (ع)، كتاب الكافي ج ٣.

الفصل الثامن والخمسون

تربية الفتيات اجتماعياً

مقدّمة

إنّ فتاتنا في هذه السن تكون قد كبرت ونـزلت إلى الحـياة الاجـتماعية الأوسع أو هي في طريقها لخوض غمارها، وتسعى إلى ان تجد لها مركزاً وموقعاً خاصاً بها في الوسط الاجتماعي. فهي ليست مـن الآن فـصاعداً تـلك الطـفلة الصغيرة ذات الرغبات والتصرّفات الصبيانية أو المتعلّقة بوالديها بشدّة، بل هي الآن شخصية كبيرة تعتدّ بنفسها، وتشعر أنّ بامكانها الاختلاط بالجماعة الناضجة وتتقاسم الحياة معها.

فهذه المرحلة مثل هذا الشعور عند الفتيات فيها يدلّان على أنه قد حـان الأوان لكي يبادر أولياء الأمور إلى الاهتمام بتربيتهن وتطوير قابلياتهن في البعد الاجتماعي، إلى جانب الأبعاد التربوية الأخرى، وتـعريفهن بـطرق واسـاليب العيش الحر السليم في إطار القيم والأعراف الاجتماعية الصالحة، وتحصينهن من امكانية الانسياق وراء العقل الجمعي في التفكير والسلوك.

التقبّل الاجتماعي

الفتاة في هذه السن تتمتّع بنوع من الانسجام والتكيّف مع حياة الجماعة في إطار محدود، وذلك إثر توجيهات وتربية مرحلة الطفولة في داخل الأسرة، إلّا أنه في السبع الثاني من عمرها، أي في سنّ الرابعة عشر، يجب توجيهها نحو التقبل الاجتماعي، أعني جعلها تتقبل وتتكيف مع قواعد وأعراف وأداب المجتمع.

ويجب تعريفها في هذا المجال بالأداب، والسـنن، والتـقاليد والأعـراف الاجتماعية والأخلاقية، وتوجيهها إلى ضرورة الانسجام والتكيف معها. وليس

من شكّ في وجوب أن تكون الآداب والأعراف في عملية التـقبّل الاجـتماعي ايجابية وبناءة بحسب المعايير الاعتقادية الدينية.

الانسجام الاجتماعي

من المسائل الهامّة في تربية الفتيات في هذه المرحلة العمل على اعـداد الأرضية لالفة العلاقات والانسجام الاجتماعي. فيجب التقليل من انفعالات الفتاة النفسية وتسكين اضطراباتها لكي تتمكن من الفة حياة الجماعة وتتفاعل مـعها بشكل ايجابي ومعقول في التعاون، والاتفاق، والاختلاف، والتشابه، والتـضاد و... ومن أجل بلوغ هذا الهدف، فهي بحاجة إلى إدراك افكار ومشاعر الآخرين وإلى معرفة الموارد التي يجب عليها تقبل آرائهم احترام مشاعرهم، ومتى تؤيد أو تعارض وكيف وعلى أساس أي الشروط والمعايير.

وبعبارة أُخرى، الفتاة بحاجة إلى ملاءمة نفسها مع ظروف الأسـرة ومـع الوالدين، ومع الأهل والأقارب والأقران في الخارج، وإلى أن تتمكّن من التناغم والانسجام والتعاون مع الأطراف المذكورة. ويجب كذلك أن تألف، في داخـل الأسـرة، الأب والأم، والأخـوة والأخـوات سـواء فـي عـلاقتها الثـنائية أو الجماعية بهم.

إنّ للعلاقات الهادئة والمنسجمة في داخل الأسرة دور هام في نمو وسلامة الأبناء، نفسياً وفكرياً، وفي تطورهم في مختلف مجالات الحياة الاجـتماعية، والثقافية، العلمية.

في علاقات الصداقة

الفتاة بحاجة إلى علاقات صداقة وعشرة، وذلك لكي تخرجها من وحدتها من جهة، ولتساهم في تعويدها على إلفة الآخـرين والانسـجام مـعهم وكسب

الخبرات المفيدة في ظلم من جهة أخرى. إلّا أنه يجب تجنيبها علاقات الصداقة والعشرة الخاطئة ـ باعتبارها تحمّل في طياتها أضراراً ومخاطر غير قليلة على الفتاة.

فلو كان جو الأسرة جواً هادئاً ومنسجماً، وكانت علاقة الأم بالبنت علاقة ودّ وصفاء، ولو استطاعت الأم أن تكسب ثقة الفتاة في إنها ستحفظ اسرارها ولا تبوح بها لأحد، فإنّنا سنجد الفتاة لا تصادق أو تعاشر أي كان، وإذا أرادت أن تفعل فإنّها ستأخذ بلا شكّ رأي الأم بنظر الاعتبار في اختيار الصديقة أو الزميلة. ومن الضروري مساعدة الأم لفتاتها على انتخاب الصديقة الملائمة، وقد يكون من المفيد، في بعض الحالات، حتى المبادرة إلى التعرّف بأسرة صديقتها والتزاور معها بغية التأكد من سلامة العلاقة.

ومن أجل توعية الفتاة وتحذيرها من عواقب الصداقات السيئة. من الضروري أحياناً إلفات نظرها إلى تجارب الانحراف وحالات السقوط التي تعرضت لها فتيات عديدات بسبب الصداقات والزمالات المنحرفة، وإذا وجدت تجربة حيّة وقريبة في هذا المجال، فإنّ وقع الحديث عنها يكون أكثر تأثيراً في الفتاة.

في العلاقات العامّة

المعروف إنّ للاسلام رأي يختلف بشأن حضور المرأة في الحياة الاجتماعية العامة عن رأيه في هذا المجال بالنسبة للرجل. فالمرأة في المجتمع الاسلامي عادة لا تخرج إلى الشارع الّا من أجل قضاء حاجة ضرورية، وإنّ العلاقات المختلطة السائدة في الغرب بين البنين والبنات شيء غير موجود عندنا ومحرّم من الناحية الشرعية.

الاّ انّه ورغم ذلك، فالواقع إنّ الاسلام لم يقيّد حريّة المرأة بل سمح لها بالعمل والنشاط في مختلف حقول النشاط والاختصاصات، التي تنسجم مع طبيعتها، ولكن بشرطين هما صيانة شرفها وعفافها، وعدم تعريض عفّة الآخريات للخطر. وهذه مسألة هامّة يجب أن تدركها فتياتنا جيداً.

الاسلام يحرّم أجواء الاختلاط بين الجنسين، ويعتبر الحوارات العابثة بين الشباب والشابات وعلاقات الحب والصداقة في الشارع وتبادل الاحاديث في زوايا الحدائق العامّة خطايا وآثام يجب تجنّبها والابتعاد عنها حتى بالنسبة للأشخاص الذين يريدون الزواج من بعضهم في مراحل لاحقة. إنّ العلاقة بين المرأة والرجل لا تكتسب الحلية الا بعد إجراء عقد القرآن الشرعي.

أجل فإننا نربي الفتاة على ان تكون شخصية اجتماعية ولكن ليس مثلما هو سائد في الغرب، ونسعى اعدادها كي تتمكن من العمل بجنب الآخرين، ولكن في الاطار والحدود المشروعة، ونربّيها على الوفاء بالعهد، ولكن العهد الذي لا يتنافي ومعايير الدين والمعتقد. وبعبارة أُخرى فإنّ كل شيء في حياتها يجب أن يخضع لمعايير وضوابط منطقية ومقبولة، ميولها، ورغباتها، علاقاتها، طبيعة تصرفاتها وسلوكها و..

في الستر والعفاف

الاسلام يأمر النساء بنوع خاص من اللباس والستر، ويوصيهنّ بغض الأبصار عن المحرّمات، وحفظ الأعضاء والمفاتن من الأعين وعدم إبداء الزينة أمام الأجانب الا بالمقدار الظاهر بشكل طبيعي وهو الوجه والكفين و ...[١]

ويُعدّ السفور وكشف الشعر وتنقيشه وإبراز المفاتن والأعضاء المثيرة في

---

(١) سورة النور، الاية ٣١.

الجسم عملاً مستقبحاً ومرفوضاً من وجهة نظر الشارع الاسلامي، ويعتبره هبوطاً بمستوى المرأة وتقليلاً من شأنها واحترامها في المجتمع.

أجل فقد توجد في مجتمعاتنا بعض حالات ومظاهر الفساد الخلفي وتلحظها فتياتنا. والمهم هو أن يحذرن التأثر بها والانسياق وراء ايحاءاتها الخاطئة أو تقليد العادات الخرافية المتخلفة السائدة في مثل هذه الأجواء.

في المثل أو القدوة

تميل فتياتنا في هذه السن عادة إلى التقليد في السلوك وفي طبيعة العيش والكلام وتتجلّى هذه الحالة لديهن بأشكال مختلفة. وطبيعي إنّ من الضروري في مثل هذه الحالة توجيه اهتمام الفتيات إلى المثل أو النموذج المفيد من الشخصيات من أجل أن يقتدين بها في الحياة ويتأسين بطريقتها في السلوك والتصرف في المجتمع.

إنّ هؤلاء يملن بشدة إلى الشخصيات البارزة والشهيرة في المجتمع، ويسعين إلى تقمص حالاتها في التصرفات والسلوك وفي العلاقات العامّة وما إلى ذلك، وإذا كانت الشخصيات التي يحبنها ويتأسين بها في الحياة ايجابية فإنّ تأثيراتها على تكوينات شخصياتهن ستكون بلا شك مفيدة وايجابية والعكس هو الصيح أيضاً.

وهذه فرصة مناسبة توجب على أولياء الأمور العمل على جلب اهتمام الفتاة على المثل والنماذج البنّاءة والايجابية في المجتمع.

في الإعداد للحياة الأسرية

وفضلاً عن العادات الايجابية، التي يجب تحذيرها في نفوس الفتيات اثناء التربية، فهناك مسائل أخرى تتّصل بشؤون الزواج والأسرة ينبغي تقديم

التوضيحات والارشادات الضرورية لهن بشأنها من أجل أن يكنّ مؤهلات ومستعدات نفسياً وفكرياً للانتقال إلى المراحل البعدية من الحياة حيث الواجبات الزوجية وشؤون الأسرة وإدارة البيت.

وهناك تأكيدات متزايدة في الاسلام على مبادىء الحبّ والمودّة والتعاون والاحترام المتبادل في العلاقات الزوجية داخل الأسرة، يجب تربية الفتيات عليها وتثقيفهن بشأنها مسبقاً وقبل الذهاب إلى بيت الزوجية وتشكيل الحياة الأسرية. وبخلاف ذلك لا يمكن الوثوق بالنجاح وعدم حصول المشاكل والمتاعب في هذا المجال.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة